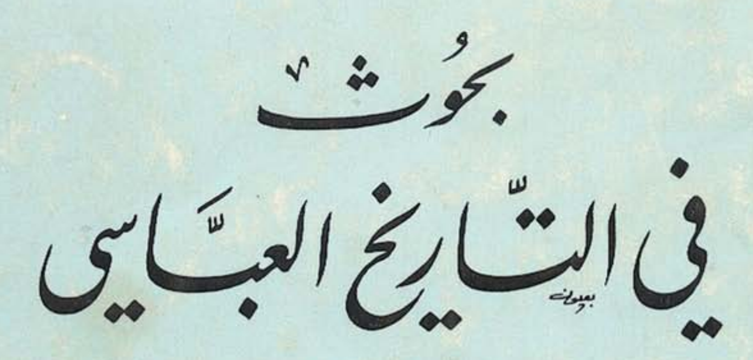


الدكتور
فاروق عمر
استاذ التاريخ العباسي في كلية الآداب

الناشر
دار القلم للطباعة
بيروت - لبنان
مكتبة النهضة
بغداد - العراق

بحوث
في التاريخ العباسي

بحوث
في التاريخ العباسي

الدكتور
فاروق عمر
استاذ التاريخ العباسي في كلية الآداب

الناشر
دار القلم للطباعة
بيروت - لبنان
مكتبة النهضة
بغداد - العراق

ص.ب ٣٨٧٤
بيروت ـ لبنان

الطبعة الاولى
١٩٧٧م

الإهداء

الى ليلى ... زوجتي

على سبيل التمهيد

يحوي هذا الكتاب بين طياته مجموعة بحوث لتاريخ الخلافة العباسية في عصرها الاول كتبت خلال العقد الماضي اثناء قيامي بتدريس التاريخ العباسي بجامعة بغداد .

ولعل أهم ما توضحه هذه البحوث الفكرة التي تقول بان تاريخنا العربي الاسلامي حين بدأ يكتبه ابناء العروبة وجيلها الجديد الصاعد الذي تحرر من سيطرة الافكار الاستشراقية واعتمد على قدرته في البحث والتنقيب وقراءة المخطوطات واعادة تقويم الروايات التاريخية ، واستند على نظرة عربية في فهم التراث وتفسيره ... ان هذا التاريخ العربي ظهر بوجه جديد وبتفسير جديد يختلف عن الصورة التي جاء بها الاستشراق ونقلها مؤرخون عرب محدثون حتى بدايات النصف الثاني من هذا القرن .

فلم تكن الانتفاضات والثورات في تاريخ الاسلام حركات قامت على أكتاف الموالي بل على العكس فان اندفاع العرب بعد حروب التحرير والفتح الاسلامي الى اقاليم عديدة في هجرات حربية اعارها المؤرخون الاهتمام وهجرات سامية متتابعة لم يعرها المؤرخون الاهتمام ترك اثارا عميقة على الاقاليم الجديدة التي استوطنها العرب فغيروا طابعها الاعجمي وخلطوه بطابع عربي جديد فيه الكثير من مظاهر العروبة وقيمها . واذا كان تأثير عرب خراسان واضحا للعيان فان العرب في اقاليم اخرى من ايران مثل فارس وكرمـــان لعبوا دورا مهما حتى القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي . وكان زعماء القبائل العربية يعدون من ملوك فارس فقد وفد جعفر بن أبي زهير وهو من قبيلة بني سامه على الرشيد في ملوك فارس .

ومثلما يعاد النظر في تحليل الاحداث السياسية لا بد أن يعاد النظر

في تقديم الافكار والنظم الاسلامية وان لا يبالغ مثلا في النظرة القائلة بان نظم العباسيين مقتبسة من الفرس الساسانيين .. فلم تكن نظم الساسانيين ـ بهذه الدرجة من التقدم والتبلور ولم تستطع حضارة الساسانيين ان تصبغ بغداد بصبغة فارسية بل ظلت بغداد المنصور مدينة عربية في قيمها وتقاليدها ولغتها حيث استطاع رواد الفكر الاسلامي ـ من المحدثين والفقهاء والعلماء ان يجعلوا من المدينة الجديدة مدينة عربية واضحة المعالم .

ولا نريد ان نطيل الحديث في هذه المقدمة ولكننا نقول بان هناك اعتبارات محلية وسياسية وادارية وحضارية على الباحث ان يدركها حين يحاول البحث في مؤسسة من المؤسسات الادارية او الثقافية . فمؤسسة الوزارة العباسية مثلا لم تكن نسخة من الوزارة الساسانية ولم يكن ايجادها بسبب سياسة مقصودة من قبل الخلفاء العباسيين لجعل الحكم مناصفة بينهم وبين الفرس انطلاقا من الفكرة بان الثورة العباسية قامت على اكتاف الفرس . وهكذا بالنسبة لباقي المؤسسات .

على ان ما ذكرناه لا يتناقض بل يتماشى وينسجم مع الفكرة القائلة بان الحضارة بما فيها من نظم وافكار ذات صفة عالمية مرنة وهي ليست حكرا على شعب من الشعوب بل حصيلة تجارب الشعوب ثم ان تطور اية حضارة وازدهارها وتكاملها رهين بمقدار عالميتها وانفتاحها ..

ولعل السر في ازدهار حضارة العرب في عصورها الوسيطة هو اتصافها بالعالمية والانفتاح والمرونة .

المؤلف

١٩٧٦/١١/١٥

البَابُ الأول

في المظاهر السياسية

نصوص ساعد اكتشافها على اعادة تقويم الدعوة العباسية

لقد بحث الكثير من المؤرخين ، شرقيين وغربيين في تاريخنا الاسلامي وجاء قسم منهم بتفاسير جديدة ، او بأفكار مبتكرة ، او بدراسة استقصائية في المواضيع التي طرقوها ، ولكن هؤلاء المؤرخين (الباحثين) كان يعوزهم الشيء الكثير ، فقد اعتمدوا في الغالب على مصادر متيسرة لديهم في ذلك الوقت ، الا انها قليلة بالنسبة لما لدينا الان من كتب محققة ومخطوطات سهلة المنال ، في مكتبات العالم الكبرى . ثم ان بعض من بحث في التاريخ الاسلامي من المستشرقين لم يكن مدربا كمؤرخ فقد كان ينقصه الشيء الكثير مما يحتاجه المؤرخ . فالمعروف ان عددا من هؤلاء المستشرقين كان بدء ولعهم بتاريخنا من خلال دراساتهم للتوراة والانجيل والدراسات اللاهوتية الاخرى . وهناك نوع ثان من المستشرقين تعرفوا على تاريخنا بطريق الصدفة حينما وجدوا انفسهم في بلادنا اثناء ادائهم الخدمة العسكرية او ارسالهم من قبل البعوث التبشيرية أو لاداء خدمة دبلوماسية .

اما الجيل الجديد من المستشرقين فان اغلبهم درس التاريخ الاسلامي عن قصد ورغبة ، ولكن مؤهلات بعضهم لا تعينهم على اصدار انتاج اصيل فيما يكتبون عنه ، وذلك لانهم غير معدين لكي يكونوا مؤرخين . وهذا النوع من المستشرقين اما مؤرخون مدربون على التحقيق التاريخي ، ولكنهم لا يعرفون لغة الشعب الذي يدرسون تاريخه ولا البلاد التي يكتبون عنها ، او مؤرخون يعرفون اللغة والبلاد معرفة لا بأس بها ، ولكن اعدادهم لكتابة

بحوث تاريخية أصيلة يعوزه الكثير ، ولذلك فلا يمكن اعتبار بحوثهم تاريخا صحيحا . الا انني وانا أتكلم عن هذا الموضوع من المستشرقين ، علي أن أتذكر واعتز باولئك المستشرقين الثقاة الذين خدموا تاريخنا وثقافتنا خدمة علمية موضوعية كأحد ابنائها . . .

لقد قلت قولي هذا ، لانني الاحظ كتبا الفها مؤرخون محدثون من بلادنا العربية واعتمدوا فيها على تفاسير بعض قدماء المستشرقين ، ولذلك وقعوا في عين الاخطاء التي وقع فيها هؤلاء المستشرقون . وبالرغم من ان هذه الآراء الاستشراقية باتت قديمة في الغرب وظهرت بدلها تفاسير جديدة عدلت فيها وغيرت ، الا اننا لا نزال نتداول الآراء القديمة ونستند عليها ، ولا تزال كتب تصدر ، ومقالات تنشر ، مستندة على تلك الآراء التي آن لها ان تستبدل .

أما المثل الذي سنستند عليه في اثبات رأينا هذا فهو موضوع البحث نفسه اي « الدعوة العباسية » وما حدث في اعقابها . فلقد فسر المستشرق فان فلوتن (١) في اواخر القرن التاسع عشر – متأثرا بالروح القومية السائدة في اوروبا عامة والمانيا خاصة – الدعوة العباسية تفسيرا عنصريا (او قوميا) ، اي انها بصورة خاصة ثورة الموالي الفرس ضد الحكم العربي. وتبعه على هذا الرأي المستشرق الالماني ولهاوزن (٢) في كتابه (الدولة العربية وسقوطها) . وقد شاع هذا التفسير بين المؤرخين المسلمين في بلادنا وبين المستشرقين (٣) في بلاد الغرب (٤) ، حتى انهم فسروا كل حادثة

---

(١) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات (بالفرنسية) ١٨٩٤ . الترجمة العربية القاهرة ١٩٣٤ .

(٢) ولهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها (بالانكليزية) ١٩٢٢ . ترجمة عربية لعبد الهادي ابو ريدة .

(٣) انظر : جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي . – احمد امين ضحى الاسلام .
– فيليب حتي ، تاريخ العرب . – عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول .
– حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام . – شاكر مصطفى ، في التاريخ العباسي .
– عبد الجبار الجومرد ، ابو جعفر المنصور . – احمد شلبي ، التاريخ الاسلامي .
– حسن احمد محمود ، العالم الاسلامي في العصر العباسي .

(٤) انظر
B, Lewis, The Arabs in History 1950.

في العصر العباسي تفسيرا عنصريا ونظروا اليها بمنظار الكراهية بين الايرانيين والعرب او الآريين والساميين . الا ان تيسر نصوص تاريخية جديدة بعد العثور على مخطوطات جديدة ، أو باعادة تقييم (او تقويم) الروايات الموجودة في الكتب القديمة ساعد على اعادة النظر في التفسير العنصري هذا وتعديله ، او تبديله جذريا . ولقد توصل التفسير الجديد للدعوة العباسية الى انها لم تكن في حقيقتها ثورة الفرس او الموالي ضد العرب ؛ بل انها كانت ثورة العرب من الذين استوطنوا خراسان بعد الفتح الاسلامي ، وثورة العرب المقاتلة الذين تمركزوا في خراسان ليجاهدوا في سبيل الله ضد سكان تركستان والهند ، وكذلك ثورة الموالي من سكان البلاد المحليين . فلم تكن الثورة عنصرية ، قام بها الفرس ، بل ثورة ذات واجهات متعددة ، معتدلة ومتطرفة ، صفتها الغالبة اسلامية أي ان اغلبية العناصر العربية والفارسية التي انضمت اليها كان فهمها للاسلام اوسع وابعد مدى من الفهم الاموي . كما وان القوة الضاربة والفعالة في الثورة كانت تتكون من القبائل العربية فيخراسان (٥) . ونناقش الان بعض الكتب المحققة حديثا ، والمخطوطات التي لا تزال تنتظر التحقيق التي ساعدتنا على تكوين وجهة النظر الجديدة هذه :ـ

(١) أخبار العباس وولده : وهي مخطوطة محفوظة في مكتبة الاوقاف ببغداد ، ولها نسخة منقولة عن الاصلية محفوظة في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية ببغداد .

اما مؤلفها فمجهول ، الا ان الدكتور عبد العزيز الدوري(٦) وهو

B. Spuler, Iran in Fruh - Islamischer zeit, 1952.

C.A. Story, Persian Literature, 1935.

C. Brocklmann. History of the Islamic People, 1947.

T. Arnold, The Caliphate, 1924.

(٥) انظر :

E. I. (Ibrahim al - Imam) by Dr. F. Omar.

F. Omar, The Cimposition of the Early Abbàsid Support.

في مجلة كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ م .

(٦) الدوري ، ضوء جديد على الدعوة العباسية . مجلة كلية الآداب والعلوم جامعة بغداد ١٩٥٧ .

الان يحقق هذه المخطوطة يرى بأنه من المحتمل ان يكون صاحب هذه المخطوطة هو محمد بن صالح النطاح ولكنني أشك في ذلك ، لانني لم اجد لابن النطاح كتابا بهذا الاسم (٧) .

والمخطوطة في جوهرها تاريخية مرتبة على نظام النسب ، تبدأ بأخبار العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وتنتهي بوفاة ابراهيم الامام بن محمد العباسي . والواضح أن المؤلف موال للعباسيين فهو يمتدح البيت العباسي (وأعمالهم المجيدة ، وفضائلهم الحميدة) .

تحتوي المخطوطة على ٢٠٤ صفحات ، ويعتمد المؤلف على رواة ثقاة أمثال أبي مخنف (ت ٢٥٧هـ) ومصعب الزبيري (ت ٢٦٢هـ) والبلاذري (ت ٢٧٩هـ) وينقل كذلك عن شهود عيان ، ولذلك فهو يعتبر في بعض رواياته أشبه بوثيقة سرية عباسية . والظاهر ان المؤرخين المتأخرين أمثال الذهبي وابن ابي الحديد ، قد استفادوا منه دون ان يشيروا اليه .

وتظهر المخطوطة الاساليب التي تبنتها الدعوة لجذب رؤساء العشائر العربية في خراسان والعرب المستقرين في واحات مرو وقراها . كما وان الروايات عن شخصية الامام ابراهيم ، ووصيته لابي مسلم بان يتقرب الى اليمنية والربعية وان يفسح المجال لمضر كذلك للدخول في الدعوة . كما واننا نستطيع المقارنة بين دور ابي مسلم وسليمان الخزاعي وخازم التميمي وقحطبة الطائي في الثورة وتظهر مثلا الى أي مدى قد بالغت روايات المؤرخين الاخرين مثل الدينوري او حمزة الاصفهاني في دور ابي مسلم الخراساني .

وتظهر المخطوطة استنكار الامام محمد العباسي للمبادىء المتطرفة التي نادى بها خداش كبير دعاة خراسان بعد افتضاح عقيدته المتطرفة (الخرمية) .

(٢) مخطوطة (نبذة من كتاب التاريخ) : نشر هذه المخطوطة كرايزنوفج الاستاذ في معهد المستشرقين في موسكو . وقد ترجمها الى اللغة الروسية كذلك (٨) . والمخطوطة مجهولة المؤلف ، وهي جزء من كل

---

(٧) فاروق عمر ، الخلافة العباسية ، (بالانكليزية) بغداد ١٩٦٩ ــ الفصل الاول .

(٨) نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول في القرن الحادي عشر ١٩٦٠ موسكو .

مفقود ، وهي بهذا تشابه مخطوطة (أخبار العباس .....) آنفة الذكر .

والحقيقة ان مقارنة المخطوطتين تظهر بان مؤلف (النبذة) قد اختصر مخطوطة (أخبار العباس) باقتباسه الروايات المهمة ، واحيانا بدمجه عددا من الروايات في رواية واحدة منسقة مع اختصار سلسلة الرواة .

ان المؤرخ المدقق الذي يقارن بين روايات المخطوطتين يشاهد امثلة عديدة للاتفاق ، واخر مثل لهذا الاتفاق هو صفحة (٢٩٠) أ من (النبذة) و (٢٠٢ ب) (من اخبار العباس) وهنا تنتهي مخطوطة أخبار العباس بينما تستمر (النبذة) فتروي تنصيب أبي العباس خليفة للمسلمين ومؤامرة الخلال .

والطريقة التي تنتهي بهما كلتا المخطوطتين تدل بوضوح على ان كلتيهما ناقصتان . ان مقارنة الصفحات في الجدول التالي تبين الى أي مدى اعتمد مؤلف النبذة على مخطوطة أخبار العباس :

اخبار العباس			النبذة		
ص	٧٤	أ	ص	٢٤٥	ب
=	٨٤	ب	=	٢٤٦	أ ـ ب
=	١٠٢	ب	=	٢٥٤	أ
=	١٠٦	أ	=	٢٥٤	ب
=	١٨٣	أ	=	٢٨٢	ب

(٣) مخطوطة أنساب الاشراف : للبلاذري (٢٧٩/٨٩٢) وهو كتاب تاريخي ضمن اطار النسب (٩) . وحين تتكلم المخطوطة عن العباسيين تصف حوادث الدعوة العباسية وتطوراتها ، ثم تسرد

---

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف . مخطوطة باريس . المكتبة الوطنية الرقم ٦٠٦٨ عربية. أنساب الاشراف نسخة استانبول .

الحوادث التي وقعت في عهود الخلفاء العباسيين الواحد بعد الاخر، فنجد مثلا معلومات قيمة ومفصلة عن حوادث سياسية تحت اسم الخليفة ابي العباس وهي : ابن هبيرة ومقتله ، أمر السفياني ، أمر بسام بن ابراهيم ، وهكذا ... وينقل البلاذري عن رواة مشهورين وثقاة من بينهم المدائني ، وعمر بن شبه والهيثم بن عدي ، وأبو عبيدة ، والواقدي .

ان المعلومات الموجودة في مخطوطة أنساب الاشراف مهمة لانها تكمل النواقص الموجودة في تواريخ الطبري ، واليعقوبي والمسعودي .

(٤) مخطوطة كتاب الفتوح (النسخة العربية الاصلية) (١٠) لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ/٩٢٦م) وهو مؤرخ عربي عاش في القرن الثالث الهجري ـ التاسع الميلادي ، وكان معاصرا لنخبة مشهورة من المؤرخين المسلمين الا ان ما يعرف عنه شيء قليل بالنسبة الى معاصريه . اما كتابه (الفتوح) فلم يعرف الا حديثا ، ولذلك فان قليلا من المؤرخين المحدثين استغلوا ما فيه من معلومات قيمة . وقد اطلع عليه الدكتور محمد عبد الرحيم شعبان حين كتب اطروحته عن الجذور السياسية والاجتماعية للثورة العباسية ، كما انني اطلعت عليه حين كتابة اطروحتي عن الخلافة العباسية في العصر العباسي الاول . لا بد لي ان اقول منذ البداية ان ابن أعثم كتب كتابا في الفتوح ولم يكتب تاريخا ، ولذلك فكما اننا لا نأمل من البلاذري في فتوحه ان يذكر حوادث سياسية كثيرة، فيجب أن لا نأمل من ابن أعثم ان يفصل في الحوادث السياسية فهذا ليس من شأنه حين يكتب فتوحه .

والمعروف ان الترجمة الفارسية للاصل العربي لكتاب الفتوح موجودة بنسخ متعددة ومعروفة لدى قراء الفارسية من المؤرخين ، وكان الاصل قد ترجم من قبل محمد المستوفي سنة ٥٩٦ ـ ١١٩٩ ، وبقي متداولا حتى وجد الاصل العربي في استانبول في مكتبة توبقابي سراي .

يبدأ الجزء الاول من مخطوطة الفتوح بخلافة عثمان بن عفان سنة

---

(١٠) ابن أعثم الكوفي ، كتاب الفتوح . استانبول ، مكتبة احمد الثالث رقم ٢٩٥٦ .

٢٣ ــ ٣٥هـ وينتهي ببدء ثورة المختار بن عبيد الثقفي سنة ٦٦هـ/ ٦٨٥ ــ ٦٨٦م .

أما الجزء الثاني فيستمر في رواياته عن ثورة المختار ثم ينتهي بثورة بابك الخرمي في عهد الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ ــ ٢٢٧هـ) . وتتكون المخطوطة من ٥٤٨ صفحة ، ٢٧٠ للجزء الاول ، ٢٧٨ للجزء الثاني . ويسير الكوفي على طريقة اليعقوبي في ذكر رواته ، فهو لا يذكر أسانيد الرواة الذين اعتمد عليهم الا في بداية المخطوطة فيقول : «قال ابو محمد أحمد بن أعثم الكوفي حدثني أبو الحسين علي بن محمد القرشي قال حدثني عثمان بن سليم عن مجاهد عن الشعبي وابي محصن عن ابي اسحاق قال وحدثني بعتم بن مزاحم قال حدثني ابو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي الاسلمي قال وحدثني عبد الحميد بن جعفر عن زيد حدثني ابو المنذر هشام بن محمد بن السايب قال حدثني لوط بن يحي بن سعيد الازدي عن الحرث بن الحصين بن عبد الرحمن بن عبيدة عن النصر بن صالح بن حسين ابن زهير قال وحدثني عمران بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن عوف عن عبدالله بن يزيد عن صالح بن ابراهيم وزيد بن عبد الرحمن الواقفي وعلي بن حنظلة بن سعيد الشامي ، وغير هؤلاء ذكروا هذا الحديث سرا وعلانية ، وقد جمعت ما سمعت من رواياتهم على اختلاف لغاتهم فألفته حديثا واحدا على نسق واحد ... » .

ويعتبر كتاب الفتوح من أقدم الكتب التاريخية التي الفت عن القرنين الاول والثاني للهجرة ، ولذلك فهو لا يعطي فقط روايات تاريخية عن الحوادث المختلفة ، ولكنه برواياته يعتبر مصدرا تقاس عليه روايات من سبقه او عاصره من المؤرخين كالبلاذري والطبري واليعقوبي والمسعودي والدينوري وغيرهم . وبمقارنة الروايات نستطيع ان نتوصل الى الحقيقة التاريخية كما حدثت او اقرب ما يكون الى ذلك . الا ان الذي يجلب الانتباه في هذه المخطوطة ان ابن أعثم ما ان ينتهي من دولة الامويين حتى يبين بوضوح بأن هذا نهاية كتابه « الفتوح » . ولذلك فانه يعمد الى ذكر اسانيد جديدة ورواة جدد مرة ثانية مثل المدائني والبلاذري والهيثم بن عدي وكأن القسم الجديد لتلك المخطوطة ، قسم ثان لا علاقة له البتة بكتاب الفتوح

فهو يقول : « .. الى ان ظهرت المسودة في أرض خراسان مع أبي مسلم ودنا زوال بني أمية فهذا أكرمك الله اخر الفتوح ، ونبتدىء بعد هذا في أخبار نصر بن سيار والكرماني وأبي مسلم الخولاني الخراساني » .

ان عدم عمق الروايات في القسم الاخير من المخطوطة هذه بالاضافة الى وضوح الميول العلوية بصورة تجلب الانتباه ، تدعو المؤرخ الى الشك في نسبة هذا القسم الاخير المبتدىء بظهور المسودة لكتاب الفتوح ، وربما كان القسم قد أضيف الى المخطوطة في وقت متأخر . اما اذا كان هذا القسم جزءا لا يتجزأ من المخطوطة ، فانني لا بد ان أحذر المطالع او طالب البحث بأن يأخذ جانب الحيطة ويتمعن في الروايات قبل قبولها نظرا لسطحيتها اولا ولميول المؤلف العلوية ثانيا. اما من حيث المادة التاريخية التي تحتويها المخطوطة ففي الجزء الاول تضم المخطوطة معلومات غزيرة عن المواضيع التالية : ــ

١ ــ استقرار العرب في المناطق التي فتحوها ، فهناك معلومات مهمة جدا عن استقرار العرب في خراسان غير موجودة في كتب أخرى أو معلومات اضافية وموضحة لما هو موجود في البلاذري او الطبري .

٢ ــ تزخر المخطوطة بمادة دسمة حول فتح العرب لارمينية وتاريخ ارمينية تحت الحكم الاسلامي حتى عهد المعتصم ، وكذلك تذكر استقرار قبائل عربية في اقليم ارمينية وتفصل في مصادمات الجيش الاسلامي مع الخزر .

٣ ــ أما المعلومات عن الحوادث السياسية مثل مقتل عثمان وثورة المختار الثقفي وغيرها من الحوادث فهي متممة لمعلومات موجودة في مصادر أخرى ، ولذلك تعطي لطالب البحث فرصة لقياس او مقارنة وتدقيق المادة التاريخية التي جمعها بمعلومات ابن أعثم الكوفي .

فمن جملة ما يمكن ان يستنتجه الباحث المدقق من هذه المقارنة ان كتاب البلعمي الذي يعتبر ترجمة التاريخ الطبري ، لم يكن في حقيقته مجرد ترجمة ، بل ان هناك اضافات ونقولا من ابن أعثم الكوفي في تاريخ البلعمي . كما ان المقارنة الدقيقة قد تثبت ان ابن الاثير اعتمد على ابن أعثم في بعض اضافاته ونقوله غير الموجودة في تاريخ الطبري .

٤ ــ تظهر نزعة ابن أعثم الكوفي الميالة للعلويين حينما يتطرق لثورات

العلويين في العصر الاموي والعباسي معا فهو يظهر مثلا ان الثورة العباسية لم تكن منظمة ومدبرة من قبل شخصيات عباسية ودعاة عملوا من اجل العباسيين، وانما كانت ثورة باسم (أهل البيت) عامة. ويبالغ في اظهار السنوات الاولى من الحكم العباسي وكأنها سنوات مجازر دموية للثأر لاهل البيت من الامويين . ولا يذكر مطلقا محاولة ابي سلمة نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين وانه قتل بسبب غروره وسلطته الواسعة التي فاقت سلطة الخليفة . كما وان ابن اعثم هو المصدر الوحيد الذي تظهر فيه الاضافة التالية في رسالة ابي مسلم المعروفة الى المنصور « ... وأوطأت غيركم ممن كان فوقكم من آل رسول الله بالذل والهوان والاثم والعدوان ... » مشيرا الى العلويين وحقهم بالخلافة .

والجدير بالذكر ان رواياته التاريخية في العصر العباسي على العموم ، غير متكاملة وغير موثوق بها خاصة وان الحوادث مختارة وغير متسلسلة من الناحية التاريخية ، ثم انه لا يذكر الا الراوي الرئيسي دون تبيان لسلسلة الرواة ، ولابن أعثم عذر في ذلك لانه لم يكن قصده ان يؤلف كتابا تاريخيا (في التاريخ) وانما في الفتوح ومادته التاريخية مختصرة من عهد المهدي العباسي (١٥٨/٧٧٥ ـ ١٦٩/٧٨٥) فصاعدا ، وحيثما يتكلم عن علاقة العلويين بالهادي العباسي يقول « ... ولموسى أخبار مع العلوية لا نحب ان نوردها » . فهو دائما يتمنع عن ذكر تفاصيل عن العلويين ، او يظهر معلومات قد تسيء اليهم من جهة او اخرى . ان الفتوح لابن أعثم الكوفي مخطوطة جديرة بالتحقيق والنشر لمعلوماتها الغزيرة عن الفتوحات العربية واستقرار العرب ، والادارة في العهد الراشدي والاموي ، كما وانها تساعد على تفهم طبيعة الثورة العباسية وواجهاتها وجذورها الاجتماعية والسياسية ، اما مادتها في العصر العباسي الاول فبالرغم من سطحيتها وميلها للعلويين فانها تزود الباحث الناقد بوجهة نظر عليه أن يتمعن فيها ويقارنها بغيرها من الروايات قبل ان يقبلها ، فقد قيل ان الاساس في التاريخ هو الشك والاتهام لا براءة الذمة .

٥ ـ مخطوطة كتاب الفتن (١١): لنعيم بن حماد المروزي الخزاعي (ت٢٢٨هـ

(١١) نعيم بن حماد المروزي الخزاعي ، مخطوطة كتاب الفتن . مكتبة المتحف البريطاني (لندن) رقم ٩٤٤٩ .Or .

٨٤٢ ـ ٨٤٣م) لقد كتب كثير من الكتاب في الملاحم والفتن ، ويذكر علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني (ت٦٦٤هـ) صاحب كتاب الملاحم والفتن انه اقتبس من كتاب الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي وكتاب الفتن لابن صالح السليلي وكتاب الفتن لابي يحيى بن زكريا بن الحارث البزاز ، كما وان كتب الحديث والمساند تحفل بالاحاديث والروايات والتنبؤات عن الفتن والثورات وظهور المهدي او المنقذ المنتظر . ففي مؤلفات البخاري واحمد بن حنبل وأبي داود أقسام خاصة أو أحاديث متفرقة حول نفس المواضيع . ونعيم بن حماد الخزاعي هذا كان من اساتذة البخاري ومسلم ، وقد رحل في طلب العلم والحديث في انحاء مختلفة من الدولة الاسلامية واستقر في مصر في العصر العباسي الاول . وحين اظهر المأمون مذهب المعتزلة وأعلن مبدأ خلق القرآن عارض الشيخ الخزاعي ذلك وكان أشد خصوم المعتزلة في مصر ، وقد جلبه الخليفة المعتصم الى العراق حيث سجن حتى توفي في ١٣ جمادى الاولى سنة ٢٢٨هـ . والمخطوطة تنقسم الى مواضيع وتحت كل موضوع مجموعة من الاحاديث المنسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصحابة او التابعين مسلسلة من الرواة . وكل هذه الاحاديث تنبؤات عما سيحصل من الفتن او ظهور المهدي او السفياني او عن أحداث تاريخية. ويظهر ان قسما كبيرا منهذه الاحاديث وضعت فيما بعد expost اي بعد وقوع الحادثة التاريخية ولتبريرها في نظر المجتمع او تقريبها للناس .

ومما يجلب النظر تنبؤات المؤلف ونظرته الثاقبة حول الترك بالرغم من انه عاش في زمن المأمون والمعتصم حيث بدأ نفوذ الاتراك في الدولة بالتزايد (١٢) ولم يبلغ حد السيطرة والسطوة بعد ، فان المؤلف يحذر من خطورتهم على دولة الاسلام ولا بد لي ان انبه بان المؤلف كان ضد المعتزلة وضد الشيعة العلويين معا ولذلك يجب الانتباه الى ذلك حين قراءة مخطوطته . ولا بأس هنا من ذكر بعض

---

(١٢) الدكتور فاروق عمر ، نظرة الى علاقة الترك بالخلافة العباسية (في مجلة المكتبة) . عدد (٦٥) ١٩٦٨ .

مواضيع المخطوطة ومنهـا تنبؤات الرسول (ص) عن الحوادث ، التفريق بين الخلفاء والملوك ، أسماء خلفاء الرسول (ص) ، ـ حكم بني أمية ، علامات هلاك بني أمية ، ونهاية حكمهم ، قيـام بنـي العباس ، ـ العلامات الاولى لتدهور حكمهم وظهور الترك ، بداية الفتن في بلاد الشام ، علامات ظهور السفياني ، وصف السفياني ، الرايات السود للمهدي ، علامات ظهور المهدي ، أين يظهر الدجال ، ثورة الحبشة ، الترك .

ان مخطوطة الفتن لنعيم الخزاعي موجودة في المتحف البريطاني في لندن وهي جديرة بالتحقيق والنشر نظرا لقدمها واعتماد اكثر من كتبوا عن الموضوع عليها اولا ، ولان ما فيها من احاديث ـ سواء صح اسنادها الى رسول الله (ص) والصحابة أم لا ـ لها اهميتها التاريخية لانها تعبر عما كان يختلج المجتمع بما فيه من كتل دينية وسياسية من آلام وآمال وأهداف وتطلعات .

٤ ـ مخطوطة المقفى الكبير ومخطوطة منتخب التذكرة للمقريزي :

المقريزي مؤرخ متأخر بالنسبة لتاريخ صدر الاسلام فقد عاش في مصر في الفترة المملوكية وتوفي سنة ٨٤٥هـ ـ ١٤٤١م واشهر مـا اشتهر من كتبه المطبوعة كتاب الخطط ، وكتاب البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب . اما عن مخطوطة المقفى الكبير (١٣) فجزء منها محفوظ في المكتبة الوطنية في باريس وهي في جوهرها تاريخ مرتب على نظام التراجم والانساب . وهي بذلك عـلى نمط كتاب انساب الاشراف للبلاذري الذي يعتمد عليه المؤرخ المقريزي اعتمادا كبيرا . ونستطيع القول بأن المؤرخ يختصر أنساب الاشراف ونادرا ما يذكر كل سلسلة الاسناد التي توجد في انساب الاشراف وانمـا يكتفـي بذكر الروايـة الرئيسية مثل المدائني والهيثـم بن عدي والمفضل الضبي . والمخطوطة مزودة كذلك بعناوين جانبية مفيدة تزيد من وضوح الاخبار الموجودة فيها .

ان المقفي الكبير مخطوطة مهمة ذلك لان مؤلفها وهو مؤرخ متـأخر يذكر المصادر والرواة الذين استقى منهم ، واذا علمنا بان مخطوطة

---

(١٣) المقريزي ، المقفى الكبير . المكتبة الوطنية باريس رقم Arabe 2199 .

انساب الاشراف كبيرة ومتعددة الاجزاء وتحتاج الى جهد مجموعة من العلماء لاخراجها وهم يقومون بذلك الان فما أحرانا ان نبذل الجهد لاخراج المقفى الكبير الى حيز النشر والتحقيق .

اما مخطوطة منتخب التذكرة (١٤) فتتكون من (١٦٥) صفحة وتنقسم الى قسمين ـ الاول : تراجم الخلفاء وخصائص حكمهم ، والثاني ، تاريخ يتبع نظام الحوليات اما الحوادث التي ذكرت فهي حوادث منتخبة ولذلك فهو لا يذكر سلسلة رواته . ان مقدمة هذه المخطوطة تثبت بان منتخب التذكرة هو اختصار لكتاب اخر للمقريزي ويسمى « كتاب التذكرة » ويظهر هدف المؤلف من تأليف الكتاب انه للعظة والاعتبار بتجارب العهود السالفة . والمخطوطة ذات فائدة بالرغم من كونها متأخرة حيث توجد فيها معلومات وتعليقات قيمة كما هو الحال في غيرها من المؤلفات المتأخرة مثل مؤلفات الذهبي وابن خلدون ، وهذه المعلومات الجديدة والتعليقات الذكية تبعث في طالب البحث مزيداً من التساؤلات التي قد توصله الى تفسيرات جديدة في الفترة التي يبحثها .

٧ ـ تاريخ الموصل (١٥) : لابي زكريا محمد بن يزيد الازدي المتوفى سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م : لا بد لي من ان اقول قبل بدء الكلام عن مخطوطة تاريخ الموصل ان التواريخ العامة كتاريخ اليعقوبي والطبري مثلا تظهر اهتماما اكثر بالاقاليم المركزية كالعراق والمقاطعات المجاورة لها ولا تكترث كثيرا بذكر تفاصيل ما يجري في الاقاليم البعيدة ، اللهم الا اذا حدثت احداث غاية في الاهمية وحتى هذه الاحداث

---

(١٤) المقريزي ، منتخب التذكرة . المكتبة الوطنية باريس رقم Arabe 1514

(١٥) الازدي ، تاريخ الموصل . شستر بيتي (ايرلندا) دبلن رقم 3030 النسخة مصورة عن نسخة دبلن محفوظة فى مكتبة (مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية فى جامعة لندن برقم S. G. VII. 163) .

نسخة اخرى محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد وقد حقق الدكتور علي حبيبة هذه المخطوطة ونشرها سنة ١٩٦٧ م .

انظر كذلك الدكتور فاروق عمر . نقد وتعريف بكتاب تاريخ الموصل . مجلة المكتبة عدد (٦٤) ، ١٩٦٨ .

كالثورات الخطيرة مثلا لا تذكرها الا باختصار . ولذلك فان جل اعتمادنا في الاحداث التي وقعت في الاقاليم البعيدة يعتمد على التواريخ المحلية التي كتبها مؤرخون من نفس المدينة او الاقليم الذي عاشوا فيه مثل تاريخ الموصل وتاريخ طبرستان وتاريخ سجستان وتاريخ قم والبيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب .. الخ .. الا انه يجب ان أستدرك فأقول ان المدن الاسلامية لم تكن كلها محظوظة بوجود مؤرخين قديرين من أبنائها كتبوا تاريخها كما وانه ليس كل ما كتب بقي ، فقد عفى الدهر على الكثير من امهات الكتب في التاريخ المحلي ، وقد فطن الى ذلك المستشرق القدير بروكلمان فذكر في كتابه (تاريخ الادب العربي) انه لم يستطع ان يعثر على تواريخ محلية لاقليم عمان (بضم العين) الا بعد القرن الحادي عشر الميلادي ، ولذلك بقي تاريخ هذه المنطقة غير معروف لديه قبل ذلك العهد الا انه بدأت بوادر النهضة الحديثة في تحقيق الكتب ونشرها بالظهور في الشرق الاسلامي ، ونشرت كتب كثيرة بعد ان عثر عليها في مكتبات مختلفة وظهرت مخطوطات فريدة كان يظن انها قد ضاعت الى الابد ومن بينها مخطوطة تاريخ الموصل لابي زكريا الازدي .

كان ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدي مؤرخا ومحدثا مشهورا والحق ان هاتين الصفتين كانتا متلازمتين للمؤرخين المشهورين في القرون الاسلامية الاولى . . واشتهر أبو زكريا بكتابه « تاريخ الموصل » الذي وصف بانه يبحث في طبقات المحدثين المشهورين من اهل الموصل او الذين أقاموا فيها او زاروها الا أن النسخة الموجودة من تاريخ الموصل تبحث في تاريخ الموصل السياسي وتسير حسب السنين من سنة (١٠١هـ/٧٢٠م ـ ٢٢٤هـ/٨٣٨م) وهي الجزء الثاني من الكتاب حيث يظهر ان الجزء الاول مفقود . ولذلك فان الكتاب الخاص بطبقات المحدثين والمنسوب الى ابي زكريا ربما كان جزءا مفقودا من تاريخ الموصل او كان كتابا مستقلا بحد ذاته كما هو الحال في كتاب التاريخ وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط .

ان المخطوطة التي سنصفها هنا هي المخطوطة الموجودة في مكتبة : Chester Beatty Library في مدينة دبلن عاصمة ايرلندا . ان مخطوطة

تاريـخ الموصل كما يدل اسمها متصلة بصورة خـاصة بحـوادث الموصل السياسية ، وبها معلومات اقتصادية واجتماعية وادارية لا يأس بها . وبالرغم من انها تعالج تاريخا محليا الا انني يجـب ان استدرك فأقول انها تشير الى حوادث كثيرة حدثت خارج الموصل في منطقة الجزيرة ، وحتى خارج منطقة الجزيرة في أقاليم مختلفة من الدولة الاسلامية وخاصة تلك الحوادث التي لها علاقة بالموصل او أثرت عليها بطريقة او بأخرى ولذلك فالمخطوطة لها صفة التواريخ العامة الشاملة اضافة الى كونها تاريخا محليا ولكن الازدي لا يعالج الحوادث التي تقع خارج منطقة الجزيرة بالتفصيل الا اذا كان بهـا مساس بتاريخ الموصل ، فهو يذكر الحركات الخارجية في الحجاز مثلا ويفصل فيها وذلك لان جماعات قبلية وشخصيات موصليـة اشتركت فيها ويذكر بعض الولاة من أهل الموصل الذين عينوا لحكم بعض الاقاليم ويتتبع أعمالهم وهكذا .. والذي يزيد من أهميـة مخطوطة تاريخ الموصل هي اعتماد الأزدي على طريقة المحدثين في نقل الروايات فيعطي لكل رواية سندها على طريقة الطبري ، وربما فاق الطبري في ذلك ، ومن جملة الرواة الذين اعتمد عليهم :
المدائني ، الهيثم بن عدي ، احمد بن زهير ، ابو معشر السندي ، خليفة بن خياط . ولم يكن الازدي متحيزا او ذا ميول سياسية واضحة ، ولكنه في كتابه يظهر عطفا على العلويين الا ان هذا العطف لم يجعله يتحزب للقضية العلويـة في صراعهـا ضـد الامويين او العباسيين . وقد كان الازدي صادقا حين وصف طريقته :
« ولم أعمل هذا الكتاب من كتاب معمول مؤلف اعتمدت فيه على أمر الموصل خاصة وانما جمعته من كتب شتى وقد ذكرت ما وجدت ولم أعدل عن الصدق » . والمخطوطة التي لدينا ، هي الجزء الثاني تختص بأواخر العهد الاموي ، والعصر العباسي الاول ، وتعطي بذلك صورة واضحة لعصر الانتقال من الامويين الى العباسيين فتوضح معنى الانتقال وطبيعته من حيث التقلبـات السياسية والثـورات والانتفاضات الحادة التي رافقت الثورة العباسية ، ثم رد الفعل الذي حصل في أعقاب الثورة وبعد تأسيس الدولة العباسية الجديدة.
ولعل أول ما يلفت النظر لقـارىء المخطوطة بامعان مدى المبالغة الموجودة في الفكرة القائلة بأن الثورة العباسية كانت ثورة الفرس

على العرب ، وان الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس . فالازدي يظهر بوضوح مدى اعتماد الثورة على العرب كقوة ضاربة فعالة وتركيز الدعاة على كسبهم . ثم انه يبين بوضوح كيف ان انحياز شيوخ القبائل العربية والكتل القبلية الى جانب الثوار من أهل خراسان أدى الى رجحان كفة الثورة العباسية ، وبالتالي نجاحها والامثلة على ذلك كثيرة مبعثرة هنا وهناك منها ان الخليفة العباسي اقطع وائل بن السحاج وغيره من شيوخ القبائل قطائع في الموصل لبلائهم في الحرب ضد مروان بن محمد (١٦) . ويقول الازدي على لسان الخليفة ابي جعفر المنصور :

« ... والنقباء اثنا عشر نقيبا كلهم يمانية ... » . ثم يتكلم المنصور عن اليمانية فيقول « فيحق لنا ان نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا ... » (١٧) ويعطي الازدي معلومات مفصلة عن حوادث الثورة في الموصل ١٣٣هـ/٧٥١م تلك الثورة التي حدثت في أعقاب انتصار العباسيين على الامويين ، فيذكر روايات مختلفة عن أسباب الثورة ومضاعفاتها ويذكر أسماء القتلى من أشراف الموصل ، والقصائد التي قيلت في رثائهم ويقول منددا بالسياسة العباسية :

« كذب والله من زعم ان هؤلاء (أي العباسيين) مسلمون » .

ومن المزايا الكثيرة التي تميز المخطوطة (تاريخ الموصل) عن غيرها احتواؤها على معلومات فريدة قلما تجدها في كتب اخرى ، او انها معلومات توضح الالتباس الحاصل حول قضية تاريخية ، ومن جملة ملاحظات الازدي الذكية في هذا الباب :

١ — ما يرويه عن المدائني ان عبدالله بن الحسن المحض (من الفرع الحسني) كان قد اشار على جماعة من الخراسانيين الذين جاءوا الى المدينة بان يتخذوا محمد بن علي العباسي اماما لهم وان يلتزموه. وسواء كان هذا الخبر صحيحا او موضوعا فانه يظهر ان الناس بوجه عام كانت تنظر الى كل فروع بني هاشم على انهم سواء في

---

(١٦) الازدي مخطوطة تاريخ الموصل ص ١٤٩ .

(١٧) نفس المصدر السابق ص ١٩٤ .

احقية وراثة الخلافة بعد رسول الله (ص) هذا بالرغم من ان كل فرع من الفروع كان له شيعة تدعي بانه أحق من غيره ، وخاصة بعد ضعف الامويين وقرب نهاية دولتهم حيث ظهرت زعامات هاشمية متنافسة .

٢ ـ يذكر الازدي وصية الامام ابراهيم لابي مسلم حين أرسله الى خراسان وفيها لا يذكر الزعم القائل بان ابراهيم أوصى ابا مسلم بقتل كل من يتكلم العربية وانما يقول : « ... فاقتل من شككت في أمره ومن كان في نفسك منه شبهة او وقع في نفسك منه شيء وأيما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله .. » (١٨) . وبهذا تحسم مخطوطة الازدي المشادة التي لا تزال بين المؤرخين حيث ينقسمون الى قسمين أحدهم يؤكد بأن الثورة العباسية كانت موجهة ضد العرب ويستندون على الوصية الموضوعة لابراهيم الامام ، والقسم الاخر يؤكد بأن الوصية او جزءا منها على الاقل موضوع من قبل العناصر المناوئة للثورة لاظهارها بمظهر الثورة الفارسية ضد العرب ولتبرير قتل مروان لابراهيم الامام .

٣ ـ يظهر الازدي الدعاية العباسية اثناء الدعوة وكذلك الدعاية المقابلة الاموية ضد الثورة العباسية . ومن جملة ما يذكره قول مروان اخر خلفاء الامويين في خطبته في عسكره « يا بني الاحرار احملوا على هؤلاء فانهم حشو من أهل شهر زور وليس معهم من أهل خراسان ومن أهل البصائر كثير » . ان لفظ (أهل خراسان) مهم هنا ، فهو يؤكد ان المقصود بهم عرب خراسان من المقاتلة والمستقرين وتذكر المصادر أن هناك ما يقارب ال (٥٠) ألف عربي عدا عائلاتهم التي تقدر بـ (٢٥٠) ألف . فاصطلاح (أهل خراسان) يشابه اصطلاح أهل البصرة وأهل الكوفة الذي كان يطلق بصورة عامة على من سكن من العرب هذه الامصار بعد تمصيرها . وان زعم مروان بأن الجيش الخراساني هم حشو ليسوا من أهل خراسان يؤكد أهمية العرب كقوة ضاربة في الثورة العباسية ، ويفند التفسير العنصري للثورة العباسية خاصة وان الازدي نفسه في مخطوطه لا يذكر عربا او عجما

---

(١٨) نفس المصدر السابق ص ٥٧ .

وانما يستعمل تعابير مثل : «أصحاب مروان » و « أصحـاب أبي عون » تلك التعابير التي تدل على أن الثورة العباسية لم تكن عنصرية ولا حتى قبلية وانما أعمق من ذلك بكثير .

٤ ــ ونحن مدينون للازدي بالنص الكامل للامان الذي أعطـاه المنصور لعمه عبدالله بن علي الثائر في بلاد الشام . وهذا النص كتبـه ابن المقفع ويذكر قسما منه الجهشياري في كتابه « الوزراء والكتاب » ويبدا هذا الامان الشديد الاحكام كما يأتي :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس خليفة الله على من ولاه أمره من المسلمين والمعاهدين لعبدالله بن علي بن عبدالله بن علي بن العباس انه قد أمنه واخلص في ذلك النية واشهد الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الذي بيده نواصي الانام وهو يسمع جرس الكلام ... » (١٩) .

٥ ــ ويفصل الازدي في الثورات الخارجية تفصيلا ويذكر حتى الخوارج الذين ثاروا في مناطق اخرى عدا الموصل والجزيرة . وهنا ينقـل ابن الاثير في كتابه « الكامل في التاريخ » منه دون اي ذكر له ولكتابه. ويذكر الازدي الرسالة التي وجهها المهدي الى الثائر الخارجي عبد السلام اليشكري سنة ١٦٠هـ حيث يقول فيها :

« ... اني عجبت من اقدامك وبغيك حيث تكلمت كلمة حق اردت بها باطلا ... » ولكن الازدي لا ينقل جواب الرسالة التي وجههـا اليشكري الى الخليفة المهدي ربما لان الجواب كان صارما وشديدا وهو موجود في « كتاب التاريخ » لخليفة بن خياط .

٥ ــ ويذكر الازدي ثورة العبيد في البصرة في زمن المنصور سنة ١٤١هـ ولا ذكر لهذه الثورة في الطبري وكتب التاريخ الاخرى ويذكرهـا البلاذري في مخطوطته « أنساب الأشراف » (١٠١هـ) . كما ويذكر تمرد عم المنصور اسماعيل بن علي على الخليفة في الموصـل سنـة ١٤٢هـ ، وتمكن المنصور من القضاء على التمرد ، ذلك لان رابطـة الموصل العسكرية بقيادة القائد ابن مشكان تخلت عن الثائر وايدت

---

(١٩) نفس المصـــدر الســـابق ص ١٤٥ .

السلطة المركزية (٢٠) .

٧ ـ ان مخطوطة الازدي تحفل بالكثير من الامثلة التي تدل على سياسة المراوغة والخديعة والعصبية القبلية التي اتبعها المنصور بضرب القبائل اليمانية والمضرية بعضها ببعض من اجل كسر شوكة هذه القبائل واستحالة اتحادها ضد السلطة المركزية . وقد قرب المنصور الكثير من شيوخ القبائل في مناطق مختلفة واستطاع باصطناعهم ان يأمن من الاضطرابات في مناطقهم ، وكان شيوخ القبائل واشرافهم يعرفون بدورهم كيف يتقربون من المنصور. فيروى ان اسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسري البجلي سئل مرة من قبل احد صحابة المنصور متى يظهر قحطانيكم يا اسماعيل ؟

فقال اسماعيل : قد ظهر واني لانتظر ان يركب عنقك واعناق نظرائك غدا فهو المهدي ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ابن اختنا .

وقد قال رسول الله ابن اخت القوم منهم .

فأعجب الخليفة كلامه وولاه الموصل (٢١) .

ان مخطوطة تاريخ الموصل تعد ولا شك من المخطوطات المهمة ليس فقط للمعلومات القيمة الكثيرة التي تذكرها في الفترة التي تعالجها ، ولكن لبعض الملاحظات الذكية من قبل المؤلف نفسه ، فهو حين يتكلم عن موت الهادي يذكر التعليق التالي ، الذي يدل على يد الخيزران في المؤامرة حيث يقول : « وذكر اهل السير انه لما انصرف عن الموصل كتب الى عماله شرقا وغربا بالقدوم اليه ليخلع هارون ويبايع لابنه جعفر فوقفت امه الخيزران على ذلك وكان قد تغير لها فخافته على هارون ، وكانت اليه أميل فكان منها في امره ما اغنى عنه وعن ذكره فبعثت الى يحيى بن خالد كاتب هارون الحق الامر فقد تلف الرجل فبايعوا هارون » (٢٢) .

لقد عرضت في هذا البحث بعض المخطوطات التي اطلعت عليها خلال فترة بحثي في موضوع الدعوة العباسية وهاأنذا اضع المخطوطات بين يدي طلبة البحث من أجيالنا الصاعدة وكل من له ولع في التاريخ

---

(٢٠) نفس المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٢١) نفس المصدر السابق ص ١٨٧ .

(٢٢) نفس المصدر السابق ص ٢٢٤ .

الاسلامي علهم يجدون الفرصة المواتية في المستقبل لتحقيق هـذه المخطوطات ونشرها ليستفيد منها المؤرخون والكتاب .
ان احدى علامات نهضتنا العلمية الحديثة هي تلك الحركة النشطة في تحقيق المخطوطات ونشرها في كافة أرجاء الوطن العربي والبلدان الاسلامية وان كثرة المخطوطات وأهميتها تدفعنا الى المزيد من العمل الجاد . ولعل الجامعات بكلياتها المختصة بالدراسات الانسانيـة تستطيع أن تساهم جديا بعملية التحقيق والنشر وذلك بأن تطلب من كل طالب لدرجة الماجستير ان يحقق مخطوطة اضافة الى دراسة علمية اما عن المخطوطة نفسها او عن موضوع اخر يمت الـى فترة المخطوطة بصلة .
على أن عملية التحقيق ليست سهلة فالمخطوطات التاريخية تنقسم من جهة التحقيق والنشر الى (٢٣) :

١ ـ المخطوطات التي لم تطبع بعد .
٢ ـ المخطوطات التي حققت على الطريقة القديمة دون نقد لنصوصها ودون فهارس عامة لمحتوياتها .
٣ ـ المخطوطات التي طبعت بطريقة علمية وذلك بجمع كافة النسـخ الموجودة عن المخطوطة ومقارنتها .

ولذلك فان امام المحققين عملا واسعا متشعبا ولهم ان يختـاروا السبيل الذي يرغبون اتباعه فاما ان يحققوا النصوص التاريخية التي لم تنشر بعد او يعيدوا تحقيق النصوص التاريخية التي طبعت على الطريقة القديمة ، ويتبعوا بذلك أسلوبا جديدا عن طريقة مقابلة النصوص الموجودة بالمخطوطات التي اكتشفت حديثا ولـم يطلـع عليها المحققون الاوائل .

---

(٢٣) الدكتور هلموت ريتر ، مخطوطات تاريخية عربية في مكاتب استانبول لم تطبع بعد في كتاب (ما اسهم به المؤرخون العرب في المئة سنة الاخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره) الذي صدر باشراف هيئة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية . حزيران وايلول سنة ١٩٥٩ م .

تقويم جديد للدعوة العباسية (*)

ان الباحث في تاريخ الدعوة العباسية بين طيات كتب المؤرخين المسلمين الرواد كالبلاذري والطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي وغيرهم لا يلاحظ تفسيرا لطبيعة الدعوة ولا نقدا لواجهاتها المتعددة ولا ايضاحا للشعارات التي طرحتها بين الناس وانما جمعا للروايات عن شخصيات قامت بها وسردا لحوادثها البارزة وتطوراتها سنة بعد اخرى وشهرا فشهرا .

على ان هذه الصفة كانت عامة على حوادث التاريخ الاسلامي وغير مقتصرة على الدعوة العباسية وحدها فلم يحاول المؤرخون الرواد اعطاء تفسيرات تاريخية واضحة للحوادث والثورات التي غيرت من مجرى التاريخ الاسلامي وأثرت في نهجه . هذا اضافة الى انهم يحذفون عن

(*) القيت هذه المحاضرة مساء يوم الاحد الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٨ هـ في سلسلة محاضرات الموسم الثقافي الثاني لجمعية التاريخ والاثار وذلك في قاعة المحاضرات العامة بالمكتبة المركزية بعنوان : « نصوص ساعد اكتشافها على اعادة تقويم الدعوة العباسية » .

قصد او يهملون أحيانا روايات تمس الحكام او الولاة او تؤثر على سمعة ذوي النفوذ في المجتمع . فالطبري نفسه يعترف بأنه قد اختصر او حذف بعض الروايات من تاريخه **(تاريخ الرسل والملوك)** دون ان يذكر السبب (١).

ويظهر ان العباسيين حالوا دون انتشار كتاب **تاريخ الموصل للازدي** لتضمنه روايات تاريخية ليست في صالحهم وتعريضه بهم وخاصة حين يتكلم عن مجزرة الموصل التي خطط لها والي المدينة العباسي يحيى بن محمد (اخو الخليفة) بالتعاون مع قائد رابطة المدينة محمد بن صول (مولى قبيلة خثعم) سنة ١٣٢ هـ اي بعد تأسيس الدولة العباسية بفترة قصيرة . حيث يذكر الازدي العبارة التالية منددا بالعباسيين (**ليس من الاسلام من يرتكب هذه المجازر** (٢) . اما كتاب **التاريخ** لخليفة بن خياط فلم يكتب له الانتشار في المشرق الاسلامي حيث قوة السلطة العباسية نظرا لميول المؤلف الاموية واعتماده على رواة امويين وذكره روايات تندد بالعباسيين (٣) .

على اننا يجب ان نستدرك فنقول بان المؤرخين الرواد المسلمين بدافع من ميولهم الدينية او السياسية سواء كانت هذه الميول عباسية او علوية او فارسية او غيرها او بسبب البيئة التي عاشوا فيها او الرواة الذين اتصلوا بهم ، اندفعوا بطريقة شعورية أو لاشعورية بالتأكيد على بعض المظاهر دون اخرى او بانتقاء بعض الروايات دون غيرها او بذكر بعض التعليقات القصيرة ولكنها ذات دلالة كبيرة . فالطبري مثلا يفصل في واجهات الثورة العباسية الدينية والسياسية ويذكر انها كانت عباسية صرفة منذ بدء تنظيمها (٤) .

---

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر : الطبري ـ تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن) جـ ١ ص ٢٨٥٨ ، ٢٨٦٢ ، ٢٩٦٥ ، ٢٩٨٠ .

(٢) الازدي : مخطوطة تاريخ الموصل ، نسخة شستربيتي ليبرري ، دبلن (ايرلندا) رقم ٣٠٣٠ ص ١٢١ .

(٣) انظر ، الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية (بالانكليزية) الفصل الاول ـ راجع كذلك لنفس المؤلف تاريخ خليفة بن خياط في مجلة المكتبة العدد ٦٢ سنة ١٩٦٨ .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، السلسلة الثانية ص ١٨٥٥ فما بعد السلسلة الثالثة ص ١ فما بعد .

بينمـا يرى ابن أعثم الكوفي (٥) ان الدعوة كانت عـامة لآل البيت الهاشميين وان العباسيين انقضوا عليها في نهاية المطاف واقتطفوا ثمارها . اما البلاذري فيظهر اهمية الاشراف ورؤساء القبائل في خراسان . وفي الوقت الذي يؤكد صاحب كتاب **أخبار العباس وولده** وكذلـك المؤرخ الازدي . (**في تاريخ الموصل**) ان العناصر الفعالة في الدعوة العباسية كانت من عرب خراسان من اليمانية والربعية وبعض المضرية يحـاول الدينوري (**في الاخبار الطوال**) وحمزة الاصفهاني ان يؤكدا على دور الموالي الفرس في الدعوة ويعظمان في دور ابي مسلم (صاحب الدولة) في نجاح الدعوة وانتصارها (٦) . امـا المؤرخ المسعودي الـذي يظهر ميلا معتدلا نحو العلويين فيعلل سبب عدول ابي سلمة الخلال عن العباسيين الى العلويين ومحاولته تنصيب خليفة علوي (بخوفه من انتقاض الامر بسبب عـدم وجود شخصية عباسية قادرة عـلى تحمل المسؤولية بعـد وفاة ابراهيم الامام (٧) .

وهنا يأتي دور المؤرخ الحديث ليميز بين الروايات الغثة والروايات السمينة فيحل غموضها وتناقضها ويقرأ بين أسطرها ثم يقدم الحقيقة بلا طلاء وبقدر جهده واجتهاده . فالتاريخ الذي يقوم على أساطير وملاحـم لا يمكن ان يكتب له الخلود .

وبقدر ما يتعلق الامر بموضوع بحثنا ((**الدعوة العباسية**)) فلقد بحث الكثير من المؤرخين المحدثين شرقيين وغربيين في تاريخ الدعوة ومـا حدث في أعقابها وجـاء قسم منهم بتفاسير جديدة أو بافكار مبتكرة او بدراسة استقصائية . ولكن هؤلاء الباحثين الذين ظهروا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين كـان يعوزهم الشيء الكثير ، فقـد

---

(٥) مخطوطة الفتوح ، استانبول ، مكتبة السلطان احمد الثالث ، ص ٢٢٦ أ – ٢٢٦ ب يقول الكوفي (وبالكوفة جماعة يظنون ان البيعة تكون لولد ابي طالب وقوم يظنون ان البيعة تكون لولد العباس ...) وحينما اعلن ابو سلمة ان يلبس النـاس السـلاح والسـواد في يوم البيعة « آيس الناس من آل ابي طالب » .

(٦) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٣٤٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ – ٣٦٠ حمزة الاصفهاني . تاريخ سني ملوك الارض ص ١٣٠ فما بعد .

(٧) المسعودي : مروج الذهب ج ٦ ، ص ٩٣ .

اعتمدوا في الغالب على مصادر كانت متيسرة لديهم في ذلك الوقت وهي قليلة بالنسبة لما لدينا الان من كتب محققة تحقيقا جيدا ومخطوطات سهلة المنال ومصنفة في مكتبات العالم الكبرى ، وعلينا بعد ذلك ان نتذكر بان بعض من بحث في التاريخ الاسلامي من الرعيل الاول من المستشرقين لم يكن في الواقع مدربا كمؤرخ فقد كان ينقصه الشيء الكثير مما يحتاجه المؤرخ . فالمعروف ان عددا من المستشرقين كان بدء ولعهم بتاريخنا من خلال دراساتهم للتوراة والانجيل والدراسات اللاهوتية الاخرى ، وهناك نوع آخر من المستشرقين تعرفوا على تاريخنا بطريق الصدفة حينما وجدوا انفسهم في بلادنا اثناء اداء الخدمةالعسكرية اوالخدمةالدبلوماسية اوالبعثات التبشيرية . اما الجيل الجديد من المستشرقين فقد درسوا تاريخنا عن قصد ورغبة وبعد تدريب واعداد جامعي على التحقيق العلمي ولكن بعضهم دون شك وقع في اخطاء في تفسيراته التاريخية بسبب ضعف في لغته العربية او الفارسية او التركية او بسبب قلة معرفته ببيئة البلاد الاسلامية التي يكتب عنها وبتقاليدها . ولذلك كانت بحوث هذه الفئة من المستشرقين يعوزها الكثير من التحقيق لكي تتصف بالاصالة . الا انني وانا أتكلم عن هذا النوع من المستشرقين علي ان أتذكر وأعتز بأولئك المستشرقين الثقاة الذين خدموا تاريخنا وثقافتنا خدمة علمية موضوعية كأحد أبنائها .

لقد قلت قولي هذا لانني ألاحظ كتبا الفها مؤرخون محدثون في وطننا العربي واعتمدوا فيها على تفاسير بعض قدماء المستشرقين دون تمحيص او اعادة تقويم ولذلك وقعوا في عين الاخطاء التي وقع فيها هؤلاء المستشرقون . ورغم ان هذه الاراء الاستشراقية باتت قديمة في الغرب وظهرت بدلا منها تفاسير جديدة عدلت فيها وغيرت الا اننا لا نزال حتى يومنا هذا نتداول هذه الاراء القديمة ونستند عليها ولا تزال كتب تصدر ومقالات تنشر تجتر تلك الاراء التي آن لها ان تستبدل . والمثال الذي سنورده هنا في اثبات رأينا هو « موضوع الدعوة العباسية » ذاتها .

لقد فسر المستشرق الالماني فان فلوتن (٨) في أواخر القرن التاسع

---

(٨) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن سنة ١٩٣٤ .

عشر الميلادي الدعوة العباسية على انها ثورة الموالي من الفرس ضد الحكام العرب . أي ان الثورة العباسية كانت ثورة قومية ايرانية ضد العرب الاسياد . لقد تأثر المستشرق فان فلوتن بالافكار العنصرية التي كانت سائدة في اوروبا وخاصة المانيا آنذاك ولذلك نظر الى الثورة بمنظار الصراع بين الفرس والعرب او الآريين والساميين ، واستطرد فان فلوتن مفسرا فقال ان سبب الثورة العباسية لم يكن الا نتيجة الاخطاء التي ارتكبها العرب في عهد الدولة الاموية التي فشلت في ان تعامل الشعوب غير العربية والتي اعتنقت الاسلام معاملة مساوية للعرب المسلمين ، وقد ادى هذا التمييز في المعاملة على انبعاث القومية الايرانية كسلاح ذاتي للشعب الايراني المضطهد .

ولقد وافق المستشرق الالماني ولهاوزن (٩) على رأي سلفه فان فلوتن وأخذ بأكثر تفسيراته وكأنها حقيقة مسلم بها على ان ولهاوزن انتبه الى اثر وفعالية القبائل العربية من اهل خراسان حيث خصص فصلا طويلا من كتابه منقبا عن أصول القبائل والاحلاف التي كانت بينها .

على اننا نلاحظ بأن الخطأ الذي وقع به كلا المستشرقين هو انهما نظرا بمنظار ضيق الى طبيعة الدعوة العباسية . ففلوتن لم يحاول تفهم وضع خراسان قبل وقوع الثورة ومثله كمثل المؤرخ الذي يؤمن بقواعد ونظريات او فكرة معينة ثم يحاول جمع مادته ورواياته التاريخية ليثبت صحة تلك النظرية التي يؤمن بها مسبقا . والخطأ في البداية يقود بطبيعة الحال الى الخطأ في النهاية . اما ولهاوزن فالحق أنه ادرك اهمية القبائل العربية المستقرة في خراسان ولكنه رأى في النزعات القبلية والعصبية بين هذه القبائل الاساس المحرك لفعاليات شيوخها . بل انه اكثر من ذلك تتبع جذورها قبل الاسلام متخذا من احلافها في الجاهلية دليلا لتفسير احلافها في الاسلام . كما وان ولهاوزن لم يعر للظروف الجديدة التي نتجت عن هجرة القبائل الى اقاليم جديدة مثل العراق وفارس وخراسان اية أهمية . ونحن نقول (١٠) بان الاحلاف الجديدة بين القبائل العربية في

---

(٩) ولهاوزن : الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة عبد الهادي ابو ريده . القاهرة ١٩٣٨.

(١٠) الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية (١٣٢/٧٥٠ – ١٧٠/٧٨٦) الفصل الثاني. بغداد ١٩٦٩ .

خراسان ربما تأثرت بالماضي حين كان العرب في جزيرتهم ولكنها دون شك تطورت وتبدلت بتبدل الظروف في بيئتهم الجديدة في خراسان . ان عدم ادراك ولهاوزن للتطور الجديد في العلاقات القبلية في خراسان وتعقيداته هو الذي جعله يظهر بمظهر المؤيد لفرضية فان فلوتن أكثر من كونه معدلا لها او مقوما لبعض جوانبها . هذا ولا ننكر انه خطا خطوة صحيحة في طريق فهم الدعوة العباسية بتأكيده على دور القبائل العربية الخراسانية .

ولقد تبنى هـذا التفسير كتاب ومؤرخون عرب ومسلمون أمثـال جرجي زيدان وأحمد أمين وفيليب حتي وحسن ابراهيم حسن والدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور صديقي والاستاذ يوسفي وغيرهم .

وقد يكون من المستحسن القول بأن هناك تفسيرا اخر نادى بـه بعض المستشرقين الذين اعتقدوا بان للترك الساكنين في بلاد ما وراء النهر (ترانسكسونيا) دورا في الثورة العباسية خاصة وان الترك سبق وان ساعدوا ثوارا كالحارث بن سريج المرجئي ضد الامويين . وقد ظهر هـذا الرأي في دائرة المعارف التركية ونادى به المؤرخ أرمينوس فامبري في كتابه **(تاريخ بخارى)** وتشير الاستاذة ماليكوف سيار (١١) في كتابهـا عـن **(ابي مسلم في الفولكلور التركي)** بان القصص الشعبية والاساطير والاغاني التركية في العصور الوسطى تظهر ابا مسلم بطلا قوميا تركيا . الا ان التاريخ شيء والفولكلور شيء اخر وان هذا الافتراض يفتقر الى النصوص التاريخية الموثوقة التي تدعمه .

التفسير الحديث للدعوة العباسية :

لقـد كان المستشرقان الانكليزيان (١٢) البروفسور هاملتون جـب

---

(١١) انظـر :

Abu Muslim le « Porte-Hache » du khorasan, Paris, 1962.

(١٢) انظـر :

H. Gibb, Arab Conquests in Central Asia, 1923 idem, the Caliphate . . in «History of the Crusades » PP. 81 ff. E. 1.2 Abbasids (by B. Lewis) .

والبروفسور برنارد لويس من اوائل المؤرخين الذين أدركوا دور العرب من أهل خراسان الفعال في الدعوة وخاصة القبائل اليمانية منهم . وقد لاحظ البروفسور جب بان سكان المدن المحليين من الفرس لم يستغلوا فرصة الثورة العباسية لينتفضوا عن بكرة أبيهم ضد الدولة الاموية بل ان الروايات التاريخية تثبت عكس ذلك . الا ان ما ذكره هذان المستشرقان في هذا المضمار لم يكن اكثر من لمحات بسيطة لا تزيد على اسطر قليلة فيها بعض التحفظ .

ان المستشرق دانيال دينت هو اول من أعلنها صراحة بأن آراء فان فلوتن وولهاوزن في الدعوة تدعو الى الشك واعادة التمحيص والاعتبار حيث أظهر الوجه السياسي للثورة وبين دور المقاتلة العرب الخراسانية ورؤساء القبائل الازدية والربعية واثر الاحلاف الجديدة بين القبائل في ارجاح كفة الثوار العباسيين . ويرى دينت ان ضعف مركز مروان الثاني اخر خلفاء الامويين في سوريا كان العامل المباشر لسقوط الامويين ولذلك فان نقطة الجدل في نظريته تدعي بان سقوط الامويين لم يكن نتيجة ثورة في خراسان بل بسبب ثورة في بلاد الشام (١٣) . والذي يؤخذ على دينت كذلك هو اهتمامه بالواجهة السياسية للدعوة العباسية واهماله الواجهة الدينية حيث لم يشر اليها الا عرضا .

وتتابعت البحوث في طبيعة الدعوة العباسية مؤكدة هذا التفسير الجديد فكتب الدكتور محمد عبد الحي شعبان عن حالة خراسان منذ الفتح الاسلامي حتى نهاية الامويين (١٤) وقد اعطى الدكتور شعبان في الواقع ، صورة متكاملة لتطورات الحالة السياسية والاجتماعية لعرب خراسان من حيث استيطانهم وعلاقتهم بالفرس ثم موقفهم من دمشق ومن بعضهم البعض . ويرى الدكتور بان هدف الثورة العباسية كان **« دمج كل المسلمين العرب وغير العرب في الامبراطورية في مجتمع اسلامي واحد لكل فرد من أبنائه حقوق متساوية »** . اما العنصر الرئيسي في الثورة حسب رأي الدكتور شعبان فكان العرب المستوطنين الذين اندمجوا

---

(١٣) دينت : مروان بن محمد (بالانكليزية) ، هارفرد ١٩٣٩ :

(١٤) شعبان : الجذور الاجتماعية والسياسية للثورة العباسية : هارفرد ١٩٦٠ . (بالانكليزية) .

مع السكان المحليين الايرانيين والذين فقدوا امتيازاتهم كأعضاء في الكتلة العربية الحاكمة والذين استاءوا كذلك من وضعهم تحت سلطة الدهاقين الفرس والمسؤولين عن جباية الضرائب . ولا ينكر الدكتور شعبان مساعدة الموالي (المسلمين من غير العرب) للثوار العرب ولكن هؤلاء الموالي لا يمكن ان يكونوا باعداد كبيرة وذلك لعدم انتشار الاسلام في تلك الديار وفي تلك الفترة المبكرة بكثرة .

وقد اثبت الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي بأن العرب سكنوا القرى المحيطة بمرو قبل تمصيرها (١٥) وبهذا أعطى دليلا اخر على اهمية دور عرب خراسان من سكان القرى الذين كسبتهم الدعوة .

ان اعادة تقويم الروايات التاريخية في مصادرنا المعروفة مثل الطبري واليعقوبي والدينوري والمسعودي والجاحظ والاصفهاني وكتاب العيون والحدائق والجهشياري وغيره ، وبعد الاطلاع على نصوص تاريخية غايــة في الاهمية بالنسبة لموضوع الدعوة العباسية في مخطوطات لم تنشر بعد(١٦) او انها نشرت حديثا ولم تستغل مادتها التاريخية بعد مثل :

مخطوطة اخبار العباس وولده المحفوظة في مكتبة الاوقاف العـامة ببغداد . وهي مجهولة المؤلف ومرتبة حسب نظام النسب وتعتمد عـلى رواة موثوق بهم وعلى شهود عيان ودعاة عباسيين ولذلك فهي مهمة جدا وتعتبر أشبه بوثيقة عن الدعوة العباسية .

ومخطوطة النبذة من كتاب التاريخ لمؤلف مجهول من القرن الحادي عشر ، التي صورها المستشرق الروسي كرازنوفج من معهد المستشرقين في موسكو وترجمها وعلق عليها باللغة الروسية . والواقع ان مقارنة **مخطوطة النبذة بمخطوطة اخبار العباس** آنفة الذكر تظهر بأن مؤلف الاولى قـد اختصر الثانية باقتباسه الروايات المهمة ودمجه عددا من الروايات في رواية واحدة منسقة مع اختصار سلسلة الرواة .

ثم مخطوط **انساب الاشراف** للبلاذري وهي في جوهرها مخطوطـة

---

(١٥) العلي : استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الاداب ١٩٥٩ .

(١٦) عن هذه المخطوطات انظر : الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية (بالانكليزية) الفصل الاول انظر كذلك مجلة المكتبة ، بغداد ، الاعداد ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٩٦٨ لنفس المؤلف .

تاريخية ضمن اطار النسب . وكذلك مخطوطة **كتاب الفتوح** لابن اعثم الكوفي (ت ٩٢٦/٣١٤) وتقع في جزاين حيث يتكلم في الجزء الثاني عن اخبار الدعوة العباسية وتطوراتها وفي المخطوط معلومات فريدة عن استقرار العرب المسلمين في خراسان غير موجودة في الطبري والبلاذري . اما بالنسبة للروايات التاريخية فالصورة التي تعطيها عن الدعوة غير متكاملة لان الحوادث مختارة وغير متسلسلة ، ولابن أعثم عذر في ذلك لانه لم يكن قصده ان يؤلف كتابا في التاريخ وانما في الفتوح .

ثم **تاريخ خليفة بن خياط** الذي حقق في بغداد وكذلك في دمشق ويعتبر من اقدم كتب الحوليات في التاريخ الاسلامي حيث يتناول احداث التاريخ من السنة الاولى للهجرة الى سنة ٢٣٢ هـ اي خلافة الواثق بالله العباسي . والنصوص التي فيه تساعدنا على توضيح غموض مصادرنا المألوفة واضافة معلومات جديدة عن الدعوة العباسية ، حيث يظهر بأن المصالح الجديدة التي ظهرت بعد استقرار القبائل في خراسان ادت الى وجود تكتلات جديدة بين العرب انفسهم لا تعتمد بالدرجة الاولى على العصبية بل على المصالح الجديدة التي حتمتها بيئة خراسان الجديدة وظروف العرب فيها .

ثم مخطوط **تاريخ الموصل** لابي زكريا محمد بن يزيد الازدي (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) الموجودة في مكتبة شستر بيتي في دبلن بايرلندا ، وقد قام الدكتور علي حبيبة بتحقيقها ونشرها سنة ١٩٦٧ م . ولم يبق من المخطوطة غير جزئها الثاني الذي يبدأ من سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م ـ سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م . ولعل من المزايا الكثيرة التي تتمتع بها المخطوطة بقدر ما يتعلق الامر بموضوع بحثنا هو اظهارها مدى المبالغة في الفكرة القائلة بان الثورة العباسية كانت ثورة الفرس على العرب . فالازدي يظهر مدى اعتماد الدعوة على العرب ويفند الزعم القائل بان ابراهيم الامام أوصى ابا مسلم بقتل كل من يتكلم العربية ذلك الزعم الذي اتخذه فان فلوتن ومن اتبعه من المؤرخين ذريعة لاثبات الصبغة الفارسية للدعوة العباسية .

وهناك مخطوطات اخرى كثيرة تساعد على ايضاح هذا الجانب او ذاك من الدعوة العباسية ومنها مخطوط **المقفى الكبير** للمقريزي ومخطوط **منتخب** التذكرة لنفس المؤلف ايضا ومخطوط **كتاب الفتن** لنعيم بن حماد المروزي الخزاعي (ت ٢٢٨ هـ / ٨٤٢ م) ولكن ضيق المجال وخوف

الاطالة يجعلنا نتردد في التفصيل عن هذه المخطوطات (١٧) .

ان النصوص الموجودة في هذه المخطوطات هي التي ساعدتنا على اعادة تقويم الدعوة العباسية وتوضيح واجهاتها واظهار الدور الذي لعبته كل شخصية من شخصياتها البارزة .

ونحن نعتقد بان الدعوة التي نظمها الدعاة العباسيون كانت موجهة بصورة رئيسية الى عرب خراسان المقاتلة منهم والمستقرين على السواء . فقد كان هناك دعاة في قرى مرو حيث استقرت القبائل العربية وفي كل مدينة فيها حامية او رابطة عربية . لقد ادرك الدعاة بان العرب وحدهم مصدر السلطة والقوة الضاربة الوحيدة في خراسان . ومن اجل الانتصار على الامويين كان يتحتم على الدعاة كسب العرب الى الدعوة . ولم يفضل الدعاة في بداية الدعوة قبيلة عربية على اخرى بالرغم من انهم حصلوا على تعضيد اليمانية اكثر من المضرية الا انهم كانوا دائما يرحبون بالمضريين الذين يرغبون الانضمام للدعوة . **وقد انضم بعض** الموالي والفرس الى الدعوة الا ان دورهم لا يمكن مقارنته بدور القبائل العربية من اهل خراسان (١٨) .

ان ظروف خراسان من حيث قبائلها وعلاقتهم ببعضهم وبالسكان المحليين والخلافة الاموية في دمشق لعبت دورا في ايجاد الجو المناسب للثورة دون شك ولكن علينا الا نؤكد على ناحية معينة ونترك النواحي الاخرى . فالعرب الذين استوطنوا قرى مرو كانت لهم اسباب للتذمر ترجع الى حرمانهم من الامتيازات التي يتمتع بها المقاتلة من العرب ، كما وانهم شاركوا الموالي والفرس في استيائهم من سطوة الدهاقين ونفوذهم . على اننا نلاحظ من جهة اخرى ان المقاتلة العرب كان لهم اسباب للتذمر ايضا تتلخص في :

(١) سياسة التجمير وهي ابقاء المقاتلة في الثغور وعلى خطوط النار

---

(١٧) انظر ، الدكتور فاروق عمر : « نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على اعادة تقويم الدعوة العباسية » مقالة نشرت في مجلة كلية الاداب جامعة الرياض سنة ١٩٧٠ .

(١٨) انظر مخطوطة اخبار العباس وولده ص ١٣٥ أ فما بعد ، طبري : تاريخ الرسل، ص ١٩٤٥ فما بعد ، الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٣٥٥ فما بعد ـ نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٦٠ أ فما بعد ، الازدي : تاريخ الموصل ص ١٩٠ فما بعد .

شتاء في الوقت الذي يرغب المقاتلة بقضاء الشتاء مع عوائلهم .

(٢) كان الوالي الاموي يسلبهم حصتهم من الفيء والغنيمة احيانا او يأخذ أكثر من حقه منها .

(٣) سئمت القبائل من النزاع المستمر بين الشيوخ المتنفذين والرؤساء الطموحين للوصول الى السلطة حيث أوجد هذا بين قبائل خراسان نوعا من القلق لدى اليمني والربعي والمضري الذين وجدوا في الدعوة العباسية أملا جديدا لحياة أكثر استقرارا ويسرا (١٩) .

كما وان الوضع المرتبك في بلاد الشام قلب الدولة الاسلامية في ذلك العهد ، حيث ازدادت ثورات المدن السورية ضد حكم مروان الثاني واشتدت مؤامرات الامراء الامويين ضد سلطته التي اعتبروها غير شرعية كل ذلك فت في عضد الدولة وفسح المجال للدعوات السرية بالعمل الفعال من أجل اسقاطها . فقد نشطت المنظمة السرية الهاشمية بقيادة ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية الذي أوصى بالامانة من بعده الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وبهذا تحولت المنظمة الى عباسية صرفة وضاعفت من فعالياتها في خراسان حيث أعلنت الثورة سنة ١٢٩ هـ سنة ٧٤٧ م (٢٠) .

ورغم ادراكنا بان الدعوة العباسية كانت لها واجهات عديدة حيث انها حاولت جذب عناصر مختلفة تحت شعارات براقة متباينة ـ وهذا في الحقيقة سر نجاحها ـ فان الذي يهمنا في هذا البحث هو الواجهة السياسية للدعوة وذلك رغبة منا في ابراز دور العرب من أهل خراسان في هذه الحركة ، ذلك الدور الذي كان ولا يزال مغمورا لم ينصفه التاريخ ولم يقدره حق قدره الا القليل من المؤرخين .

الواجهة السياسية للدعوة العباسية :

ان النصوص التاريخية في المخطوطات التي خرجت الى النور تشير الى اننا يجب ان نبحث عن اسباب للثورة العباسية في ظواهر اخرى غير

---

(١٩) الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية ، الفصل الثاني . بغداد ١٩٦٩ .

(٢٠) انظر الدكتور فاروق عمر : الجذور التاريخية لادعاء العباسيين الخلافة ، مجلة كلية الدراسات الاسلامية ١٩٦٧/١٩٦٨ .

ظواهر الصراع بين الفرس والعرب او التمييز الاجتماعي والاقتصادي الذي مارسته السلطة الاموية تجاه الموالي . فلقد أهمل المؤرخون المحدثون سياسة الامويين الادارية والمالية في خراسان وردود الفعل لدى اهل خراسان من عرب وعجم تجاه هذه السياسة . ان معرفة حالة خراسان قبيل الثورة سيقودنا الى معرفة اسباب التذمر وبالتالي اسباب الثورة .

تتفق اغلب الروايات التاريخية على ان خراسان فتحت أيام الخليفة عثمان بن عفان وعلى يد القائد عبد الله بن عامر بين سنة ٦٤٩/٢٩ — ٦٥٥/٣٥ ولقد عقد مرزبان مرو معاهدة مع المسلمين ترك للدهاقين بموجبها تقدير الضرائب وجبايتها واشترطت المعاهدة كذلك على الايرانيين ان يفسحوا المجال لاستيطان العرب في قراهم ولهذا الاجراء أهمية كبيرة لانه كان الاساس الذي بنيت عليه علاقات العرب المسلمين بالسكان المحليين (٢١) .

ولم تكن السنوات التي تلت الفتح الاسلامي لخراسان سنوات سهلة ولا هي فترة استقرار في تاريخ خراسان خاصة ، وان الاوضاع السياسية في قلب الدولة الاسلامية كانت على غير ما يرام . على ان انتهاء الحرب الاهلية وتولي معاوية سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م الخلافة ساعد السلطة المركزية بان توجه انتباهها الى خراسان . وقد قرر الامويون انشاء قواعد ثابتة للمقاتلة العرب في خراسان . فبدأت عملية استيطان العرب في القرى المحيطة بمرو منذ سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م (٢٢) . وتتابعت عملية الاستيطان بتتابع الهجرات القبلية من الكوفة والبصرة . وبمرور الزمن اخذت بعض القبائل العربية تفضل الاستقرار والاشتغال بمهن مدنية كالتجارة والزراعة بدلا من الجيش . ان هذا الاتجاه نحو الاستقرار أوجد عوامل جديدة في الموقف السياسي والعسكري واضطر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (سنة ١٠٥ / ٧٢٤ — سنة ١٢٥ / ٧٤٣) الى أن يأمر أمير خراسان بأن يحذف أسماء المقاتلة العرب الذين يرفضون الاشتراك في الحملات العسكرية في بلاد ما وراء النهر (ترانسكسونيا) ويحرمهم من العطاء . ومقابل ذلك

---

(٢١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، السلسلة الاولى — ابن اعثم الكوفي : الفتوح جـ ١، ص ٢٠ فما بعد .

(٢٢) العلي : استيطان العرب في خراسان ، مجلة كلية الاداب ١٩٥٩ .

ارسل هشام مقاتلة جددا ممن يرغبون في القتال (٢٣) . وهكذا فان الخليفة هشاما يعترف ضمنا بان عملية الاستيطان والاندماج بين العرب والمسلمين والسكان المحليين الايرانيين قد بدات فعلا وبدا العرب يألفون الحياة المدنية والاشتغال بالمهن ولا يمكن للسلطة الاموية معارضة الاتجاه الجديد بالقوة . وهذا يدل بطبيعة الحال على ان العرب المسلمين قد انقسموا الى كتلتين (ا) المقاتلة (ب) المستقرين المستوطنين . كما وان ارسال دفعات جديدة من العرب الى خراسان ادى الى حدوث شقاق وتصادم بين القادمين الجدد والعرب القدماء (الفاتحين) (٢٤) .

اما عملية الاستيطان (٢٥) فلقد اتخذت اشكالا مختلفة ولكن ما لدينا من معلومات قليلة مبعثرة بين طيات كتب التاريخ والتراجم والكتب الجغرافية الاسلامية لا يعطينا فكرة متكاملة عنها . والظاهر أن العرب من أهل خراسان استقروا في مرو والقرى المحيطة بها مثل سينان وميهرجان وفنين واللين وغيرها كثير . وكانت قرية بونيه تابعة لقبيلة طي وقرية باسان لبني نصر وقرى سفيندج واللين وفنين لقبيلة خزاعة وهناك قرى اخرى لكندة وبني العنبر . استوطن العرب القرى المحيطة ببلخ كما استوطن قسم منهم مدنا اخرى في بلاد ما وراء النهر بصورة مؤقتة او دائمة . وعدا هذا وذاك فقد كان للعرب (مسالح) وهي مراكز عسكرية وقتية تتبدل مواضعها بتبدل خطة القواد العسكرية ولذلك فقد كان استقرار الجند فيها وقتيا .

ولقد انبث الدعاة العباسيون في مواطن استقرار العرب في خراسان حيث نقل اليها الامام محمد بن علي العباسي الدعوة وأمر دعاته بان تكون الدعوة (للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وان يثقوا باليمانية ويتألفوا ربيعه ويتوقوا من مضر ويقبلوا منهم الثقاة) . وليس من السهل التعرف على الدوافع التي دفعت الامام محمد على اختيار خراسان ولكن يمكن القول بانها كانت موطن المقاتلة العرب الذين عركتهم الحرب الطويلة مع تركستان وفي السند والذين عبروا مرارا عن تذمرهم من سياسة

---

(٢٣) شعبان : المصدر السابق ، ص ١٥٧ فما بعد .

(٢٤) فاروق عمر : الخلافة العباسية ، الفصل الثاني . بغداد ١٩٦٦ .

(٢٥) Ibid

الامويين المالية والعسكرية والمعلوم ان خلفاء بني أمية منذ زمن عبد الملك ابن مروان (٦٨٥ م ــ ٧٠٥ م) أدركوا القلق وعدم الاستقرار السائد هناك وتعبر مخطوطة **اخبار العباس** (٢٦) عن اهميــة الخراسانية فتقول : ((**خراسان جمجمة العرب وفرسانها**)) وقد نظم الدعاة الاوائل الدعوة تنظيما سريا محكما فكان هناك النقباء يراسهم سليمان بن كثير الخزاعي شيخ النقباء والقائم بأمر خراسان . أما النقباء فهم اثنا عشر نقيبا (٢٧) :

من خزاعة : سليمان بن كثير الخزاعي ، مالك بن الهيثم الخزاعي ، زياد بن صالح الخزاعي ، طلحة بن رزيق الخزاعي .

من تميم : موسى بن كعب التميمي ، عيسى بن كعب التميمي ، لاحظ ابن قريظة التميمي ، القاسم بن مجاشع التميمي .

من طي : قحطبة بن شبيب الطائي .

من شيبان : خالد بن ابراهيم الذهلي الشيباني .

من بجيلة : سالم بن سلام البجلي .

من حنيفة : مولى بني حنيفة شبل بن طهمان .

ونلاحظ ان الاكثرية الساحقة منهم كانوا عربا . وكان هناك (نظراء النقباء) و ٧٠ داعية كما كان هناك عدد من الدعاة المسؤولين عن تنظيم الدعوة خارج منطقة مرو .

وهنا لا بد من الانتباه الى ان بعض الشخصيات العربية تلقبت او نسبت الى المدن الفارسية التي عاشت فيها مثل جديع بن علي الازدي (الكرماني) والفضلَ بن سليمان التميمي (الطوسي) وخازم بن خزيمة التميمي (المروزي) كما لقب عمرو بن حفص المهلبي الازدي والهيثم بن معاوية العتكي بلقب (هزار مرد) ولقد ظن بعض المؤرخين خطأ ان هؤلاء وغيرهم كانوا من الموالي .

واكثر من ذلك فقد فسر بعض المستشرقين وتبعهم مؤرخون مسلمون في ذلك ان اصطلاح (اهلَ خراسان) يعني السكان المحليين من الايرانيين ولكن المؤرخين الرواد مــن المسلمين كالطبري والبلاذري اطلقوا عــادة

---

(٢٦) مخطوطة اخبار العباس ، ص ١٩٠ ب .

(٢٧) اخبار العباس وولده ص ١٠٣ أ فما بعد . ــ الطبري : تاريــــخ الرسل والملوك ، III ، ١٩٨٨ .

اصطلاح (اهل البصرة) و (اهل الكوفة) و (اهل الشام) لتدل على القبائل العربية التي سكنت هذه المدن بعد تمصيرها .

ثم ان مؤرخين اخرين فهموا من اصطلاح (سكان القرى) التي وردت في بعض روايات الدينوري والطبري انهم سكان البلاد المحليين من الفرس الذين يتعاطون الزراعة ويمتهنون بعض الحرف الا اننا لاحظنا بان العرب انفسهم سكنوا القرى مع عوائلهم . ولذلك فان رواية الطبري (٢٨) التي تقول (فوافاه .. اهلُ ستين قرية) لا تعني الموالي ، كما يظن المستشرق ولهاوزن ، بلْ العرب . على الرغم من ان قسما من اتباع الدعوة كانوا دون شك من الموالي .

وكان اتباع الدعوة يدفعون الخمس (٢٩) للامام ليعينه هذا المال على القيام بواجبه في « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وكان النقباء عادة ينتهزون فرصة الحج ليلتقوا بالامام ويسلموه المال والهدايا فقد حملوا اليه مرة ١٠ الاف دينار و ٢٠٠ الف درهم كما بعثوا مرة أخرى ١٠٠ الف درهم وأشياء عينية من مسك ومتاع كثير قيمتها ٣٠٠,٠٠٠ درهم . وبعث ابو مسلم قحطبة الطائي ومعه المال الذي يقدر ب ٣٦٠ الف درهم صيرها كلها متاعا .

كما استغل الدعاة العباسيون فكرة التنبؤات والملاحم الشعبية المنتشرة بين الناس فأشاعوا أحاديث تقول بان الخلافة كائنة في أحفاد العباس عم الرسول (ص) وانها ستبقى في أيديهم الى يوم القيامة وادعوا بأن هناك علامات مخبرات عن ظهور ابن الحارثية صاحب الرايات السود التي ستظهر في المشرق وانها منتصرة لا محالة (٣٠) . ولما توفي محمد بن

---

(٢٨) الطبري : المصدر السابق ، II ص ١٩٥٢ .

(٢٩) اخبار العباس ، ص ١٠٦ أ ، ١٢٥ أ ، الطبري : II ١٩٥٣ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٤ ، ١٩١٧ ، ١٩١٦ ، الدينوري : ص ٣٤٤ ، اليعقوبي : التاريخ II ص ٢٩٨ ، العيون والحدائق ، ص ١٨٢ ، ص ١٩٠ ، الامامة والسياسة ج ٢ ، ص ٢١٧ ص ٢٠٧ ، ابن خلدون : التاريخ ج ٣ ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

(٣٠) اخبار العباس ، ص ٥٨ ب ، ٦٢ أ ، الطبري : المصدر السابق II ص ١٩٢٩ ، ابن طاووس : الملاحم والفتن ص ٣٠ فما بعد ، الخزاعي : كتاب الفتن ، ص ١٨ فمابعد.

علي العباسي سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م تسلم ابراهيم الامام القيادة وبدأ وجه جديد فعال للدعوة . وحين ساءت الحالة في خراسان وانقسم العرب فيها الى كتلتين رئيسيتين يقود احداهما نصر بن سيار والي خراسان ، ويقود الثانية جديع بن علي الازدي الكرماني أدرك الدعاة العباسيون بان ظروف الثورة قد اختمرت وان الوقت قد حان لاعلانها فطلب سليمان الخراساني من الامام ان يرسل من يمثله في خراسان اثناء اعلان الثورة . وقد عرض ابراهيم الامام على سليمان الخزاعي ان يمثله في خراسان فرفض والظاهر انه كان يرغب بان تقوم شخصية هاشمية او عباسية بتمثيل الامام في خراسان وبعد ان فشل ابراهيم الامام في اقناع عدد من الرجال قرر اختيار مولاه أبا مسلم الخراساني لينوب عنه .

ان شخصية أبي مسلم ودوره في الحركة العباسية قد أصبحت أسطورة نسجت حولها الروايات المختلفة . وقد بالغت بعض روايات الطبري والدينوري وحمزة الاصفهاني بدور أبي مسلم وأظهرته بمظهر المحرك للسياسة العباسية . واكثر من هذا فقد اتخذته العناصر المتذمرة الايرانية رمزا لثورتها معتبرة اياه منقذاً منتظرا مدعية انه سيعود الى هذه الارض ـ وخاصة بعد قتله من قبل المنصور سنة ١٣٧ هـ / ٧٥٤ م ليحقق لها آمالها بأن ((**يملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا**)) . والواقع ان النصوص التاريخية في مخطوطة **أخبار العباس وتاريخ الموصل وتاريخ الطبري** تشير بوضوح الى ان المسؤولية كانت مشتركة بين النقباء الاثني عشر ويساعدهم في ذلك الدعاة وان سليمان الخزاعي نقيب النقباء كان وراء كل عمل قام به أبو مسلم . كما وان سليمان الخزاعي كان المتكلم باسم الدعوة والمفاوض باسمها مع شيوخ القبائل ووالي خراسان نصر بن سيار . وكان سليمان الخزاعي هو الذي يؤم الناس في الصلاة (٣١) .

وحين أرسل ابراهيم الامام أبا مسلم الى خراسان أوصاه بوصية اختلف في نصها المؤرخون . وهي كما جاءت في رواية ابن قتيبة والطبري كالاتي : (٣٢) :

((يا عبد الرحمن انك رجل من أهل البيت احفظ وصيتي : انظر

---

(٣١) الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية ، الفصل الثاني . بغداد ١٩٦٩ .

(٣٢) الطبري : المصدر السابق ، ١١ ، ١٩٣٧ ، الامامة والسياسة ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ .

الى هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين اظهرهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم واتهم ربيعة في أمرهم واما مضر فانهم العدو القريب الدار . واقتل من شككت فيه . وان استطعت الا تبقي بخراسان من يتكلم العربية فافعل وايما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ (سليمان الخزاعي) ولا تعصه وان أشكل عليك أمر فاكتف به مني » .

ان هذه الوصية غير متفق عليها من قبل المؤرخين لذلك لا يمكن قبولها دون تمحيص ونقد . فمن جهة النقد الخارجي لنص الوصية فيظهر بأنه مذكور في الطبري دون سلسلة رواة او اسناد ولذلك فالرواية ضعيفة . اما رواية ابن قتيبة فيضعفها كون المؤرخ غامضا وغير متكامل في رواياته عن العباسيين ولا ذكر للنص في مصادر مهمة أخرى مثل أنساب الاشراف واخبار العباس . وليس هناك أهمية لذكرها في كتب تاريخية متأخرة مثل ابن الاثير وابن كثير وابن خلدون لان هؤلاء بطبيعة الحال نقلوها ممن ذكرها قبلهم ولبعد الزمن بينهم وبين عهد الثورة .

ومما يؤكد الشك في الوصية ان رواية الدينوري (٣٣) وكتاب العيون والحدائق (٣٤) في أخبار الحقائق لا تذكر النص الذي يأمر فيه ابراهيم أبا مسلم بقتل العرب دون تمييز ، ولكن الوارد ان الامر كان بقتل العرب الذين يرفضون الدخول في الدعوة أو المشكوك في ولائهم « **واقتل من شككت في أمره** » . او كما يقول العوفي بقتل كل المدعين بالامامة من غير العباسيين . وتؤيد هذا التفسير نصوص أوردها صاحب كتاب أخبار العباس (٣٥) على لسان أبي مسلم حيث يقول :

« أمرني الامام أن انزل في أهل اليمن واتالف ربيعة ولا ادع نصيبي من صالحي مضر .. واحذر اكثرهم من اتباع بني امية واجمع الى العجم » .

وقال أبو مسلم في مناسبة أخرى « **لقد امرنا الامام باختصاص اليمن** » .

أما من جهة النقد الداخلي لنص الوصية فيمكن تلخيصه بالنقاط التالية :

---

(٣٣) الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٣٥٢ .

(٣٤) العيون والحدائق ، ص ١٨٤ .

(٣٥) اخبار العباس ، ص ١٣٨ ب ، ١٢٩ أ ، نبذة من كتاب التاريخ ، ص ٢٦٠ أ .

١) نص الرواية مجزأ في الطبري الى جزأين يذكر بينهما حوادث لا علاقة لها بالوصية ثم تعود الرواية فتتكلم عن الوصية ثانية مما يشعر القارىء بأن بعض النصوص حشرت في الرواية حشرا .

٢) تأتي الوصية تحت عنوان « سبب قتل مروان بن محمد لابراهيم الامام » مما يدل على انها او بعضها وضعت من قبل رواة أمويين لتبرير قتل مروان لابراهيم .

٣) التناقض غير المقبول واضح في نص الوصية ، فكيف يصح ان يأمر ابراهيم الامام بقتل العرب كل العرب وهو يدرك أهميتهم ويوصي أبا مسلم بالثقة بالقبائل اليمنية والربعية .

٤) واخيرا فان سياسة أبي مسلم وسليمان الخزاعي في خراسان لا تنطبق مع الوصية المزعومة فان الدعاة العباسيين قاموا بدعاية واسعة للثورة بين صفوف القبائل اليمنية والربعية حتى أن أبا مسلم قبل الكثير من المضريين ايضا في صفوف الدعوة .

وعلى هذا فاننا نعتقد بان هذه الوصية او عبارات منها على اقل تقدير قد وضعت من جانب أعداء العباسيين من الاخباريين كدعاية لتشويه أهداف الدعوة .

وحين عقد مجلس النقباء اجتماعا تقرر اعلان الثورة في مرو لانها على حد قول أحدهم « بها خلق كثير من اخواننا وبها السلطان قد وهن أمره.. ومتى يقوى بها أمرنا يقوى في غيرها » وقال اخر « اذا اجتث الاصل فلا بقاء للفرع » (٣٦) . وارسل الدعاة ليخبروا الشيعة العباسية بالالتقاء في مرو في يوم عيد الفطر من سنة ١٢٩ هـ .

وقد ساعد الوضع المتدهور في خراسان بسبب التصادم بين أنصار نصر بن سيار والي خراسان من جهة وانصار جديع الكرماني شيخ قبائل الازد اليمنية أبا مسلم على تركيز جهوده خلال سنة ١٢٨ هـ ــ سنة ١٢٩ هـ وخاصة في القرى التي يسكنها العرب خاصة وأن هؤلاء العرب قد أدركوا عدم جدوى هذا النزاع غير المثمر . يقول صاحب كتاب العيون والحدائق (٣٧) :

---

(٣٦) اخبار العباس ، ص ١٣١ ب فما بعد .

(٣٧) العيون والحدائق ، ص ١٨٨ .

« ولما رأى الناس .. ان شيعة بني مروان قد وقع بينهم الخلاف وبعضهم يقتل بعضا وان جديعا الكرماني قد قتل الحارث بن سريج وتسلم مرو ثم ان نصرا قتل جديعا وان عليا وعثمان ابني جديع مالا الى أبي مسلم وصادقاه وحلفا له دخل اكثر الناس في طاعته » .

وتؤكد ذلك رواية فريدة في مخطوط أخبار العباس حيث تقول :

« فطالت الفتنة بين نصر بن سيار وعلي بن الكرماني ومن كان بها من العرب حتى أضجر ذلك كثيرا من أصحابها وجعلت نفوسهم تتطلع الى غير ما هم فيه والى أمر يجمعهم فتحركت الدعوة يدعو اليماني من الشيعة اليماني والربعي الربعي والمضري المضري حتى كثر من استجاب لهم وكفوا بذلك عن القتال والعصبية » (٣٨) .

تدل هذه النصوص بصورة واضحة بان العرب من اهل خراسان كانوا عصب الجند الهاشمية . كما وان تمركزهم في قرى خزاعة اليمنية جعل نصرا يتردد في مهاجمتهم قبل استفحال امرهم لانه كان حذرا من تسويد اليمنية بأجمعها اي دخولها في صفوف الدعوة العباسية .

وليس يهمنا في هذا البحث ان نذكر حوادث الثورة وتطوراتها بالتفصيل فلقد تطورت الاحداث بين أخذ ورد واستطاعت الدعوة كسب شيخ قبائل الازد اليمنية واتباعه الذين كان بينهم من ربيعة ومضر كذلك الى صفوف الثورة . وكان هذا الكسب مهما جدا لانه كان يعني انضمام عدد كبير من العرب الى الدعوة وبهذه القوة الضاربة كانت نهاية نصر واندحار شيعة الامويين في خراسان .

ولا بد لنا ان نذكر بأن الشيعة العباسية تعرضوا لدعاية قوية وبليغة ومؤثرة من قبل نصر بن سيار والي الامويين فقد حاول الوالي الاموي ان يشوه من سمعة الشيعة العباسية واصفا اياهم بالكفار الذين يعبدون الرؤوس والسنانير والرعاع وسقاط العرب والموالي والسفهاء والمجوس . كما وانه تعرض لهم في الشعر قائلا فيهم :

ليسوا الى عرب منا فنعرفهم ... ولا صميم الموالي ان هم نسبوا

---

(٣٨) اخبار العباس ، ص ١١٩ أ .

ولم يقف الدعاة العباسيون مكتوفي الايدي تجاه هذه الدعـاية التي اقلقتهم لانهم خشوا ان يتأثر بها الاتقياء والعامة من الناس ولذلك قاموا بدعاية مضادة حيث نودي الى الاجتماع وبايع المجتمعون سليمان الخزاعي شيخ النقباء العباسية « **على كتاب الله وسنة رسوله .. واظهـار العدل وانكار الجور ورفع الظلم عن الضعفاء واخذ الحق من الاقويـاء** » . كمـا واجاب احد الدعاة العباسيين نصرا بن سيار شعرا بشعر فقال :

لسنا نحابي على الرحمن من احد فيما نطالب من مولى ومن عرب

على ان هذه النعوت التي أطلقها كل من المعسكرين على الآخر كانت لاسباب دعائية (٣٩) . فالامويون انفسهم حينما التقى الجمعان في المعركة نادوا الشيعة العباسية قائلين « **يا معشر المسلمين** » (٤٠) .. » ودعوهم الى نبذ التفرقة والانضمام الى الجماعة على اعتبار ان الخلافة الاموية هي التي تمثل الجماعة شرعا .

وتفصل روايات البلاذري واخبار العباس والازدي والطبري في شرح الحوادث التي صاحبت تقدم قوات اهل خراسان الى المدن الاخرى بعد احتلالها مرو . فتذكر مثلا أن خازما التميمي احتـل مرو الروذ باسـم العباسيين بمساعدة قبيلة تميم .

ولقد جاءت اوامر ابراهيم الامام بتعيين قحطبة بن شبيب الطـائي قائدا لاهل خراسان الذين توجهوا الان الى العراق والشام عبر فارس . ويقدرهم صاحب كتاب الامامة والسياسة بـ ٣٠ الفا من اليمنية والشيعة وفرسان خراسان . وفي نيسابور خاض الجيش الخراساني معركة مع اتباع نصر من العرب والفرس من سكان نيسابور . على ان المعركة المهمة وقعت في جرجان حيث وقف اهل جرجان الفرس مع الامويين وقاتلوا معهم جنبا الى جنب ضد الجيش الخراساني . على ان الجيش الخراساني استطاع احتلال

---

(٣٩) انظر الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية (بالانكليزية) الفصل الثاني . بغداد ١٩٦٩ .

(٤٠) اخبار العباس ، ص ١٦٦ ب : « يا معشر المسلمين اتقوا الله وراجعوا جماعتكم ولكم الامان على ما احدثتم في هذه الفتنة ولكم العطاء والرزق الواسع » .

جرجان وقتل الكثير من الايرانيين الذين قاوموا الخراسانيين (٤١) . ان معركة جرجان دليل آخر على ان الدعوة العباسية لم تكن ثورة الفرس على الامويين ذلك لان الفرس من اهل جرجان وقفوا الى جانب الامويين واستطاعوا مقاومة الخراسانية بل اخرجوا جيش قحطبة الطائي بعد احتلاله المدينة للمرة الاولى فكان على قحطبة ان يعيد الكرة لكي يحتل المدينة ثانية . ولعلنا نستطيع القول بان الكثير من المدن الايرانية لم تثرها الدعوة العباسية بالدرجة التي يصدرها لنا فان فلوتن ومن تبعه من المؤرخين المحدثين .

ولقد ساعدت القبائل العربية في العراق الجيش الخراساني حيث اهدته الى اقصر الطرق واسلمها للوصول الى الكوفة . وكان من السهولة على شيوخ هذه القبائل ان يغيروا ولاءهم من الامويين الى العباسيين وعلى حد قول احدهم فان دولة بني امية مدبرة ودولة المسودة مقبلة يأملون منها الخير الكثير .

وقد اغلقت قبائل الموصل ابواب المدينة في وجه الخليفة مروان الاموي الذي اضطر الى الانسحاب الى الشام . وفتحت الموصل أبوابها للجيش الخراساني مستقبلة اياه بالتهليل (٤٢) .

وفي حصار واسط اغرى أبو جعفر (المنصور) القبائل اليمنية المعتصمة في داخل المدينة مع يزيد بن عمر بن هبيرة والي الامويين على العراق قائلا لهم « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم » . وقد ثمن الخليفة ابو جعفر المنصور موقف القبائل اليمنية معاضدتها للثورة العباسية قائلا :

« فيحق لنا ان نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا (٤٣) » .

وفي حصار دمشق يستنجد عبد الله بن علي العباسي قائد الجيش الخراساني باليمنية من أهل الشام قائلا : **« انكم واخوتكم من ربيعة كنتم**

---

(٤١) اخبار العباس ، ص ١٦٠ ب .

(٤٢) الازدي : تاريخ الموصل ، ص ١١٥ .. « ووافى مروان الموصل منهزما فمنعه هشام بن عمرو من دخول الموصل وسود وأهل الموصل .. » .

(٤٣) الازدي : المصدر السابق ، ص ١٩١ — ١٩٤ .

بخراسان شيعتنا وانصارنا .. (٤٤) » . وعلى هذا فعلينا الا نستغرب بافتخار العرب بانهم سند الدعوة ونقباؤها وانصارها (٤٥) . ولا عجب كذلك من رفع الدعوة شعار « **يا محمد يا منصور** » . فمحمد هو محمد بن علي العباسي منظم الدعوة والمنصور هو « **منصور اليمن** » أي المنقذ اليمني الذي تذكره الملاحم والنبوءات وتتوقعه القبائل القحطانية اليمنية .

الخاتمة :

ولعل فيما ذكرناه من نصوص قد أوضح بجلاء ان الوقت قد حان لاعادة النظر في التفسير القديم للدعوة العباسية الذي يدعي بأن الدعوة قامت على اكتاف الفرس واستبداله بتفسير جديد يبين بوضوح بأن العنصر المحرك للدعوة كان العرب الخراسانية الذين كونوا اغلبية الشيعة العباسية يساعده في ذلك الموالي والفرس . على اننا لاحظنا بأن الفرس لم يكونوا الى جانب طرف واحد فقط من الطرفين المتنازعين العباسي والاموي بل نجدهم يحاربون في صفوف المعسكرين ولكن دورهم لم يكن كبيرا بحيث يمكن مقارنته بدور العرب . وعلى هذا فالثورة العباسية لم تكن عنصرية كما فهمها بعض المؤرخين بل على العكس فان فهمها للاسلام كان أكثر شمولا وأوسع نطاقا مما تصوره بعض المؤرخين .

---

(٤٤) الازدي : المصدر السابق ، ص ١٢٤ « .. ثم ان العباسيين اكرموا شيوخ القبائل الذين ساعدوهم بمنحهم القطائع حيث اقطع ابو العباس وائل السجاصي الازدي الموصلي قطيعتين بربض مدينة الموصل . وزاد من ذلك الخليفة المنصور » (الازدي ص ١٣٦، ١٤٩) .

(٤٥) الجاحظ : رسائل الجاحظ ، (مناقب الترك) .

الجذور التاريخية للطموح السياسي العباسي

مقدمـــــة

ان ادعاء العباسيين بحقهم في الخلافة مر بمرحلتين مختلفتين تتميز كل منهما عن الاخرى من حيث الفحوى والاهمية . ففي فترة الدعوة السرية ضد الحكم الاموي ، تلك الفترة التي كان الدعاة العباسيون فيها يهدفون الى كسب اكبر عدد ممكن من المعارضين للسلطة الاموية . رفعت الدعوة شعارات عامة مثل « حق اهل البيت » او « بني هاشم » في حكم الجماعة الاسلامية بعد وفاة الرسول (صلعم) . وفي هذه الفترة نـادى الدعـــاة العباسيون بان حق العباسيين في الخـلافة يرجع الى وصية ابي هـاشم عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب . وهذا يعني بان العباسيين قد ورثوا حقهم في الخلافة من الفرع الحنفي (لان محمدا كان يسمى محمد بن الحنفية نسبة الى امه خولة الحنفية) من العلويين بصفة شرعية . ولكن ما ان نجحت الثورة وتأسست الدولة الجديدة حتى « تناسى » العباسيون روابطهم بأبي هاشم ومنظمته السرية « الهاشمية » وبدأوا يؤكدون بأن حقهم في الخلافة يرجع الى العباس بن عبد المطلب عم الرسول (صلعم) ووارثه .

وقبل مناقشة الادعاء الاول لا بد لي ان استعرض باختصار فعاليات الحركة السرية التي قامت باسم محمد بن الحنفية ثم قادها ابنه أبو هاشم من بعده حتى سلم قيادتها الى تلميذه وصديقه محمد بن علي العباسي ، فأقول بان الثورة التي قادها المختار بن عبيد الثقفي (٦٦/٦٨٥م-٦٧/٦٨٦م) في الكوفة (١) والتي شملت العراق العربي وجزءا من منطقة الجزيرة كانت باسم محمد بن الحنفية . ولا بد من القول بان هذه الحركة استحدثت مبادىء جديدة في تطور حركة المعارضة العلوية فلقد اعلن المختار بان محمد بن الحنفية هو المهدي المنتظر ثم ادعى المختار النبوة . ولكن الذي يهمنا من هذه الحركة في هذا المقام هو انها نقلت الامامة من الفرع الفاطمي (الحسن والحسين - رضي الله عنهما -) الى محمد بن الحنفية .

ولقد عرفت حركة المختار في المصادر التاريخية ومصادر الفرق بأسماء مختلفة منها : الكيسانية (٢) والمختارية والخشبية (٣) . الا ان وفاة محمد بن الحنفية سنة ٨١ هـ - ٧٠٠ م ادى الى انقسام اتباعه فرقا واشياعا . ويمكن القول بأن هؤلاء الاتباع انشطروا شطرين رئيسيين :

١ - الكربية (٤) وهم الاتباع الذين لم يصدقوا بوفاة محمد بن الحنفية، واعلنوا انه اختفى في جبل رضوى او ربما في مكان آخر ، وكان من رؤساء هذه الفرقة حمزة بن عمارة الذي اعتقد بان محمد بن الحنفية كان الها وانه (اي حمزة) نبيه وبهذا فقد بث آراء غالية .

---

(١) ولهاوزن - الدولة العربية وسقوطها ، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة ، ص ١٨١ فما بعد .. دائرة المعارف الاسلامية مادة (المختار) كتبها ديللا فيدا .

(٢) يختلف الرواة في نسبة الاسم فيرجعه بعضهم الى انه كان لقبا للمختار ويرجعه البعض الاخر الى صاحب شرطته . (الاشعري) مقالات الاسلاميين ج١ ص ١٧ ، ابن قتيبة، المعارف ، ص ٦٢٢) .

(٣) ترجع هذه التسمية الى العصي والخشب الذي كان السلاح الوحيد بيد الموالي الذين تقرب اليهم المختار (انظر نوبختي ، فرق الشيعة ص ٢٠ - ٢١) .

(٤) النوبختي - فرق الشيعة ، ص ٢٣ فما بعد . القمي ، الفرق والمقالات ، ص ٢١، ٣٥ - ٣٨ ، الاشعري ، ج ١ ص ١٩ . الكشي ، الرجال ، ص ٢٦٦ .

٢ ـ الاتباع الذين آمنوا بوفاة محمد بن الحنفية وهؤلاء اختلفوا فيمن يخلفه في الامامة :

أ ـ فمنهم من ادعى ان الامامة انتقلت من بعده الى علي بن الحسين (زين العابدين) وهذه الرواية (٥) فريدة وليس لها ما يؤيدها في المصادر الاخرى . وهناك رواية اخرى (٦) فريدة في بابها تتفق مع سابقتها في انها تؤيد انتقال الامامة الى علي زين العابدين ولكنها تختلف معها في اسم الامام الذي انتقلت منه وهو في هذه الحالة أبو هاشم وليس محمد بن الحنفية . ولا بد لي ان اقول انه اذا كان في مثل هذه الروايات من صحة تاريخية فانها لا تعني اكثر من القول بان وفاة ابن الحنفية قد دفع قسما من اتباعه الى الانخراط في الكتلة العلوية الحسينية .

ب ـ ومنهم من ادعى بان الامامة انتقلت الى ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (٧) . ولقد نظم ابو هاشم هذا اتباعه في منظمة سرية فعالة سميت « بالهاشمية » وكانت فعالياته مراقبة من قبل الامويين وعيونهم .

وبوفاة ابي هاشم سنة ٩٧ او ٩٨ ـ ٧١٥ ـ أو ٧١٦ من دون ان يكون له ولد يخلفه تشتت اتباعه الى كتل وجماعات كل منها يؤمن بامامة شخص معين . وبصورة اجمالية يمكن تصنيفهم الى الكتل التالية :

الكتلة الاولى : نقلت الامامة من ابي هاشم الى اخيه علي بن محمد بن الحنفية ، ثم انتقلت الامامة في اولاد الاخير واحدا بعد الآخر (٨) . ويظهر ان هؤلاء الاتباع ظلوا مخلصين لذكرى محمد بن الحنفية وموالين لعقبه من بعده .

الكتلة الثانية : ادعت ان الامامة انتقلت من البيت العلوي الى البيت العباسي بوفاة ابي هاشم وذلك بناء على وصية ابي هاشم الى محمد بن علي

---

(٥) البغدادي ـ الفرق بين الفرق ، ص ٢٨ .

(٦) الاشعري ـ مقالات الاسلاميين ، ج١ ص ٢٣ .

(٧) النوبختي ، نفس المصدر السابق ، ص ٢٧ ، القمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ ، ٦٩ . الاشعري ، المصدر السابق ج ١ ص ٢٠ .

(٨) نوبختي ، نفس المصدر ، ص ٢٨ ـ ٢٩ . القمي ، المقالات والفرق ، ص ٣٨ . الاشعري ، نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٠ ـ ٢١ .

ابن عبد الله بن العباس (٩) . ومهما يكن فبالنسبة الى هذه الفرقة بقيت الامامة في بني هاشم عائلة الرسول (صلعم) .

الكتلة الثالثة : وهم اتباع بيان بن سمعان التميمي الكوفي (١٠) الذين اعتقدوا بان بيان خلف ابا هاشم في قيادتهم وانه نبي وقد نادى بيان التميمي بمبدأ الحلول والتناسخ فقال بان الروح الالهية تناسخت في الائمة واحدا بعد واحد وحلت اخيرا فيه . ولقد كانت نهايته ان القى والي الكوفة خالد ابن عبد الله القسري القبض عليه سنة ١١٩ هـ — ٧٣٧ م واحرقه في الكوفة مع صاحبه المغيرة بن سعيد العجلي .

الكتلة الرابعة : وهم اتباع عبدالله بن عمرو بن حرب (١١) الذين اعلنوا ان ابن حرب هو الامام بعد ابي هاشم ، ولكن الظاهر ان حركتهم لم تكن نشطة وان زعيمهم لم يكن مؤهلا او كفوءاً لقيادة حركتهم حيث انه تراجع عن مبادئه ولذلك لم يكن لهذه الحركة شأن كبير ولا تذكر عنها مصادرنا التاريخية او غير التاريخية الا النزر القليل .

الكتلة الخامسة: وهي الفرقة التي تعرف تاريخيا باسم الجناحية(١٢)

---

(٩) اخبار العباس (مخطوطة) ص ٨٥ أ ، نوبختي ، نفس المصدر ص ٢٩ — ٣٠ ، القمي — نفس المصدر ، ص ٣٩ — ٤٠ . الاشعري نفس المصدر ، ج ١ ص ٢١ . القاضي النعمان ، شرح الاخبار فى تاريخ الائمة الابرار (مخطوطة) ، ص ٥٠ . البغدادي ، الفرق بين الفرق ص ٢٨ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ١٥ . انظر فيما بعد مناقشة المصادر التاريخية .

(١٠) نوبختي ، نفس المصدر ، ص ٣٠ وما بعدها ، القمي ، نفس المصدر ، ص ٣٣ — ٣٤ ، الاشعري نفس المصدر ، ج١ ص ٢٣ ، البغدادي ، ص ٢٨ ، ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ج١ ص ٣٤ ، الشهرستاني ، نفس المصدر السابق ص ١١٣ — ١١٤ . والجدير بالذكر ان البغدادي يذكر ان اتباعه انقسموا الى قسمين « فمنهم من زعم انه كان نبيا وانه نسخ بعض شريعة محمد صلعم ومنهم من زعم انه كان الها » .

(١١) الاشعري ، نفس المصدر ، ج١ ص ٢٢ . البغدادي ص ٢٨ ، ابن حزم ، نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٧ ، شهرستاني ، نفس المصدر ، ص ١١٢ .

(١٢) النوبختي ، ص ٢٦ ، الاشعري ص ٢٢ — « فمن عرف الامام فليصنع ما يشاء » . الطبري — تاريخ الرسل والملوك . دار المعارف بمصر ١٩٦٦ ، ج ٧ ص ٣٠٢ الشهرستاني ص ١٦ ، ١١٣ .

اتباع عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو بطبيعةالحال ليس علويا ولا فاطميا . ولقد ثار عبدالله بن معاوية في الكوفة سنة ١٢٧ هـ ـ ٧٤٤ ـ ٧٤٥ م وكان لثورته أهمية كبيرة في تاريخ حركة المعارضة الهاشمية فلقد اتسعت حركته التي نادت بآراء متطرفة من العراق الى فارس واسس دولة فتية شملت المناطق التيامتدت اليهاسلطته السياسية، وقد اعانته بعض الشخصيات العباسية في ادارة دولته الا ان الجيش الاموي لم يترك له المجال حيث قضى على حركته بفترة قصيرة واضطر عبدالله الى الهرب الى خراسان حيث قبض عليه ابو مسلم وسجنه مدة ثم قتله ذلك لان الدعوة العباسية كانت قد اختمرت في خراسان في ذلك الحين وان خراسان لا تتسع الى منافس جديد فعال للعباسيين مثل عبدالله بن معاوية . ومما هو جدير بالذكر ان الجناحية ادعوا بان ابا هاشم كان قد أوصى الى عبدالله بن معاوية بالامامة من بعده . وتذكر المصادر وقوع مشادة كلامية بين الجناحية والعباسية حول مصير الامامة بعد ابي هاشم فكل منهما يدعي أن أبا هاشم أوصى لامامه .

ان هذا الاستعراض للفرق والكتل الدينية السياسية التي ادعت وصية أبي هاشم يظهر لنا بوضوح المشادة العنيفة حول هذه الوصية كما وانه يعكس الانقسامات الحادة بين الكتل والجماعات المختلفة حول مسألة الامامة .

وبقدر ما يتعلق الامر بادعاء العباسيين لهذه الوصية فلقد اختلف موقف المؤرخين المحدثين من مسلمين ومستشرقين من ذلك ففان فلوتن والبروفسور لويس والبروفسور موسكتي (١٣) يقبلونها على أنها صحيحة تاريخيا . اما ولهاوزن (١٤) فيعتبرها « ربما كانت رواية أسطورية او خيالية » ويكذب زتسترن ودي خويه كترمير رواية الوصية والسم (١٥).

---

(١٣) فان فلوتن ـ السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، ص ٩٢ فما بعد . برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، ص ٧٨ ، دائرة المعارف الاسلامية الجديدة (العباسيون). موسكتي ، وصية ابي هاشم ١٩٥٢ ص ٩ وما بعدها .

(١٤) ولهاوزن ـ الدولة العربية وسقوطها (بالانكليزية) ص ٥٠٣ .

(١٥) دائرة المعارف الاسلامية (مادة ابو هاشم) . دي خويه ، انساب الاشراف للبلاذري ، في مجلة Z. D. M. G. ١٨٨١ ، ص ٣٩٤ . الا ان ادعاء دي خويه بان العباسيين هم

اما الاستاذ الدكتور الدوري فقد كان حذرا من قبولها اول الامر « وعلى كل فيمكننا ان نجزم بان ابا هاشم توفي ولا عقب له وبان التفاهم بينه وبين محمد بن علي جعل الهاشمية ينضمون الى محمد ويكونون نـواة الدعوة العباسية » . ولكن الدكتور الدوري عدل عن رأيه بعد اطلاعه على مخطوطة أخبار العباس وأكد على اهمية الوصية وحقيقتها التاريخية (١٦).
ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن « وكان البيتان (العلوي والعباسي) متحدين على العدو المشترك وهو بنو امية الى ان انتقل حق الامامة مـن العلويين الـى العباسيين بنزول ابـي هاشم » وهو بهذا يقر بصحـة الوصية (١٧) . اما البروفسور كلود كاهين فلا يقيد نفسه برأي فيقول « ان مسألة حقيقة وصية ابي هاشم لمحمد بن علي العباسي لم يعد لهـا اليوم نفس الاهمية التي كانت لها من قبل والى وقت قريب » ثم يضيف « ولكن من غير الممكن ان نشك في ان شيعة ابي هاشم قد حلفوا يمين الولاء لمحمد وان هذا الاخير قد تصرف وكأنه أمامهم » (١٨) .

أما المؤرخون الاقدمون فالكثير منهم يؤكد أن ابا هاشم قد أوصى فعلا لمحمد العباسي . فيذكر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ — ٨٩٢ م) انه « لمـا استخلف سليمان بن عبد الملك (٧١٥/٩٦ — ٧١٧/٩٩) اتاه ابو هاشم عبدالله .. وافدا في عدة من الشيعة .. وكان محمد بن الحنفية حـين حضرته الوفاة اوصى اليه وقلده امر الشيعة والقيام بشأنهم . فلما دخل عليه استبرع بيانه وعقله .. ثم شخص فبعث سليمان معه دليلا وأمره ان يخدمه فحاد به عن الطريق وقد أعد له اعرابيا في خبا ومعه غنم له ومعه سم فوافاه وقد كاد العطش يأتي عليه فاستقى من الاعرابي فسقاه لبنـا قد جعل فيه ذلك السم فلما شربه مرض فمال الى محمد بن علي وهـو

الذين سموا ابا هاشم وادعوا انه اوصى اليهم بقيادة حركته السرية لا يعتبر تخريجا صحيحا لانه لا يستند على مصادر تاريخية . كترمير حول دولة الخلفاء العباسيين ، المجلة الاسيوية الجديدة ١٨٣٥ ص ٣٢٤ — ٣٢٥ .

(١٦) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢١ . الدوري . ضوء جديد على الدعوة العباسية ، مجلة كلية الاداب والعلوم ، العدد الثاني ١٩٥٧ . ص ٦٨ .

(١٧) حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام .. ج ٢ ص ١١ .

(١٨) كاهين — وجهة نظر حول الثورة العباسية (باللغة الفرنسية) ، ١٩٦٦ ، ص ٣١١ .

بالحميمة فمات عنده » (١٩) . وفي رواية ثانية للبلاذري لا تختلف كثيرا عن الاولى يقول ان ابا هاشم قال لمحمد العباسي « يا ابن عم انا كنا نظن ان الامامة فينا فقد زال الشك وصرح اليقين بأنك الامام دون ابي واعطاه كتبه وسمى له شيعته » (٢٠) . وفي رواية ثالثة للبلاذري ان ابا هاشم قال لمحمد « ان هذا الامر امر انت أول من يقوم به ولولدك اخره » (٢١) . ويوافق اليعقوبي البلاذري في روايته عن الوصية الا انه كعادته لا يذكر مصادره في بدء كل رواية فيقول : بعد أن سقي أبو هاشم السم قال : «ميلوا بي الى ابن عمي محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فانه بأرض الشراة فأسرعوا السير حتى أتوا محمدا بالحميمة فلما قدم عليه قال له يا بن عم انا ميت وقد صرت اليك وهذه وصية ابي الي وفيها ان الامر صائر اليك والى ولدك والوقت الذي يكون فيه ذلك والعلامة وما ينبغي لكم العمل به » . اما الطبري فيتفق في جوهر الرواية مع سابقيه ولكنه يقول ان أبا هاشم قال لمحمد « يا ابن عمي ان عندي علما انبذه اليك فلا تطلعن عليه احدا ان هذا الامر الذي ترتجيه الناس فيكم » (٢٢) .

والجدير بالذكر ان روايات البلاذري (ت ٢٧٩ ــ ٨٩٢) واليعقوبي (ت ٢٨٤ ــ ٨٩٧) والطبري (ت ٣١٠ ــ ٩٢٣ م) ربما استقيت من مصدر واحد هو اما الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦ ــ ٨٢١) او المدائني (ت بين ٢١٥ ــ ٢٣٤ هـ / ٨٣٠ ــ ٨٤٨) وكلا الراويين على جانب لا يستهان به من حيث صحة رواياتهما التاريخية . هذا من جهة ومن جهة اخرى ان الاختلاف في أسلوب الرواية وكلماتها مع انها تؤدي الى نفس المعنى وتروي نفس الحادثة يؤكد صحة الخبر المروي ويزيد نسبة الثقة فيه.

ويعالج موضوع الوصية مؤرخون اخرون فيذكر ابن سعد (ت ٢٣٠ ــ ٨٤٥) في طبقاته ان الوفاة لما حضرت أبا هاشم « أوصى الى محمد بن علي ... وقال له انت صاحب هذا الامر وهو في ولدك وصرف الشيعة

---

(١٩) البلاذري ــ مخطوطة انساب الاشراف ، ص ٦٨٧ أ ــ ٦٨٧ ب عن الهيثم بن عدي .

(٢٠) البلاذري ــ نفس المصدر السابق ، ص ٦٨٧ ب ابو مسعود الكوفي عن عوانه .

(٢١) البلاذري ، نفس المصدر ص ٦٨٦ ب المدائني . وانظر ايضا ص ٧٤٦ ب قالوا .

(٢٢) اليعقوبي ــ التاريخ ، نجف ١٩٦٤ ، ج ٣ ص ٤٢ . الطبري ــ تاريخ الرسل .. طبعة ليدن ، السلسلة الثالثة ، ص ٢٤ .

اليه . ودفع كتبه ورايته اليه » . ويؤكد ابن حبيب (ت ٢٤٥ ــ ٨٥٩) ان سليمان سم ابا هاشم الذي مات عند محمد العباسي (٢٣) . ويذكر ذلك ايضا ابن قتيبة (ت ٢٦٧ ــ ٨٨٩) ويقول ان ابا هاشم عرف محمدا العباسي برجاله وكتبه . واذا صح لنا ان نعزو كتاب الامامة والسياسة الى ابن قتيبة فهو يذكر خبر الوصية ويقول ان ابا هاشم « اشهد له (لمحمد العباسي) من الشيعة رجالا » (٢٤) . ويؤيد المسعودي (٢٥) (ت ٣٤٥/ ٩٥٦) خبر انتقال الامامة من العلويين الى العباسيين بوصية ابي هاشم ولكنه يخطىء حينما يقول بان الوصية كانت لعلي بن عبدالله العباسي وليس لابنه محمد . اما كتاب العيون والحدائق فيقول ان ابا هاشم سم بحلواء وليس بلبن وبعد ان أحس ابو هاشم بها « تحامل الى الحميمة وكتب كتبا الى ولد عبدالله بن عباس بني عمه واعلمهم خبر الدعاة وسلم اليهم خاتما يختم به الكتب الى الدعاة وكتب بذلك الى الشيعة بتسليم الامر لبني العباس (٢٦) . ولا يفوتني ان اذكر بان الجاحظ (٢٧) (ت ٢٥٥/٨٦٨) يندد بالامويين لانهم سموا ابا هاشم عبدالله .

ومن المصادر المهمة التي تبحث في الوصية هي مخطوطة « اخبار العباس وولده » للمؤلف المجهول . تقول المخطوطة تحت عنوان « اخبار الامامة » « والكيسانية منسوبون الى المختار بن عبيد ... وكان يلقب كيسان وهو أول من قال بامامة محمد بن علي وبها كان يقول علي بن عبدالله (العباسي) وولده الى ايام المهدي وكان تشيع العباسية اصله من قبل محمد بن الحنفية » . وتقول المخطوطة « قدم أبو هاشم .. فنزل على محمد بن علي (العباسي) فاشتكى فأوصى الى محمد وكان يسمى بعده الامام » . وتفصل المخطوطة في علاقة محمد العباسي بأبي هاشم

---

(٢٣) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ص ٢٤١ . ابن حبيب ، اسماء المغتالين .. (نوادر المخطوطات تحقيق هارون ١٩٥٤) ص ١٧٩ ــ ١٨٠ .

(٢٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ١١١ . نفس المؤلف ، الامامة والسياسة (منسوب اليه) ج ٢ ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩ عن الهيثم بن عدي .

(٢٥) المسعودي ، مروج الذهب ج ٦ ص ٥٨ ــ ٥٩ .

(٢٦) العيون والحدائق (للمؤلف المجهول) ص ١٨٠ .

(٢٧) الجاحظ ، فضل بني هاشم على بني عبد شمس (السندوبي) ص ٧٩ .

والظروف التي ادت الى موت ابي هاشم ولكنها لا تذكر ان ابا هاشم قد سم وانما تقول انه مات موتا طبيعيا (٢٨) . ومهما يكن من امر فان أهم ما يذكر في موضوع الوصية في هذه المخطوطة هي « الصحيفة الصفراء » . ويرجع اصل هذه الصحيفة الى محمد بن الحنفية الذي ورثها عن ابيه علي بن ابي طالب حيث أعطاه اياها الحسين بن علي اخاه . وتحتوي هذه الصحيفة على « علم رايات خراسان السود متى تكون وكيف تكون ومتى تقوم ومتى زمانها وعلاماتها وآياتها واي احياء العرب انصارهم وأسماء رجال يقومون بذلك كيف صفتهم وصفة رجالهم واتباعهم فكانت تلك الصحيفة عند محمد بن علي بن الحنفية حتى اذا حضره الموت دفعها الى ابنه عبدالله بن محمد وهو الذي يكنى ابا هاشم وكانت عنده حتى اذا حضره الموت ... ومات في الحميمة عند محمد بن علي فدفع الصحيفة اليه واوصاه بما أحب .. » (٢٩) . ثم تسرد المخطوطة الوصية الشفوية التي أوصى ابو هاشم محمدا بها وهي لا تختلف في فحواها عما ذكر في المصادر السابقة ولو انها تتميز بالتفصيل والشمول فتذكر انه بعد وفاة ابي هاشم قام محمد العباسي وخطب في الشيعة قائلا « لئن كنتم أصبتم بموته لقد خصصت بذلك منه وقد جمعني واياكم القيام بهذا الامر وعلمت منه كثيرا مما لم تعلموا فاتقوا الله ربكم وحافظوا على هذا الحق الذي سعيتم في اقامته واحفظوا السنتكم فلا تطلقوها الا في مواضع النفع والغنا وتصبروا للمكروه فقد قرن بكم فان حفظتم ذلك فانتم شيعتي وخاصتي واولى الناس بي في محياي ومماتي » . فأجابه احد كبار الاتباع قائلا « قد أوصى اليك صاحبنا الذي كنا نأتم به وذكر ان هذا الامر فيك وفي ولدك وقد قبلنا ذاك فمرنا بأمرك نقف عليه ولا نتعده» (٣٠) . ولما كان كتاب

---

(٢٨) مخطوطة اخبار العباس ص ٧٤ أ — ٨٤ ب .

(٢٩) مخطوطة اخبار العباس ، ص ٨٤ ب — ١٨٥ أ عن يونس بن ضبيان عمن حدثه عن ابي جعفر محمد الباقر .

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٨٥ أ — ٨٧ ب عن ابراهيم بن سلمة . والجدير بالذكر ان هناك رواية تذكر الوصية وكأنها حدثت قبل وفاة ابي هاشم بكثير حينما كان محمد يدرس على يديه حيث اوصى ابو هاشم اتباعه باتباع محمد بعد وفاته (ص ٧٨ ب) .

« نبذة من التاريخ » للمؤلف المجهول مـن القرن الحادي عشر مختصرا لمخطوط اخبار العباس وولده الآنفة الذكر فان ما ذكر عن أخبار الوصية في المخطوط ذكر باختصار في « النبذة » (٣١) .

اما المصادر التاريخية المتأخرة فهي ليست ذات قيمة تاريخية كبيرة بالنسبة للوصية ومهما يكن من أمر فانني أستطيع ان أقول بأنها تجمع على تأكيد الوصية معتمدة على هذه الرواية او تلك . فابن عبـد ربـه (٣٢) (ت ٣٢٨ / ٩٤٠) ينقل الوصية معتمدا على الهيثم بن عدي ولكن الرواية فيها الكثير من التفصيل والتطويل مما يدل على الوضع والاضافة في قسم منها خاصة وانها تتنبأ عن حوادث تاريخيـة وقعت فعـلا أثناء الدعوة والثورة العباسية وهي كذلك تختلط مع وصية محمد العباسي الى دعاته الذين ارسلهم فيما بعد الى خراسان . وكذا يؤكد كل من المقدسي وابن عساكر وابن الاثير وابن خلكان وابن خلدون المقريزي وابن تغري بـردي والداؤدي هذه الوصية ولكن المعلومات التي ينقلونها تكون مشوشة احيانا لانها تعتمد على درجة دقتهم ومقدار اهتمامهم في نقل الحقائق عن حوادث سبقت زمانهم بقرون ولذلـك نلاحظ نسخـا حرفيا من مصادر سابقة وحتى في هذا النسخ هناك أخطاء في الاسماء والحوادث والسنين لا مبرر لهـا (٣٣) .

لا بد لي أن أضيف بان مصادر الفرق تعطينا معلومـات واضحـة بالرغم من كونها ضئيلة وليست كافية لرسم صورة متكاملة لهذه الوصية المهمة في التاريـخ السياسي والعقائدي في الاسلام . فالنوبختي (ت

---

(٣١) نبذة من كتاب التاريخ (للمؤلف المجهول) ص ٢٤٨ ب ـ ٢٥٠ ب .

(٣٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٤ ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ .

(٣٣) المقدسي ـ البدء والتاريخ ج ٦ ، ص ٥٦ ـ ٦٠ ، ابن عساكر ـ تاريخ دمشق ج ٥ ، ص ٤٦٠ ، ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٣٨ ـ ٣٩ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، قاهرة ١٨٨٢ ، ج ٢ ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ . ابن خلدون ، العبر .. طبعة القاهرة ، ج ٣ ص ١٠٠ . المقريزي ، منتخب التذكرة (مخطوطة) ص ٨٠ أ ـ ٨٠ ب . الخطط ، ج ٤ ص ١٧٧ . ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ عن رشـد بن كريب . الداودي عمدة الطالب ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ . الصفدي ، الواف بالوفيات ريتر ١٩٣١ ج ٤ ص ١٠٣ .

حوالي ٣٠٠ / ٩١٢) وسعد القمي (ت ٣٠١ / ٩١٣) وهما من اقدم من كتب في الفرق والعقائد متفقان على ان ابا هاشم « أوصى الى محمد ابن علي بن عبدالله العباسي وانه دفع الوصية الى أبيه علي بن عبدالله وانه مات عنده بارض الشراة بالشام وهؤلاء غلاة الراوندية » (٣٤) . اما الاشعري فيقول حينما يتكلم عن الكيسانية « ويزعمون ان الامام بعد ابي هاشم محمد العباسي وقد مات ابو هاشم بارض الشراة منصرفه من الشام فأوصى هناك الى محمد » (٣٥) . ويؤيد هذا القول البغدادي والشهرستاني والاسفراييني (٣٦) .

ولكن بالرغم من اقرار هؤلاء الكتاب بان اصل الحركة العباسية يرجع الى الكيسانية والهاشمية فانهم لم يتهموا الفرقة العباسية بالتطرف او الغلو كما اتهموا الكيسانية بذلك . ولقد نسب هؤلاء الكتاب الغلو او التطرف الى فرق اخرى كثيرة منها الجناحية والمنصورية والحربية والبيانية (٣٦أ). ولعل ذلك يرجع الى ان هذه الكتب ألفت في عصر الدولة العباسية نفسها فلم يجرؤ هؤلاء على الافصاح والايضاح أكثر . ولا بد لي ان استدرك فأقول ان هذه الكتب نسبت الغلو الى فرق تفرعت من العباسية وانشقت عليها بعد تأسيس الدولة الجديدة مثل غلاة الراوندية والرزامية والمسلمية والمقنعية والخرمية والخ . ولقد قامت هذه الفرق بين آونة وأخرى في العصر العباسي الاول بثورات وانتفاضات ضد الحكم القائم . ولذلك يفرق هؤلاء الكتاب بين العباسية مؤيدي الدولة وبين الفرق المنشقة عليها فيتهمون المنشقين بالتطرف والغلو ، فالطبري (٣٧)

---

(٣٤) النوبختي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ . القمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٣٥) الاشعري ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٣٦) البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٢٧ – ٢٨ . الشهرستاني ، المصدر السابق ، ص ١٥ – ١٦ . الاسفراييني ، التبصير بالدين ص ٧٥ . مخطوطة التبصير بالدين (باريس) ص ٧٨ ب .

(٣٦أ) النوبختي ص ٣٢ – ٥٠ ، القمي ، ص ٢٦ ، ٤٦ – ٤٧ . الاشعري ج ١ ، ص ٥ ، البغدادي ص ٢٢٧ – ٢٤٢ ، الشهرستاني ص ١٣٢ فما بعد . ابن حزم ص ١٨٠ – ٨١٥. الاسفراييني ص ٧٠ – ٧٤ . الملطي ، التنبيه والرد ص ١١٨ – ١٢٢ .

(٣٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، السلسلة الثالثة ص ٤١٨ – ٤١٩ عن المدائني . كذلك المقدسي ، البدء .. ج١ ص ٨٣ . ابو الفدا ، المختصر في أخبار البشر ج ٢ ، ص ٠٣.

مثلا يتهم الراوندية بالغلو ويقول بانهم « اعتقدوا بان الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الائمة واحدا بعد واحد الى ابراهيم بن محمد وانهم الهة ، واستحلوا الحرمات .. فعبدوا ابا جعفر المنصور .. » وهذا يدل على اعتناقهم مبدأ الحلول والتناسخ (٣٨). ولكن الطبري يؤكد بأن السلطة العباسية نكلت بهم لتطرفهم . ويذكر النوبختي وسعد القمي ان غلاة الراوندية قالوا بأن ابا هاشم أوصى الى محمد العباسي « فهو الامام وهو الله عز وجل وهو العالم بكل شيء فمن عرفه فليصنع ما شاء وهؤلاء غلاة الراوندية » (٣٩) وهكذا نلاحظ بأن المؤلفين يستدركان القول وينسبان الاعتقاد لا الى العباسية ولكن الى غلاة الراوندية . وينسب المسعودي (٤٠) آراء متطرفة الى فرقة اخرى منشقة عن العباسية وهي المسلمية التي نادت بامامة ابي مسلم ، بعد مقتله سنة ١٣٧ / سنة ٧٥٤ من قبل المنصور ، « وانه لم يمت ولن يموت حتى يظهر فيملأ الارض عدلا .. » . ولكن فعاليات الدعوة العباسية في خراسان والاراء التي نادى بها أحد كبار دعاتها ومن ذوي السابقة في الدعوة خداش (٤١) ، وكذلك جذورها التي تنبع من الفرقة « الهاشمية » وفروعها التي انشقت عليها بعد نجاح الثورة كل ذلك يدل على ان للدعوة العباسية واجهة متطرفة . الا ان هذه الواجهة كانت واحدة فقط من الواجهات العديدة التي طرحتها الثورة العباسية لتجذب أكبر عدد ممكن من المتذمرين والمستائين وذلك عن طريق طرح شعارات والمناداة بعقائد

---

(٣٨) الطبري ــ تاريخ الرسل ، السلسلة الثالثة ، ص ١٢٩ ــ ١٣٢ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ج١ ص ٥٩ ــ ٦٠ . ابن الطقطقي ، الفخري ص ١٤٢ ــ ١٤٣ . ابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ص ٢٩٥ ــ ٢٩٦ .

(٣٩) النوبختي ص ٢٨ ــ ٢٩ ، ص ٤٦ ــ ٤٧ . القمي ، ص ٣٩ ــ ٤٠ ، ص ٦٩ ــ ٧٠.

(٤٠) المسعودي ــ مروج الذهب ، ج ٦ ص ١٨٦ ــ ١٨٧ ، اخبار الدول المنقطعة (المؤلف مجهول وتنسب للازدي) ص ١٠٩ ب مخطوطة .

(٤١) الطبري ، نفس المصدر السابق ، السلسلة الثانية ص ١٥٨٨ . فان فلوتن ، السيادة العربية ص ٩٨ ، كاهيين ، نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٤ فما بعد دائرة المعارف الاسلامية (مادة العباسيين) الطبعة الجديدة كتبها الاستاذ البروفسور برنارد لويس.

تستهوي هؤلاء الناس .

يظهر مما سبق أن المصادر الاصلية التي ناقشنا رواياتها المستندة على رواة مختلفين تتفق على الحقيقة التاريخية للوصية وتذكر انـه في سنة ٩٧ هـ / سنة ٧١٥ م ـ سنة ٩٨ هـ ـ سنة ٧١٦ م كان ابو هاشم في طريق عودته من الشام الى الحجاز بعد زيارته لسليمان بن عبد الملك . وقد تمرض أبو هاشم اما بسبب السم الذي دبره له الخليفـة الامـوي أو بسبب مرض طبيعي وكان في منطقة الشراة ولذلك أمر أصحابه ان يعرجوا به الى الحميمة مقر العباسيين فأوصى هناك لمحمد بن علي العباسي وجعله اماما للحركة السرية الهاشمية . ولم يكن لابي هاشم ولـد ولذلك أمر أتباعه باتخاذ محمد العباسي اماما لانه اعلم (٤٢) من غيره وكيف لا وقد أخذ محمد العلم على يدي أبي هاشم نفسه . وقد حول محمد العبـاسي المنظمة الهاشمية الى منظمة عباسية صرفة .

• العباس بن عبد المطلب عم الرسول (صلعم)

بعد أن تأسست الدولة العباسية الجديدة وقبض العباسيون عـلى السلطة أعلنوا في أكثر من مناسبة عن عزمهم على « اتباع كتاب الله وسنة نبيه » ونددوا « بأهل الجور » اي الامويين الذين فشلوا في تطبيق مبادىء العدالة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وتقرب العباسيون الى الفقهاء ورجال الحديث في محاولة كسب تأيدهم للنظام الجديد . وهكذا فقـد تبرأ العباسيون من كل العناصر ، وخاصة المتطرفة منها ، التي ساندتهم في ثورتهم وبدأت السلطة الجديدة تضرب بشدة على كل حركة معارضة او كل ثائر حاول ان يعبر عن سخطه لان النظام الجديد لم يكن كما توقعه او لم ينفذ ما رفع من شعارات أثناء الثورة .

وكان لا بد للعباسيين ان يجدوا أساسا جديدا لتثبيت دعواهـم بالخلافة عليه فلم تعد (وصية أبي هاشم) ملائمة لهم بعـد تسلمهـم الحكم ذلك لانها من الناحية السياسية تربطهم بالعلويين وتظهر ان حقهـم

---

(٤٢) مخطوطة اخبار العباس ص ٧٩ ب .

بالخلافة جاء عن طريق أبناء الامام علي بن أبي طالب (رض) ، ثم انها من الناحية العقائدية تفضح ان جذور حركتهم السرية تعود الى المنظمة الكيسانية والهاشمية المتطرفة . وبمعنى اخر فان حاجة العباسيين الى تأييد الفقهاء والناس لنظامهم الجديد هو الذي دعاهم الى أن يتبرؤوا من صلتهم بأبي هاشم ومنظمته المتطرفة ويعلنوا تمسكهم بالكتاب والسنة . اما الاساس الجديد لدعوى العباسيين فقد كان يستند الى أن العباس عم الرسول (صلعم) وانه ورثه يوم وفاته ولذلك فالامامة في ولده .

ولا بد من القول بأن هذا التحول لم يحدث فجأة وانما كان هناك فترة انتقال بين الادعاء الاول والثاني وتمتاز هذه الفترة بمرونتها وغموضها وتظهر بصورة خاصة في تعليقات وخطب الساسة والخلفاء العباسيين . ففي خطبة ابي العباس (٤٣) (١٣٢ / ٧٥٠ – ١٣٦ / ٧٥٤) يؤكد ان العباسيين ينتمون الى الرسول من جهة الاباء فيقول « .. وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا احق بها واهلها وخصنا برحم رسول الله وقرابته وانشأنا من ابائه وانبتنا من شجرته » . ثم يتكلم عن حق « أهل البيت » و « ذوي القربى » ولا يخفى ما لهذه الاصطلاحات من مرونة في المعنى تختلف الروايات في تفسيره . ثم يهاجم الخليفة العناصر المعارضة التي بدأت تتحرك بعد تأسيس الدولة الجديدة ولكن خطبته بصورة عامة امتازت بالمرونة السياسية حيث يقرن فيها الوعد بالوعيد . ولا تختلف خطبة داود بن علي (٤٤) عم الخليفة عن الخطبة الاولى من حيث مرونتها السياسية ومحاولتها التوفيق بين العلويين والعباسيين بالرغم من ان نبرتها اكثر عباسية من سابقتها . فداود بن علي يحمد الله ويشكره لانه « اصار الينا ميراثنا من نبينا (صلعم) » .

أي ان العباسيين هم ورثة الرسول (صلعم) وهم أحق الناس بالخلافة من بعده . الا ان داود يستدرك فيقول « الا انه ما صعد منبركم

---

(٤٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٤٦٧ – ٤٦٨ . الطبري ، نفس المصدر السابق ، السلسلة الثالثة ص ٢٩ – ٣٠ ، المسعودي مروج الذهب ج ٦ ، ص ٩٧ – ٩٩ . نبذة من كتاب التاريخ ، للمؤلف المجهول ص ٢٩٢ أ .

(٤٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، السلسلة الثالثة ، ص ٣٢ – ٣٣ ، المبرد ، الكامل ، ج ٤ ص ١١٠ .

هذا خليفة بعد رسول الله (صلعم) الا امير المؤمنين علي بن أبي طالب وامير المؤمنين عبد الله بن محمد واشار بيده الى أبي العباس » . ولكن داود يعود فيقول « فاعلموا ان هذا الامر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم » . وفي مناقشة بين الفقيه الاوزاعي وعبدالله بن علي عم الخليفة في الشام يؤكد عبدالله ان الحق حق بني هاشم ويلمح أن العباسيين ورثوا في الشام حقهم في الخلافة عن طريق العلويين (٤٥) .

ولكن الامر لم يبق على هذه الصورة المرنة الغامضة زمنا طويلا فلقد انشق بنو هاشم الى عباسيين حاكمين وعلويين معارضين وبمرور الزمن تبلورت وجهتا النظر العباسية والعلوية . ويعتبر المنصور ، الخليفة الثاني والمؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، أول من أبرز وجهة النظر العباسية بصورة واضحة لا ريب فيها ففي رسائله المتبادلة مع محمد النفس الزكية الثائر العلوي (الحسني) في الحجاز يقول « لقد علمت انه لم يبق من بني عبد المطلب بعد النبي (صلعم) غيره (العباس) فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الامر غير واحد من بني هاشم فلم ينله الا ولده : فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا أسلام في دنيا ولا آخرة الا والعباس وارثه ومورثه » (٤٦) . وفي زمن المنصور كان الصراع السياسي والفكري بين العلويين والعباسيين على اشده فقد راقب المنصور الامام جعفر الصادق (رض) وابنه أسماعيل (٤٧) كما سجن عبد الله بن الحسن المحض وعددا من العلويين وتشدد في البحث عن محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم حتى اضطرهما الى الثورة وقضى على ثورتهما (٤٨) وسمى نفسه « المنصور » بعد انتصاره على العلويين . هذا ولا يخفى ما لهذا اللقب من اهمية روحية بين الناس فهو يعني «الشخص المعاون من قبل الله لاحراز النصر» وبكلمة اخرى فهو يعني المنقذ المنتظر او القائم المنتظر الذي كان يتوقعه

---

(٤٥) الذهبي – تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٧٠ .

(٤٦،٤٧،٤٨) الطبري، المصدر السابق، السلسلة الثالثة، ص ٢١٩. المبرد، الكامل ج ٤ ص ١١٨ ، الازدي ، مخطوطة تاريخ الموصل ، ص ١٦١ – ١٦٣ . غرر السير للمؤلف المجهول (مخطوطة) ص ١٨٣ أ . انظر البلاذري انساب الاشراف (مخطوطة) حيث ينقل الرسالة ولكن باختصار ص ٦١٥ أ .

الناس (٤٩) . وكان المنصور في اتخاذه هذا اللقب يرد علـى ادعـاءات العلويين ويظهر للناس ان قيادته هي الصحيحة . وردا على ادعاءات عبدالله ابن الحسن المحض بان ابنه محمد النفس الزكية هو المهدي المنتظر روج المنصور أحاديث تقول بأن « المهدي هو محمد بن عبدالله » ولكن امـه ليست هاشمية (٥٠) وذلك للدلالة على ان المهدي هو محمـد بن المنصور تمهيدا لاعلانه وليا للعهد .

ولقد شجع المنصور الشعراء ، وهم اسلحة الدعاية في ذلك العصر ، على ترويـج الادعـاء العبـاسي . كما وانـه شجـع الكتابـة في الامامة. فقـد الـف عيسى بـ روضـة صاحـب المنصور وكـان متكلمـا جيـد الكلام كتـابا في الامامة ربمـا لدعم وجهـة النظـر العبـاسية . وكذلـك ألف أبو سهـل الفضل بن نوبخت صاحب المنصور كتابا فـي الامامة (٥١) . وقد راجت احاديث كثيرة نسبت الى الرسول (صلعم) والى عبد الله بن العباس والامام علي بن ابي طالب (رض) والامام جعفر الصادق (رض) وغيرهم تدعم راي العباسيين في الخلافة (٥٢) . كما

---

(٤٩) ابن الحائك الهمداني ، الاكليل ، تحقيـق انستـلر الكرملي ، بغـداد ، ١٩٣١ ، ص ٧١ ـ ٧٢ . نشـوان الحميري ، شمس العلوم ، ليدن ١٩١٦ ص ١٠٣ . ان لقب المنصور يظهر في الروايات الاسطورية منها والتاريخية بمظهر المهدي او المنقـذ المنتظر فهناك « منصور حمير » و « منصور اليمن » وقد نادى اتباع المختار زعيمهم قائلين « يا منصور أمت » . وقال اتباع زيد له بانهم يأملون انه « المنصور » وان الوقت وقت زوال الامويين وكان من جملة شعارات الدعوة العباسـية « يا محمد يا منصور » اشارة الى محمد بن علي العباسي . الطبري . السلسلة الثانية ص ١٦٧٦ ، ١٩٧٢ ، اخبار العباس ، ص ١١٠ أ فما بعد . ولهاوزن الدولة العربية ص ٢٣٤ ، ٢٤٥ .

(٥٠) الاصفهاني ، الاغاني ، ج ١٢ ص ٨٥ « .. ان النبي صلعم قال (المهدي منا محمد بن عبد الله وامه من غيرنا يملأها عدلا كما ملئت جورا) » .

(٥١) النجاشي ، الرجال ، ص ٢٠٨ . اغا برزك ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة ج ٢ ، ص ٣٣١ .

(٥٢) البلاذري ـ انساب الاشراف (مخطوطة) ص ٧٠٠ أ . الاصفهاني مقاتل الطالبيين ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ . نبذة من التاريخ (للمؤلف المجهول) ص ٢٣٩ أ ، ٢٤٠ أ ، ٢٤٢ أ . اخبار العباس (مخطوطة) ص ٥ أ فما بعد . اخبار الدول المنقطعـة (مخطوطة)

وذكرت روايات أخرى بان عبدالله بن الحسن المحض نفسه هو الـذي اشار على جماعة من اهل خراسان بان يتخذوا محمد بن علي العباسي اماما وقائدا باعتباره أفضل بني هاشم وسيدهم (٥٣) .

وهكذا فقد خاض المنصور معركة سياسية وفكرية مـع العلويين تبلورت بموجبها وجهة النظر العباسية ولذلك فحينما تسلم المهدي الخلافة (١٥٨ / ٧٧٥ ـ ١٦٩ / ٧٨٥) كان عهده عهد استقرار نسبي واعلـن المهدي رسميا بان حق العباسيين بالخلافة يعود الى ان العباس عـم الرسول ووارثه . فيقول النوبختي حين يتكلم عن اصل الشيعة العباسية « ... فأوصى ابو هاشم الى محمد بن علي ... فأوصى محمد الى ابنه ابراهيم المسمى بالامام وهو اول من عقدت له الامامة من ولد العباس واليه دعا أبو مسلم ثم أوصى ابراهيـم الى اخيه ابي العبـاس ثم اوصى أبو العباس الى المنصور والمنصور الى المهدي . فردهم المهدي عن اثبات الامامة لمحمد بن الحنفية وابنه ابي هاشم واثبت الامامة بعد النبي وآله للعباس بن عبد المطلب ودعاهم اليها . وقال كان العباس عمه ووارثـه اولى الناس به ... » ويؤكد ذلك سعد القمي ايضا (٥٤) . ويقـول المسعودي ان الراوندية ادعوا « بان رسول الله (صلعم) قبض وان احق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب لانه عمه ووارثه وعصبته لقول الله (وأولوا الارحام بعضهم اولي بعض) وان الناس اغتصبوه حقه وظلموه الى ان رده الله اليهم وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وأجازوا بيعة علي بن أبي طالب باجازة ابن عباس له وذلك حين قال (يا ابن أخي هلم الي أبايعك فلا يختلف عليك اثنان) (٥٥) . ويوضح الاشعري ان الادعاء الذي ظهر رسميا زمن المهدي كان رجوعا عن الادعاء الذي سبقه فيقول « ثم رجع بعض هؤلاء (الكيسانية)

ص ٩٧ ب ـ ٩٨ أ . ابن عساكر تاريخ دمشق ج ٧ ص ٢٢٦ ـ ٢٤١ . الاصبهاني ، حلية الاولياء ج١ ، ص ٣١٥ ـ ٣١٨ ـ ابن عبد ربه ، العقد ، ج ٤ ص ١٣ . المقريزي، المقفى الكبير (مخطوطة) ص ٢٠٨ ب . ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٠ ، ص ٤٨. العاملي ، اعيان الشيعة ، ج ٢ ص ١٣٣ ، ج ٤ ص ٥٥٤ ، ج ٦ ص ٢٤ ، ٢٧٩ .

(٥٣) العيون والحدائق (المؤلف المجهول) ، ص ١٦٩ فما بعد .

(٥٤) النوبختي ، ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٥٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٦ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

عن القول وزعموا ان النبي نص على العباس بن عبد المطلب ونصبه اماما ثم نص العباس على امامة عبد الله ... وهؤلاء هم الراوندية » (٥٦) . ويقول الشهرستاني ان الهاشمية تفرعت الى فروع احداهـا نادت بان « للعباسيين حق في الخلافة لاتصال النسب وقد توفي رسول الله وعمه العباس أولى بالوراثة » (٥٧) .

ويؤكد ابن حزم ان الراوندية قالت بان الخلافة لا تجوز الا في ولد العباس بن عبد المطلب وان العباس عصب رسول الله ووارثه فاذا كان كذلك فقد ورث مكانه . ويرد ابن حزم عليهم فيقول « ان هذا لو كان لجاز في المال واما الرتبة فما جاء قط في الديانات انها تورث ولقد مات النبي والعباس حي فما ادعى العباس لنفسه قط في ذلك حقا » (٥٨) .

ان تعليق ابن حزم الاخير ليدعونا ان نلقي نظرة سريعة على تاريخ الطموح السياسي للعباسيين . فالمصادر لا تذكر للعباس بن عبد المطلب(٥٩) اي طموح سياسي لنيل الخلافة بعد وفاة الرسول (صلعم) . فلم يكن العباس من اوائل المسلمين حيث انه على الاغلب أسلم قبيل فتح مكة سنة ٨ هـ / سنة ٦٣٠ م . ومع ذلك فقد ابقى الرسول (صلعم) مسؤولية سقاية الحجاج على عاتقه بعد الفتح . وايد العباس علي بن ابي طالب بعد وفاة الرسول (صلعم) ولكن الملاحظ ان منزلة العباس الدينية المتصلة بالحرم المكي قبل الاسلام وبعده وكذلك قرابتـه من الرسول (صلعم) وشيخوخته وسعت من شهرته بين الناس واتخذها العباسيون فيما بعد اساسا في دعم حقهم بالخلافة . فالمنصور يقول في رده على محمد النفس الزكية « ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء ولا كالعصبة والاولياء لان الله جعل العم ابا » ، وقال ايضا « ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين اخوته » (٦٠) . ولم

---

(٥٦) الاشعري ، ج ١ ، ص ٢١ .

(٥٧) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ١١٢ .

(٥٨) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ص ٩٠ ـ ٩٢ .

(٥٩) ابن سعد ، طبقات ، ج ٤ ص ١ ـ ٢٠ ، البلاذري ـ انساب الاشراف (مخطوطة) ص ٧٠٧ ب ، ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ، دائرة المعارف (العباس) .

(٦٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، السلسلة الثالثة . ص ٢١١ .

يكن عبد الله بن العباس (٦١) طموحا من الناحية السياسية وكانت علاقته بالعلويين طيبة . وبالرغم من ان الروايات ذات الصبغة العباسية تظهره بمظهر المدافع عن حق العباسيين في البلاط الاموي الا ان المعتقد ان عبدالله ابن العباس كان يلمح احيانا بحق الهاشميين بصورة عامة وليس حق العباسيين بالتخصيص . ونفى عبدالله بن ازبير كلا من عبدالله بن العباس ومحمد بن الحنفية الى الطائف لعدم مبايعتهما له .

ولذلك فان الطموح السياسي للبيتالعباسي بدأ يظهر بظهور علي(٦٢) ابن عبد الله بن العباس الذي كان نشطا من الناحية السياسية ولذلك نظرت اليه السلطة الاموية بعين الشك والحذر الا ان عبد الملك بن مروان كان يتردد اليه لانه كان يرى بان التصادم معه ربما ادى الى ازدياد شهرته بين الناس . اما الوليد الاول فقد سجنه وضربه بالسياط ثم نفاه الى الشراة فاتخذ الحميمة مكانا لاقامته . وبعد وفاة علي العباسي ٧٣٦/١١٨ ظهر ابنه محمد (٦٣) شخصية قوية بين العباسيين . وكانت علاقة محمد العباسي بأبي هاشم عبد الله علاقة صداقة وتلمذة . ويظهر ان صلته بعبدالله بن الحسن كانت جيدة ايضا . الا انني يجب ان استدرك فأقول بان المعارضة الهاشمية للامويين كانت تبقى موحدة ما دامت السلطة الاموية قوية ولكن ما ان بدات هذه السلطة بالضعف وبدأ الامل يكبر في امكان اسقاط دولة الامويين حتى ظهرت قيادات متعددة من بين بني هاشم مما ادى إلى تصدع وحدة المعارضة الهاشمية . والذي يهمنا هنا ان نقول بان أبا هاشم هذا هو الذي اوصى لصديقه وتلميذه محمد العباسي بوصيته المشهورة واعلمه اسماء دعاته واتباعه . وبهذا انتقلت القيادة من العلويين الى العباسيين . ان هذا التقارب بين ابي هاشم (وهو علوي غير فاطمي)

---

(٦١) ابن هشام ، سيرة ج ٢ ، ص ١٠٠٨ ، البلاذري انساب الاشراف ص ٧٢٤ ب ، ج ٤، ص ٣ ، اخبار العباس (مخطوطة) ص ٩ أ ، ١٢ أ ، ٣٦ ب .

(٦٢) البلاذري ـ انساب الاشراف ج ٤ ، ص ٧٦ ، ج ١١ ص ٢٢٦ ، ٢٥٤ ، المخطوطة ص ٧٤٤ أ ، ٧٤٥ ب . ابن سعد ، طبقات ج ٥ ص ٢٢٩ . اخبار العباس ص ٦٢ ب، ٦٤ ب ، ٦٥ ب ، ٦٩ أ ، الاصبهاني حلية الاولياء ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٦٣) البلاذري المصدر السابق ص ٧٤٨ ب ، ٧٥٠ ب اخبار العباس ص ٧٣ ب ، ٧٨ ب ، ٨٧ أ ، ٧٩ أ .

وبين محمد العباسي ربما يمكن تفسيره على ضوء الروايات التي تقول بان كلا الادعاءين الحنفي (نسبة الى محمد بن الحنفية) والعباسي كانا مرفوضين وغير معترف بهما من قبل العلويين من نسل فاطمة (رض) اي الحسنيون والحسينيون . ولقد حذر الدعاة العباسيون اتباعهم من الاشتراك في ثورة زيد بن علي حين قيامها او مساعدة ابنه يحيى في خراسان . كما وان ابا مسلم الخراساني قتل عبد الله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب (٦٤) ذلك لان خراسان لا تتسع لاكثر من دعوة واحدة هي الدعوة العباسية .

وهكذا نرى بان النواة الثورية للدعوة العباسية تشكلت حول محمد العباسي الذي يعتبر بحق المنظم الاول للدعوة السرية باسم العباسيين . ثم انتقلت قيادة الدعوة من بعده الى ابنه ابراهيم الامام (٦٥) حيث بدا وجها فعالا جديدا للدعوة انتهى بدخول الجيوش الخراسانية مدينة الكوفة سنة ١٣٢ هـ/سنة ٧٤٩ ـ ٧٥٠ م واعلان ابي العباس خليفة اول للدولة الجديدة .

الخلاصة :

يظهر من هذا كله ان المناداة « بوصية ابي هاشم » للعباسيين بغض النظر عن كونها حقيقة تاريخية مسلم بها كما تثبتها اغلب المصادر الاصلية كانت ضرورة سياسية ملحة حتمتها الظروف التي مرت بها الدعوة العباسية . فان السر في نجاح الدعوة العباسية هو انها ظهرت بواجهات مختلفة ورفعت شعارات متنوعة من اجل ان تجذب اكبر عدد ممكن من المعارضين للحكم الاموي . وقد غير العباسيون نظرتهم بعد نجاح الثورة وبنوا حقهم على دعوى ان العباس عم الرسول ووارثه ذلك لانهم كانوا بحاجة الى تأييد « الجماعة » الاسلامية وعلى رأسها اصحاب الحديث والفقهاء وكان يدعم الدولة الجديدة جيش خراساني قوي يقف بالمرصاد لكل الجماعات المنشقة او المعارضة .

---

(٦٤) اخبار العباس ص ١١٠ أ ، ١١٥ ب . نبذة من كتاب التاريخ ص ٢٥٥ أ . الاصبهاني، الاغاني ، ج ١١ ص ٧٤ . انظر كذلك الجاحظ ، البيان ج ٢ ص ٨٥ .

(٦٥) دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الجديدة ، مادة (ابراهيم الامام) كتبها فاروق عمر .

موقف المعتزلة السياسي من العباسيين
قبل عصر المأمون
١٣٢ هـ / ٧٥٠ م - ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م

مقـــدمة

في سنة ١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م استطاعت قوى الثورة العباسية القادمة من خراسان ان تحتل العراق والشام وتطيح بالدولة الاموية . والملاحظ في تاريخ أغلب الثورات التي قام بها بنو هاشم أو دعاتهم في الفترة الاموية انها كانت ثورات ذات شعارات عامة منها الدعوة الى كتاب الله وسنة نبيه والدعوة الى الرضا من أهل البيت او الى « المنصور » الذي سيكون على يديه نهاية « أهل الجور » . وقد اتصفت الدعوة العباسية (١) بنفس

---

(١) عن الدعوة العباسية انظر : الطبري تاريخ الرسل والملوك ، القسم الثاني ، الجزء الثالث طبعة ليدن ص ١٩٣٨ فما بعد . المؤلف المجهول نبذة من كتاب التاريخ ، طبعة ليدن ص ٢٥٠ فما بعد . اليعقوبي التاريخ ، طبعة ليدن ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ فما بعد ، الدكتور فاروق عمر ـ الخلافة العباسية ١٣٢ ـ ١٧٠ هـ (بالانكليزية) ، الفصل الثاني

الخصائص المارة الذكر فلم تبح باسم الامام الذي تعمل من اجله وهـــو تكتيك بارع فوت على السلطة الاموية الكثير من الفرص ، ثم انها رفعت شعارات مختلفة فواجهت كل كتلة بواجهات تلائمها وبذلك جذبت اليها الكثير من المتذمرين من شيوخ القبائل العربية والمستائين من العرب من اهل خراسان ومن سكان البلاد الاصليين سواء كانوا ذوي ميول عباسية ام علوية أم خارجية متطرفين أم معتدلين . فالثورة العباسية لـم تكن فـي طبيعتها ثورة الفرس على الحكم العربي ولم تقم على اكتاف الفرس فهذه دعاية وجهتها اليها العناصر المعادية لها في وقتها ، وانما كانت أعمق مـن ذلك بكثير وانها قامت بها العناصر العربية في خراسان وهدفها محو اخطاء السياسة الاموية التي شملت العرب وغير العرب .

سياسة العباسيين الدينية :

من المعروف ان الدولة العباسية اتخذت الاعتزال مبدأ رسميا للدولة منذ عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨ هـ /٨١٣ م ٢١٨ / ٨٣٣)(٢) . ولكن الباحث المتأمل لسياسة الخلفاء العباسيين الاوائل قبل المأمون يجد فيها الكثير من الغموض والتعقيد بل المرونة والتوفيق . ولا غرو في ذلك فان الخلفاء العباسيين الاول جاءوا في اعقاب ثورة عارمة اقل ما توصف به ـ كما قلنا ـ انها ذات طبيعة معقدة وواجهات متعددة . وقد وضع اعلان الدولة العباسية الخلفاء الاوائل في وضع حرج تجاه التكتلات الدينية ، السياسية التي عاضدتهم اثناء الثورة والتي استغلوها من اجل الحصول على السلطة . فكان على أبي العباس وأبي جعفر المنصور أن يعلنا الاتجاهات العقائدية للدولة الجديدة . هل انهم يدينون بالتطرف ام انهم مسلمون يسيرون على كتاب الله وسنة نبيه . هل انهم سند للشيعة الراوندية ام للشيعة العباسية المعتدلة ام للشيعة العلوية ام لغيرها من الجماعات الدينية او السياسية . والحقيقة فان السنوات الاولى من الحكم العباسي شهدت

---

(٢) دائرة المعارف الاسلامية (بالانكليزية) مادة المأمون . انظر كذلك :
F. Gabrieli, al Ma'mun E Gli Alidi, Leipziq, 1929.

تناقضات واضحة في السياسة الدينية بالرغم من ان الخليفة أبا العباس اظهر نفسه بأنه حامي الاسلام والحريص عليه (٣) ، وان داود بن علي العباسي خاطب جمعا غفيرا بالكوفة قائلا :

« لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله (صلعم) وذمة العباس رحمه الله ان نحكم فيكم بما انزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة والخاصة منكم بسيرة رسول الله (صلعم) » (٤) ، وان المنصور أضفى على الخلافة أبهة دينية وأظهر نفسه بمظهر « سلطان الله في أرضه » (٥) .

الا ان العباسيين بعد تجارب وتفاعلات مع آراء دينية مختلفة قرروا تبني عقيدة ما يسمون « بأهل السنة والجماعة » — اذا صح لنا استعمال هذه الاصطلاحات في تلك الفترة المبكرة — وحاولوا كسب عدد كبير من اصحاب الحديث والعلماء الى جانبهم . وكان من الطبيعي ان يكون هناك رد فعل وان تظهر تكتلات دينية — سياسية تعارض مجيء العباسيين للحكم من جهة او تعارض سياستهم الدينية من جهة أخرى . وسرعان ما تطورت المعارضة (٦) هذه الى فرق دينية متبنية آراء ومصالح لفئات مختلفة فثارت الراوندية في خراسان والعراق وثار مؤيدو العلويين في خراسان والحجاز والعراق وثار الخوارج في خراسان وسجستان والجزيرة وعمان وهكذا فقد كان على السلطة العباسية ان تتخذ اجراءات جديدة مناسبة لتحديد

---

(٣) الطبري ، نفس المصدر السابق ، القسم الثالث ، ج ١ ، ص ٢٩ — ٣٠ ، المؤلف المجهول — العيون والحدائق ص٢٠٠

(٤) الطبري ، نفس المصدر : ج ١ ص ٣٢ — ٣٣ ، المسعودي — مروج الذهب ، الطبعة الاوروبية ج ٦ ص ٩٩ .

(٥) الطبري نفس المصدر ، ج ١ ص ١٠٧ ، ٤٢٦ — ٤٢٧ ، اصفهاني ، الاغاني ج ١٨ ، ص ١٥٢ . المسعودي — مروج ج ٦ ص ٢٤٠ . ابن عساكر — التاريخ الكبير ، ج ٢ ص ٣٢٠ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٤ ، ص ٩٩ .

(٦) عن حركات المعارضة في العصر العباسي الاول : انظر الدكتور حسن ابراهيم حسن تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٨٥ فما بعد ، الدكتور عبد العزيز الدوري — العصر العباسي الاول ص ٧٧ فما بعد . الدكتور فاروق عمر — الخلافة العباسية (بالانكليزية) الفصل الرابع .

انتشار حركة المعارضة هذه فزادت السلطة تشبثها بمذهب «اهل السنة» مستعملة اياه سلاحا قويا ضد أعدائها وخاصة العلويين منهم ، وزادت في محاولاتها لكسب الفقهاء والعلماء لتزيد من لونها الديني في نظر الناس . وكان هذا الاجراء من قبل السلطة العباسية يشابه في حقيقته الاجراء الذي اتخذه الملوك الساسانيون حينما تبنوا الزرادشتية مذهبا رسميا لدولتهم. فعلى الصعيد الديني حاول العباسيون بناء راي عام اسلامي يقف حجر عثرة ضد كل الاراء الدينية الاخرى وعلى الصعيد السياسي فقد تميز هؤلاء الخلفاء الاوائل بسياستهم العنيفة تجاه العلويين والزنادقة . ولذلك فيمكننا القول بأن سياسة الخلفاء العباسيين الدينية كانت تتميز بصفتين متداخلتين :

الاولى مساندة مذهب « أهل السنة » أو أصحاب الحديث في محاولته تثبيت نفسه أمام التيارات الدينية المتعارضة .

الثانية : ان هذه المساندة الرسمية تعكس بصورة واضحة اهتمام الخليفة بالمحافظة على الكيان السياسي للخلافة العباسية وضمان استمرار بقائه بأيدي العباسيين وعدم خروجه منهم الى العلويين مثلا خاصة اذا علمنا ان الكثير من العناصر في هذه الفترة المبكرة من الحكم العباسي والتي عارضت السياسة الدينية للعباسيين او عارضت السلالة العباسية نفسها كانت اما علوية او رفعت شعارات علوية من أجل تحقيق اغراضها .

الرواد المعتزلة والعباسيون الاوائل :

ومع كل ذلك فان السياسة الدينية للعباسيين لا يمكن ان تحدد فقد ظل الخلفاء العباسيون الاوائل مرنين في مواقفهم ونظرة الى سياسة المنصور ــ وهو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ــ تؤكد ذلك كما سنرى في الصفحات المقبلة . ان هذا الغموض وهذه المرونة أثارت الكثير من التأملات والتفسيرات من قبل مؤرخي هذه الفترة من التاريخ العباسي . والذي يهمنا هنا هو موقف ما يسمون برواد حركة الاعتزال أي أصحاب واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد من الثورة العباسية والسلطة العباسية حتى المأمون .

وهنا تواجهنا فرضية الاستاذ نيبرك التي أوضحها في مقالة له في

دائرة المعارف الاسلامية (٧) بأن المعتزلة اتصلوا بالعباسيين وعملوا لهم دعاة ممهدين لثورتهم . فالمعتزلة هي الواجهة الدينية للحركة السياسية العباسية . ولكننا اذا رجعنا فتعقبنا تاريخ حركة المعتزلة وجدنا انها لم تكن متبلورة بعد تلك الفترة (نهاية القرن الاول وبداية القرن الثاني الهجري) كفرقة فلسفية دينية وانما كان الاعتزال في بدايته عبارة عن الموقف السياسي المحايد (٨) الذي وقفه جماعة من المسلمين من الحروب والفتن الاهلية الاولى في تاريخ الاسلام . وتطور هذا الموقف الى ما يسمى بمبدأ (المنزلة بين المنزلتين) ولم يكن هذا الموقف في حقيقته موقف اللامبالاة او السلبية من جانب المعتزلة وانما كان موقفا حتمه عليهم اعتقادهم بان تقدم المجتمع الاسلامي يجب ان ينبع من حركة تطورية من داخل الدين الاسلامي نفسه وهذا سيؤدي بالمجتمع الى انتخاب امام عادل ليحكمه . ولم يعتقد المعتزلة بان هناك اشخاصا او عائلات معينة لها صفة القدسية بل ان منزلة الشخص تعتمد على مقدار علمه وسلوكه في المجتمع وهذا بالتالي يؤهله لاي منصب من مناصب الدولة حتى منصب الخليفة . وعلى هذا القياس قدر المعتزلة مدى صلاحية اي نظام من انظمة الحكم فالسلطة تطاع اذا اتبعت كتاب الله وسنة نبيه وكانت عادلة وتقاوم اذا فعلت عكس ذلك على أن لا ترغم دعوة المعتزلة الى شهر السلاح على السلطان الخائن فان دعوتهم الى الثورة كانت مشروطة بتقدير الثوار بأن النجاح سيكون حليفهم لا محالة ! « ولكنه لا يجوز الخروج على الامام الجائر الا لجماعة لهم من القوة والمنعة ما يكفي لازالة الجور ولا يصلح الا مع امام عادل » (٩) . ولذلك فيمكن القول بان المعتزلة كانوا يوافقون المعتدلين من الشيعة العلوية وخاصة الزيدية وكذلك الخوارج في معارضتهم للامويين . ويظهر كذلك ان المعتزلة اظهروا تفضيلا لاهل بيت الرسول (صلعم) ولكنهم

---

(٧) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة (المعتزلة) الطبعة الاولى . انظر كذلك :
Neberg, Classicisme et De'cline culturel, Bordeaux Symposium Paris, 1957, P. 127.

(٨) انظر نللينو . بحوث في المعتزلة (ترجمة عبد الرحمن بدوي) في التراث اليوناني ص ١٧٩ — ١٩٠ .

(٩) الاشعري — مقالات الاسلاميين ، ج٢ ص ٤٦٦ فما بعد .

عارضوا اية فكرة تظهر اهل البيت الهاشمي على انهم فوق البشر واكدوا ان القدسية لله وحده . لذلك لـم يتفقوا مع غلاة الشيعة العلويـة وغير العلوية في هذه الناحية .

ان هذا الموقف العقائدي الاخير للمعتزلة هو الذي أدى بالبروفسور نيبرك ان يؤكد بان المعتزلة ايدوا الحركة العباسية ذلك لانهم لـم يتفقوا مع الشيعة العلوية وخاصة الغلاة منهم وكانوا في نفس الوقت معـارضين لبني أمية فالعباسيون هم أنسب المرشحين اليهم ، ذلك لان العباسيين هاشميون وانهم على الاقل قبل الخلافة لم يدعوا قدسية ولا صفات خارقة. وهكذا ينتهي نيبرك الى ان المعتزلة هي الواجهة العقائدية للدعوة العباسية. ويعزز نيبرك تفسيره بظواهر :

أولها التوافق الزمني بين الدعوة العباسية ودعوة واصل بن عطاء الغزال حيث يذكر الشاعر صفوان الانصاري (١٠) واصفا دعوة واصل :

له خلف شعب الصين من كل شفرة   الى سوسها الاقصى وخلف البرابر
رجـال دعـاة لا يفـل عزيمهـم   تهـكم جبـار ولا كيـد مـاكـر
اذا قال مروا في الشتـاء تطاوعوا   وان كان صيفا لم يخف شهر ناجز

وثانيها الصداقة الوطيدة بين الخليفة العباسي ابي جعفـر المنصور (١٣٦/٧٥٤ ـ ١٥٨/٧٧٥) قبل خلافته وبعدها مع عمرو بن عبيد حيث كان يحضر حلقاته في البصرة (١١) .

وثالثها ـ سياسة الخلفاء العباسيين في تقصي اهل البدع والزندقة والقضاء عليهم وخاصة سياسة الخليفة المهدي(١٢) تجاه المانوية (الزنادقة)

---

(١٠) ابن المرتضى ـ طبقات المعتزلة ص ١٩ ـ ٢٠ .

(١١) البلاذري ـ انساب الاشراف (مخطوطة) ، استانبول .

(١٢) الاصفهاني ـ الاغاني ، ج ٢١ ، ص ١٢٢ . الجاحظ ، الحيوان ، ج ١ ، ص ٥٥ فما بعد ، ج ٤ ص ٤٤٣ فما بعد ، الطبري ـ نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ـ ٥٨٨ ، المسعودي ، مروج ، ج ٦ ص ٢٣٢ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٣٨ ، انظر كذلك محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، (رسالة ابن القارح لابي العلاء المعري) ص ٢٥٤ .

توافق الى درجة بعيدة اهداف رواد حركة الاعتزال ونشاطاتهم في الدفاع عن الاسلام ضد خصومه . كل هذا دفع البروفسور نيبرك الى حبك فرضية العلاقة بين المعتزلة والعباسيين .

لقد وقف المؤرخون المحدثون من فرضية نيبرك بين مؤيد ومعارض . فالبروفسور كب (١٣) يعكس فرضية نيبرك راسا على عقب حين يقول بان حركة المعتزلة اقدم من الدعوة العباسية ومستقلة عنها ، وانهم – اي المعتزلة – استغلوا الخلافة العباسية لتحقيق أهدافهم وليس العكس . اما البروفسور لويس (١٤) فيؤكد الواجهة المتطرفة من الحركة العباسية موضحا علاقتهم بالراوندية ويدعم وجهة نظره بروايات تاريخية موثوقة . اما البروفسور وات (١٥) فهو يدرك ضعف فرضية نيبرك ويقول دون ان يلزم نفسه برأي « ان المعتزلة ربما رحبوا بالحركة العباسية حينما سمعوا بها بالرغم من انه من غير المحتمل ان يكونوا دعاة عباسيين ، كما اقترح نيبرك وذلك لاختلافهم (في العقيدة) عما بثه ابو مسلم » . ويعترف البروفسور يلا (١٦) بصعوبة استنتاج اية معلومات اكيدة من قصيدة صفوان الانصاري المارة الذكر ، بينما يؤكد البروفسور سورديل الاستاذ في السوربون ان تلك القصيدة التي تظهر نشاطات واصل بن عطاء قد تكون مرتبطة بحركة علوية لا عباسية . اما البروفسور كلود كاهن (١٧) فيرفض كلا الادعاءين القائلين بان الحركة العباسية اعتمدت على المعتزلة او على المتطرفين الراوندية ويرى في الدعوة العباسية « رغبة عميقة الى تطبيق

---

(١٣) Gibb, Government and Islam, in L'Elaboration De l'Islam, Paris, 1961, p. 120.

(١٤) B. Lewis E. I. (2), (Abbasids), (Hashimiyya) .

(١٥) M. Watt, The Political attitudes of the Mu'tazilah J.R.A.S., 1963, p. 54.

(١٦) Ch. Pellat, Le Milieu et la formation de Jahiz.

ترجمة ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٦١ ص ٢٤٧ .

(١٧) Cl. Cahen, Points de Veu Sur la "Revolution Abbaside, Melanges, R.H., 1963 p. 322 ff.

الاسلام .. واندحار الفكرة القائلة بارتباط الاسلام بجنس متحكم واحد (الجنس العربي) » . وبالرغم من ان البروفسور كاهن يعترف بوجود متطرفين في الحركة العباسية الا انه يقول بان عقيدتهم لم تكن القوة المحركة للثورة ولم يكن التطرف ــ على الاقل ــ عقيدة الغالبية العظمى من الثوار .

والمعروف انه في الوقت الذي كانت الفرقة « الهاشمية » (١٨) وهي النواة الحقيقية للدعوة العباسية في خراسان قد انتظمت على شكل نقباء ونظراء النقباء ودعاة يعملون من أجل تأسيس دولة عباسية لم تكن ــ في تلك الفترة ذاتها ــ حركة الاعتزال قد تبلورت في فرقة معروفة من حيث مبادئها . ويؤكد هذا الرأي البروفسور وات (١٩) حيث يقول ان المعتزلة لم تظهر ككتلة معروفة حتى سنة ٨٠٠م/١٨٤هـ او ٨٥٠م/٢٣٦هـ . والراجح ان الانطباع الخاطىء الذي يصور حركة المعتزلة وكأنها فرقة متبلورة في فترة متقدمة يعود الى زعماء المعتزلة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حيث حاول هؤلاء دفع تهمة علاقتهم بالجهمية وذلك باظهارهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد بمظهر رائدي فرقة المعتزلةالفكرية ومؤسسيها في الوقت الذي لم يكن هذان الاثنان الا ضمن كتلة من الفقهاء يعرفون باسم اصحاب الحديث . ويسمي البروفسور جويري والبروفسور كب رواد حركة الاعتزال بالجناح الفعال من كتلة اصحاب الحديث (٢٠). اما الجذور التاريخية لاصطلاح المعتزلة فلقد اوضح البروفسور نللينو (٢١) في مجموعة من بحوثه بانها تدل على موقفهم الحيادي من الفتن الاهلية . فلقد كان واصل « أول من اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو ان الفاسق من أهل الله ليس بمؤمن ولا كافر وبه سميت المعتزلة وهو الاعتزال » (٢٢) والمعروف ان تاريخ الفرق الاسلامية قد تأثر بالخصومات

---

(١٨) الطبري، نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٩٣٨ فما بعد ، المؤلف المجهول . اخبار العباس (مخطوطة) ص ٧٨ ب فما بعد .

(١٩) Watt, Op. Cit., pp. 53 ff.

(٢٠) Gibb, Studies on the Civilization of Islam, London, 1962, p. 70.

(٢١) نللينو ــ نفس المصدر السابق ص ١٨٣ فما بعد .

(٢٢) المسعودي ــ مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

السائدة انذاك ولذلك من الافضل الاهتمام دائما بالشخصيات المعروف ارتباطها بالفرقة المبحوثة لا بما يقال عن مبادىء الفرقة نفسها بصورة عامة وفي هذا المجال سنستعرض آراء واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد السياسية .

اذا سلمنا بصحة الروايات التاريخية التي تقول بان واصل بن عطاء كان رأس المعتزلة ورائدها فاننا لم نسمع عن نشاطات سياسية له خلال فترة حياته ٨١ هـ/٧٠٠م – ١٣١/٧٤٨م) وفي اعلانه القول (بالمنزلة بين المنزلتين) قرر ان احد الفريقين المتنازعين في معركة الجمل مخطىء دون ان يعينه (٢٣) . ولم يتخذ قرارا في الفتنة التي أدت الى مقتل عثمان بن عفان حيث « اشكل عليه امره فأرجأه الى عالمه » . وهكذا فقد اوضح وجهة نظره الحيادية في المعترك السياسي وتفرغ للعلم والعبادة مع اصحابه، « وهذه هي سبيل أهل الورع من العلماء ان يقفوا عند الشبهات » (٢٤) . وبالرغم من ان اغلب المعتزلة ومنهم واصل « يتبرأون من معاوية وعمرو بن العاص ومن كان في شقهما » (٢٥) ، فان المصادر تذكر صلتهم بيزيد بن الوليد الاموي . فالمسعودي (٢٦) يقول « ان المعتزلة تفضل في الديانة يزيد ابن الوليد على عمر بن عبد العزيز » وقد يخيل للقارىء أن هناك تناقضا في موقف المعتزلة هذا ولكننا ذكرنا بان حياد المعتزلة لم يكن سلبيا وكان من مبادئهم شهر السلاح على السلطة الظالمة والثورة مع امام عادل ولعل تأييدهم ليزيد كان تأكيدا لهذا المبدأ . ولما استقر واصل بالبصرة وكون له حلقته المشهورة بدأ يرسل البعثات والدعاة الى ارجاء مختلفة من العالم

---

(٢٣) النوبختي – فرق الشيعة ، ص ١١ فما بعد ، الخياط – الانتصار .. ص ٩٧ فما بعد ، الاسفرايني – التبصير بالدين . ص ٤١ . الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ٦٥ .

(٢٤) انظر : الدكتور علي سامي النشار . نشأة الفكر الفلسفي فى الاسلام . ج ١ الطبعة الثانية ١٩٦٢ . مصر ص ٢٦٢ فما بعد . احمد امين – فجر الاسلام . الطبعة التاسعة ١٩٦٤ . مصر . ص ٢٩٣ فما بعد .

(٢٥) الخياط . نفس المصدر . ص ٩٧ – ٩٨ . ابن المرتضى . نفس المصدر . ص ٧ فما بعد .

(٢٦) المسعودي – مروج . ج ٣ ص ١٥٧ .

الاسلامي (٢٧) للدفاع عن مبادىء الاسلام ضد الدهرية والمانويــة وغيرها فأرسل حفص بن سالم الى خراسان وقاسم بن السعدي الـى اليمـن والحسن بن ذكوان الى الكوفة وعبدالله بن الحارث الى المغرب وأيوب الى الجزيرة وعثمان الطويل الى ارمينية وغيرهم . ولكن المصادر لا تذكر ميولا سياسية لهؤلاء الدعاة . والمعروف عن واصل نفسه انه قبل أن ينضم الى حلقة الحسن البصري كان تلميذا لابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية واتصل بمحمد الباقر كذلك ويظهر ان علاقـة واصل كانت جيدة مـع شخصيات علوية كثيرة منها زيد بن علي وأولاده وعبدالله بن الحسن المحض وأولاده (٢٨) كما وان المناقشة (٢٩) الحادة بينه وبين جعفر الصادق تبين ان علاقتهما لم تكن على ما يرام ولعل ذلك يعود الى ميل واصل والمعتزلة الى زيد وعبد الله المحض (ذي النفس الزكية) الشخص المرشح للخلافة من بعدهم . ففي اجتماع الابواء الذي عقده بنو هاشم في نهاية حكم بني امية تذكر بعض الروايات (٣٠) ان المعتزلة بايعـوا (محمد ذو النفس الزكية) مع من بايعه من الهاشميين . الا ان هذه الروايـة على الاكثـر موضوعة من قبل رواة ذوي ميول علوية . فقد يكون من المحتمل ان بني هاشم أجتمعوا ليتداولوا في امر الخلافة ولكنهم لم يبايعوا محمدا على شيء. ثم ان محمدا هذا لم يذكر البيعة في رسالته المشهورة (٣١) الى الخليفة العباسي المنصور سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م مما يزيد عدم الثقـة بصحتها . ولكن المعتزلة اشتركت في ثورة محمد وبايعته ثم بايعت اخاه ابراهيم من بعده وأيدت ثورته في العراق ضد المنصور (٣٢) . وتشير بعض الروايـات

---

(٢٧) ابن المرتضى ــ نفس المصدر ص ١٩ .

(٢٨) ابن المرتضى ــ نفس المصدر . ص ٧ ، ص ١٧ ، ص ٣٣ . شهرستاني . الملـل والنحل ج ١ ، ص٥٧ ، ١١٨ . المقريزي ، الخطط . ج ٢ ص ٢٤٥ فما بعد .

(٢٩) ابن المرتضى ــ نفس المصدر ص ٣٧ .

(٣٠) انظر : Van Vloten, Cod. Leiden, Z. D. M. G. 53, 1899

(٣١) الطبري ــ تاريخ الرسل والملوك . طبعة دار المعارف ١٩٦٦ . ج ٧ ص ٥٦٧ .

(٣٢) الاصفهاني مقاتل الطالبيين ص ٢٥٦ ــ ٢٦٠ ، ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ص ٤١ ، الطبري نفس المصدر ، طبعة ليدن ج ٣ ص ٣١٦ . المؤلف المجهول ــ العيون والحدائق ص ٢٥٣ ، الشهرستاني . الملل والنحل ص ١١٥ .

التاريخية ان المعتزلة والزيدية كانوا مرتبطين به تمام الارتباط وساعدوه على ادارة شؤونه (٣٣) . وتذكر رواية أخرى ان المعتزلة كانوا مهتمين جدا بمستقبل ثورة ابراهيم الحسيني حتى ان قسما منهم كان يتقصى له الاخبار ويرشده على اعدائه بالبصرة (٣٤) . ويذكر الاصفهاني ان اتباع عمرو بن عبيد كانوا ميالين الى ابراهيم الحسني اما المسعودي فيقول بأن « الزيدية وهؤلاء الذين سموا (فيما بعد) بالمعتزلة البغداديين ساعدوا ابراهيم في ثورته (٣٥) . وهكذا نلاحظ بان كتلة من المعتزلة أظهرت ميلا نحو العلويين من بني هاشم أو بتعبير أدق من كان من العلويين على مذهب الزيدية .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان علاقة عمرو بن عبيد الودية مع الخليفة العباسي ابي جعفر المنصور قبل الخلافة وبعدها أشهر من نار على علم . فلقد تجول المنصور قبل الخلافة في أنحاء مختلفة من الدولة وحضر في البصرة حلقة عمرو بن عبيد في مسجدها وتوطدت علاقته به . وكان المنصور نفسه معروفا بعلمه بالحديث والاخبار . وفي رواية ان ابا جعفر بعد رجوعه من احدى رحلاته من البصرة الى الشام تكلم في آراء قدرية وما ان سمع بها والده محمد بن علي العباسي حتى منعه من التطرق الى الحديث فيها ثانية (٣٦) . فاذا كانت هذه الرواية صحيحة فانها تدل على أن العباسيين لم يفكروا باستقلال آراء المعتزلة في دعايتهم السياسية خاصة اذا علمنا ان محمد العباسي كان الواضع الحقيقي لاسس الدعوة العباسية ومنهجها .

وأكثر من هذا فان البلاذري (٣٧) خصص له في أنسابه عدة صفحات باحثا عن علاقة المنصور بعمرو بن عبيد ولكنه لم يذكر ابدا صلة عقائدية بين الطرفين حتى ولا الى درجة علاقة يزيد الثالث الاموي بالمعتزلة . فلقد كان عمرو من أكثر العلماء منزلة عند المنصور وهذا ربما يعود الى موقفه غير المتحزب للكتل السياسية . ويظهر ان الخليفة لم يكن ينظر الى عمرو

---

(٣٣) Van Vloten, Cod. Leiden, Op. Cit.

(٣٤) ابن سعد ، الطبقات .

(٣٥) الاصفهاني . مقاتل الطالبيين ، ص ٢٥٦ فما بعد . المسعودي ـ مروج ص ١٩٣ .

(٣٦) البلاذري ـ انساب الاشراف (مخطوطة) ، المقريزي ـ المقفى الكبير (مخطوطة) .

(٣٧) البلاذري ـ نفس المصدر ، ص ٥٤٣ ـ ٥٤٧ .

أكثر من كونه رجلا تقيا من رجـال الدين وأصحاب الحديث غير ميـال للسياسة (٣٨) . ولقد كان من سياسة العباسيين الدينية ان يقربوا أمثال هؤلاء الفقهـاء والمحدثين ليكسبوهم الى جانبهم بدلا من انتغرر بهـم المعارضة العلوية او غيرها اولا ثم ليؤكدوا الصبغة الدينية للخلافة العباسية ثانيـا .

لقد حاول المنصور أكثر من مرة أن يغري او يقنع عمرو بن عبيـد باشراكه في ادارة الدولة ولكن عمرا رفض المرة تلو المرة قائلا له « ارفـع علم الحق يتبعك أهله » (٣٩) . كما وان تعليق المنصور « شغل والله الرجل بما هو فيه عما نحن فيه » يدل على اهتمام عمرو بالمسائل الدينية اكثر من السياسية . وتظهر روايات اخرى المواعظ الشديدة اللهجة التي كـان يوجهها عمرو للمنصور كلما استدعاه المنصور للبلاط او التقى به في احدى زياراته للبصرة . فقد وعظه مرة فقال « يا أمير المؤمنين ان الله أعطـاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان الامر الذي صار اليك او بقي لمن قبلك لم يصل اليك . . » وقال له مرة « ان الله واقفك وسائلك عن مثاقيل الذر من الخير والشر وان امة محمد خصماؤك يوم القيامة وانك لا ترضى لنفسك الا بان يعدل عليك فان الله لا يرضى منك الا بالعدل على رعيتك . يا أمير المؤمنين ان على بابك ميزانا تأجج من الجور » . وقال للمنصور حين رشح ابنه المهدي للخلافة من بعده « . . قد رشحته لامر يصير اليه ان صار وانت عنه في شغل وقد وطأت له الدنيا وانت منتقـل عنها الى الاخرة فهناك الحساب . ان الله قد جعلك فوق كل احـد فـلا ترض ان يكون فوقك في طاعته احد » . واذا سأله الخليفـة عن حاجتـه قال « حاجتي ان لا تبعث الي حتى اجيئك ولا تعطيني شيئا حتى اسألك(٤٠) وقد اتهم عمرو بعض موظفي الدولة بالسرقة (٤١) وهـاجم ابـا ايـوب

---

(٣٨) البلاذري ـ نفس المصدر ، ص ٥٤٥ .

(٣٩) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١٢ ، ص ١٦٦ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٤ ، ٣٣٦ .

(٤٠) عن هذه المواعظ انظر : البلاذري . انساب الاشراف (مخطوطة) ص ٥٤٦ فما بعد ، الطبري . تاريخ الرسل ليدن ج ٣ ص ٢٠٨ فما بعد ، المسعودي ، مروج ج ٦ ص٢٠٧ .

(٤١) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، جـ ١ ، ص ٥٦ . القزويني ، آثار البلاد جـ ٢ ، ص٢٠٨

المورياني وزير المنصور لسوء ادارته (٤٢) . وحينما دعاه المنصور ليعينه بأصحابه قال له عمرو « ادعهم انت واطرد هؤلاء الشياطين عن بابك فان أهل الدين لا يأتون بابك وهؤلاء محيطون بك لانهم ان باينوهم ولم يعملوا باهوائهم ارشوك بهم وحملوك عليهم » . وقال له مرة « ادعنا بعدلك تسنح انفسنا بعونك . ببابك الف مظلمة اردد منها شيئا نعلم انك صادق » (٤٣).
ان موقف عمرو بن عبيد من المنصور لا يمكن بأية حال من الاحوال ان يوصف بانه موقف داع عباسي من نظام حكم عمل من اجل اقامته . وحينما كان المنصور يجابه تحدي (محمد ذو النفس الزكية) شك بميول عمرو الى الثائر العلوي (٤٤) فأراد ان يعرف رأيه فأجاب عمرو « او قلدتني الامة ان اختار لها رجلا ما وجدته » (٤٥) . وسأله المنصور ثانية عن رسالة تسلمها من العلويين فأجابه عمرو بأنه تسلم رسالة من العلويين ولكنه لا يرى الثورة على السلطان . فقال المنصور « أجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي » قال عمرو « لئن كذبتك تقية لاحلفن لك تقية » (٤٦) . ولكن الصلة الشخصية بين المنصور وعمرو استمرت وحزن الخليفة كثيرا حين توفي عمرو وكان اول خليفة يرثي شخصا دونه حين قال :

صلى الاله عليك من متوسد	قبرا مررت بـه عـلى حران
قبرا تضمن مؤمنـا متحنفا	صدق الاله ودان بالعرفـان

وقال ايضا « يرحم الله عمرا هيهات ان يرى مثل عمرو » (٤٧) .

---

(٤٢) الجهشياري ، الوزراء ص ١١٦ .
(٤٣) البلاذري : نفس المصدر ، (مخطوطة) ص ٥٤٧ .
(٤٤) ابن قتيبة ؛ عيون الاخبار ج ١ ص ٢٠٩ Idem . المعارف ص ٩٣ ، الدينوري الاخبار الطوال ، ص ٣٨٠ . ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ٥ ، ص ٨٥ ، التنوخي المستجاد ، ص ١٨٩ . الخطيب – تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٦٦ – ١٦٩ .
(٤٥) البلاذري – نفس المصدر ص ٥٤٤ .
(٤٦) البلاذري – نفس المصدر ص ٥٤٦ . ابن قتيبة . عيون الاخبار ج ٢ ص ١٦٩ .
(٤٧) ابن خلكان – وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٠١ . انظر البلاذري . المصدر السابق ، ياقوت الحموي معجم البلدان ج ٤ ص ٤٧٩ .

ولكن اذا كان المنصور حاول ان يكسب عمرو بن عبيد فانه عمل مثل ذلك مع غيره من المحدثين وأهل الدين والعلماء مثل مالك بن أنس والليث ابن سعد والاوزاعي وابي حنيفة والامام جعفر الصادق وغيرهم كثيرون وقد نجح في كسب بعضهم وفشل مع البعض الاخر . واذا كـان المنصور قـد تودد الى عمرو ومن ماثله من العلماء فانه تسامح مع رؤوس الراونديـة المتطرفين في آرائهم الدينية وحينما نبهه أحد صحابته الى خطرهم قال « دعهم يدخـلوا النار في طاعتنا على ان يدخلوا الجنة في معصيتنا » ولـم يقابلهم بالقوة الا بعد ان اصبحوا خطرا يهدده شخصيا ويهدد كيان الدولة العباسية (٤٨) . وهـذا يؤكد استمرار ميزة المرونة في سياسة المنصور الدينيـة التي هي استمرار للمرونة التي تميزت بهـا طبيعـة الثورة العباسية ذاتها .

ولقد استمر الخلفاء العباسيون بعد المنصور متبعين نفس السياسة الدينية محاولين تأكيد صيغة الخلافة الدينية . وتذكر المصادر التاريخيـة روايات قليلة مبعثرة تؤكد ضعف فرضية الاستاذ نيبرك السابقة . فبالرغم من أن سياسة الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩) في مطاردة اهل الالحـاد والمرتزقة توافق اهداف ومخططات المعتزلة في مجادلاتهم مـع الملحديـن والدهريين والمانوية فليس هناك ما يثبت ان المهدي كان معتزليا او انـه تساهل مع المعتزلة . فالطبري والخطيب البغدادي (٤٩) يذكران بان والي المدينة اعتقل جماعة من أهاليها بتهمة القدرية وانكر عليهم ادعاءهم ورفض ان يرتبط بهم . ويضيف الخطيب ان المهدي اتهم زورا وبهتانا بالقدرية وانه (اي الخطيب) قد علم من مصدر يثق به بان الخليفة لم يتكلم بالقدر أبدا . ويذكر الكندي (٥٠) بان علي بن سليمان العباسي اتهـم بالقدرية لانه افرج عن اثنين من القدرية من السجن . ولكن هذه الرواية الاخيرة ان دلت على شيء فانما تدل على ان اصحاب حرية الارادة من القدرية كانوا

---

(٤٨) عن الراوندية ـ انظر مثلا الطبري ـ تاريخ الرسل . طبعة دار المعارف ١٩٦٦ ج ٧ ص ٥٠٥ ، انظر كذلك : F. Omar, The Abbasid Caliphate, P. 167.

(٤٩) الطبري ـ تاريخ الرسل . طبعة ليدن ج ٣ ص ٥٣٤ ، الخطيب . تاريخ بغـداد ج ٢ ، ص ٣٠١ .

(٥٠) الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٣١ .

مطاردين من قبل السلطة العباسية في عهد الخليفة العباسي الهادي (سنة ١٦٩ هـ/سنة ٧٨٥ م ــ سنة ١٧٠ هـ/٧٨٦م) . وفي عهد الخليفة الرشيد قتل أو هدد بالقتل أشخاص متعددون نظرا لارائهم حول خلق القرآن(٥١). ويذكر الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب (٥٢) ان العتابي وهو كاتب معتزلي هرب الى اليمن خوفا من الرشيد . وسجن الرشيد بشر بن المعتمر ومنع الجدل وحدد نشاطات المتكلمين فيه . وفي البصرة قطعت يد الزاهد المعروف باسم عيسى الطبري بأمر من الوالي محمد بن سليمان العباسي (٥٣) . كل هذه الحوادث التاريخية تضعف فرضية الاستاذ نيبرك وتؤكد بأن أوائل الخلفاء العباسيين لم يكونوا معتزلة وان الثورة العباسية لم تكن الواجهة السياسية لحركة كانت المعتزلة واجهتها الدينية.

خاتمـــة :

وفي الختام نرى من الانسب ان نجمع خلاصة ما استنتجناه على شكل نقاط هي :

١ ــ ان تاريخ المعتزلة ــ كباقي الفرق الاسلامية الاخرى . قد تأثر بالخصومات السياسية والعقائدية على نفس الطريقة التي تأثر بها تاريخ الاسلام السياسي في صدره الاول . وقد أخطأ قسم من مؤرخي الفرق المحدثين حين قبلوا الروايات دون تمييز بين مصدرها وروايتها ووقتها ولذلك وقعوا في تناقضات كثيرة فيما كتبوه عن الفرق . ويجب ان نلاحظ في هذا المجال أن معلومات أكيدة عن شخصيات معينة معتزلية تعتبر اكثر اعتمادا واهمية من روايات عامة عن الفرق ذاتها كما وان بعض الاصطلاحات اختلفت حسب العصور من حيث المعنى ولم تبق ملتزمة بنفس الفحوى التاريخي الذي كان سبب ظهورها .

---

(٥١) الخطيب البغدادي ــ تاريخ بغداد ج ٧ ص ٥٦ ، ابن كثير . البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢١٥ . السيوطي تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٨ .

(٥٢) الجهشياري ــ الوزراء والكتاب ص ٢٩٠ .

(٥٣) ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ص ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ .

٢ ـ ان موقف المعتزلة السياسي غامض ولذلك اختلف المؤرخون المحدثون في تفسير منشأ حركة الاعتزال . كما وان الروايات التاريخية عن موقفهم السياسي قليلة ومرتبكة احيانا وان ما تطرقنا اليه من لمحات في تاريخ المعتزلة السياسي في فترة الثورة العباسية وبداية العصر ما هو الا محاولة جمعنا فيها القليل من الروايات عن موقف المعتزلة من العباسيين لنوضح ضعف الاساس الذي بنى عليه الاستاذ نيبرك فرضيته .

٣ ـ لقد كانت الثورة العباسية حدثا كبيرا في تاريخ الاسلام سبب ازمة الفكر السياسي الاسلامي فقد كان على الفرق والكتل المختلفة ان تعيد النظر في موقفها السياسي بعد هذه الثورة فاما ان تؤيد النظام الجديد او تعارضه ، وبقدر ما يتعلق الامر بالمعتزلة فانها في هذه الفترة التي نبحثها لم تكن فرقة لها كيانها الخاص بل وآراؤها المتبلورة المعروفة بها ، وانما كانت تعبيرا عن الشعور السياسي لفئة من فئات المجتمع الاسلامي وقد مثل هذه الكتلة شخصيات سياسية ودينية مختلفة وقفت على الحياد في المعترك السياسي وجاهدت من اجل اعلاء كلمة الاسلام ودحض اعدائه في المعترك الديني (٥٤) .

٤ ـ ومن هذا المنطلق فان فرضية نيبرك لا تثبت امام النقد التاريخي للاسباب التالية :

أ ـ اعتماد الفرضية على القياس والاستنتاج في اثبات ارائها لا على الوثائق والروايات التاريخية وهو ما يعول عليه المؤرخون لتقرير حقيقة ما . فالاستنتاج في التاريخ يجب ان يستند الى رواية تاريخية أو وثيقة قدر الامكان .

---

(٥٤) انظر : Nallino, Sull, Origine del nome dei Mu'tazaliti, RSO, Vol. 7, 1917.

M. Watt, The political attitude of the Mu'tazilah, Op. Cit.

C. Cahen, Points de Vue... R.H. (Melanges), 1963.

انظر كذلك مقدمة الاستاذ نيبرك لكتاب الانتصار للخياط المعتزلي ، ومقدمة الدكتورة سوسنة في كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى والصفحات ١٧ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧١ من الانتصار . والصفحات ٤٤ ، ٤٦ ـ ٤٧ ، من طبقات المعتزلة ، عن كتب واصل . انظر الفهرست لابن النديم .

ب ـ يقول نيبرك ان المعتزلة كانوا ميالين لبني هاشم بصورة عامة (اهل البيت) وبما ان اراءهم لا تتفق مع الغلاة والامامية مـن الشيعة العلوية حول مسألة الامامة ولذلك مالوا الى العباسيين . الا اننـا نـرد على ذلك فنقول بان للدعوة العباسية جناحا متطرفا هو الجناح الراونـدي وان حادثة خداش في خراسان تؤكد ان الاراء التي بثها كانت متطرفة لا تتفق مع اراء المعتزلة حول الامامة . ولذلك فليس هناك مجال للتوفيـق بين المعتزلة وبين ما بثته بعض الكتل ذات الميول العباسية من اراء (٥٥) .

جـ ـ لقد كان مهـد الدعوة العباسية خراسان وكانـت مراكزهـا الرئيسية الحميمة حيث يسكن الامام العباسي ، والكوفة حيث يوجـد وزير آل محمد ويكون حلقة الوصل بين الامام ونقيب نقبـاء خراسـان الذي اتخذ مرو وقراها مقرا له . ومن هذا يتبين بـان مركز الدعـوة العباسية كان يختلف عن مركز الرواد المعتزلة التقليدي وهو البصرة .

واكثر من هذا فان البصرة لم تظهر اي استبشار بمجيء العباسيين للحكم بل بالعكس قاومت الجيش العباسي الذي احتلها بالقوة . كما وان كثرة تبديل الولاة العباسيين في البصرة وكثرة زيارات المنصور لهـا يدل على عدم الاستقرار فيها . وقد اختيرت البصرة محلا لثورة ابراهيم بـن عبدالله المحض العلوي لا لميولها العلوية ولكن لكونها ضد الحكم العباسي .

د ـ لم يظهر الحكم العباسي الجديد مبدأ الاعتزال مبدأ رسميا له لما تسلم السلطة . ولم يظهر الخلفاء العباسيون الاوائل قبل المأمون اية ميول تدل على كونهم معتزلة . بل ان علاقة المنصور بعمرو بن عبيد لا يمكن ان توصف بكونها علاقة خليفة باحد دعاته خاصة اذا قارناها بعلاقة المنصور بالدعاة او بشيوخ القبائـل العربية في خراسان الذين ساندوا الثـورة فالمنصور يقول مثلا عن شيوخ القبائل اليمنية « والنقباء اثنـا عشر نقيبـا كلهم يمانية » ثم يتكلم عن سياسة مروان القبلية فيقول « ثم قام الفاسق الجعدي (مروان الثاني) فحملكم (اي المضرية) على رقاب الناس واقصى

---

(٥٥) عن طبيعة الثورة العباسيـة انظر : فان فلوتن ـ السيادة العربيـة والشيعـة والاسرائيليات ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن . واطروحة
Dennett, Marwan b. Muhammad
F. Omar The Abbasid Caliphate 132-170 A.H.

اهل اليمن فجاشت عليه من كل ناحية . . . ومالوا الينا فيحق لنا ان نعرف لهم حق نصرهم لنا وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم بدولتنا » (٥٦) . ويخاطب عبدالله بن علي العباسي اليمانية فيقول « انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وانصارنا » (٥٧) ولم يقل اي خليفة عباسي مثل هذا الكلام في عمرو بن عبيد وجماعته .

هـ ـ ان شعر صفوان الانصاري المار الذكر ليس فيه ما يدل على مساندة المعتزلة للحركة العباسية خاصة وان المصادر تذكر لنا عددا من الرجال الذين ارسلهم واصل لبث تعاليمه والدفاع عن الاسلام ، كما وتذكر المصادر أسماء الدعاة والنقباء العباسيين الذين عملوا على نشر الدعوة العباسية وليس هناك اي توافق بين القائمتين . ولقد ذكرنا قائمة دعاة واصل بن عطاء سابقا وها هي ذي قائمة النقباء العباسيين الاثني عشر (٥٨) :

(١) سليمان بن كثير الخزاعي
(٢) مالك بن الهيثم الخزاعي
(٣) زياد بن صالح الخزاعي
(٤) طلحة بن رزيق الخزاعي
(٥) موسى بن كعب التميمي
(٦) عيسى بن كعب التميمي
(٧) لاحظ بن قريظ التميمي
(٨) القاسم بن مجاشع التميمي
(٩) قحطبة بن شبيب الطائي
(١٠) خالد بن ابراهيم الذهلي الشيباني
(١١) اسلم بن سلام البجلي
(١٢) شبل بن طهمان مولى بني حنيفة

---

(٥٦) الازدي ـ تاريخ الموصل (مخطوطة) .

(٥٧) الازدي ـ نفس المصدر .

(٥٨) F. Omar, The Abbasid Caliphate.

و ــ اذا كان المعتزلة قد مالوا الــى بني هاشم فان ذلك شمــل الهاشميين بصورة عامة لا فرعا معينا منهم . وان علاقتهم بكثـــير مــن العلويين قبل تأسيس الدولة العباسية وبعدها كانت مساوية ان لم تكن اقوى من علاقتهم بالعباسيين قبل المأمون . ولقد اظهر البروفسور نللينــو والبروفسور سورديل بان دعاة واصل بن عطاء كانت لهم علاقة بالادارسة فــي افريقية وانهم ربمــا بثوا دعايــة علوية في أنحــاء اخرى من الدولة الاسلامية (٥٩) .

ز ــ لقد كان هدف العباسيين هــو الاستفادة ممن يسـمــون برواد حركة الاعتزال كعمرو بن عبيد كما استفادوا من جماعة « اهل السنة » او اصحاب الحديث (٦٠) . فلقد كان عمرو بن عبيد ذا فائدة كبـــيرة في معارضة آراء الشيعة العلويين من الغلاة والامامية . واكبر شاهد على ذلك المناقشات الحادة بين عمرو بن عبيد وبين هشام بن الحكم وبين هــذا الاخير والعلاف المعتزلي (٦١) . فلقد كتب كثير من المعتزلة ضد مبــدأ النص الذي يدين به الشيعة العلوية وفحواه ان الامامة محصورة في الامام علي بن ابي طالب واولاده من بعده لان الرسول (صلعم) نص عليهم . وكذلك عارض المعتزلة مبــدأ العصمة ويقصد به ان الائمة معصومون في اعمالهم واقوالهم ولا يجوز عليهم خطأ . ورفع المعتزلة شعار حرية الامــة في اختيار الامام الذي ترتضيه ، ثم ان العباسيين استخدموا المعتزلة في الدفاع عن الاسلام ضد المانوية والجهمية والدهرية وغيرهم وهــذا يفسر لنا لماذا كانت احاديث واقوال عمرو وواصل وغيرهما من اصحاب الحديث تذاع وتحترم في البلاط العباسي فكان المهدي يقول للمحدث شبيب بــن شبه « يا ابا معن حدثنا وزين مجلسنا بحديث عمرو بن عبيد » (٦٢) . وكذا حدث في عهد الرشيد حيث حضر مجلسه ومجلس وزرائه شخصيات عرفت بميولها لمذهب الاعتزال مثل ابراهيم بن يحيى المدني وابي الهذيــل

---

(٥٩) الخياط ، الانتصار ص ١٠٥ .

(٦٠) يصف ابن خلكان والذهبي عمرو بن عبيد بانه « متكلم زاهد ومن كبار المحدثين » ، وفيات الاعيان جـ ٢ ص ١٠١ فما بعد ، ميزان الاعتدال جـ ٢ ص ٢٩٤ .

(٦١) الخياط ، المصدر السابق ، ص ٢ ، ٤٠ ــ ٤١ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٢ .

(٦٢) ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ص ١٢٢ .

العلاف وثمامة بن اشرس . ولكن نعود فنؤكد بان النظرة اليهم كانـــت على انهم محدثون ثقات وفقهاء علماء وان كسبهم يزيـد من قوة الخليفة ولكن الخليفة في الوقت نفسه لم يتردد في سجن واضطهاد معتزلة آخرين اذا ما اظهروا ميولا علوية او معادية للدولة كما رأينا ذلك سابقـا .

ح ـ ثم انه لو كان مذهب المعتزلة هو عقيـدة الثـورة العبـاسية المذهب الذي يدين به الخلفاء العباسيون الاوائل لحدث الانشقاق بينهم وبين أصحاب الحديث منذ بدء حكمهم ولحدثت « المحنة » في وقت مبكر ولما تأخرت حتى زمن الخليفة حينما أعلن الاعتزال مذهبا رسميا للدولـة حيث حدثت تلك الضجة الكبرى وما أعقبها من ردود فعل .

واخيرا فان قلة المعلومات الموجودة في مصادرنا وتفرقها يجعل دراسة الموقف السياسي للمعتزلة الاوائل امرا شاقا غامضا غير متكامل . وكـل ما ترجو هذه المقالة ان تكون قد نجحت في اعطاء صورة للعلاقة بـين السلطة العباسية قبل عهد الخليفة المأمون وبـين رواد حركـة الاعتزال واظهرت الصعوبات التي تواجهنا في حالة قبولنا بالفرضية القائلة بـأن الاعتزال كان عقيدة الثورة العباسية .

موقف العلويين السياسي من العباسيين

اولا : الموقف كما تعكسه الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية

مقدمــة تاريخيــة :

في النصف الاول من القرن الثاني الهجري ـ الثامن الميلادي ـ حينما بدأ الانحلال السياسي يدب في جسم الدولة الاموية ، اظهر عدد مــن الشخصيات الهاشمية طموحا سياسيا ملحوظا وبدأ كل منهم ينظم حركة معارضة سرية مستقلة ضد الامويين .

ولم تكن الفكرة الشائعة بين الناس في تلك الفترة ان يكون خليفــة رسول الله (صلعم) بالضرورة فردا معينا بذاته او فرعا هاشميا بعينه ، بل كان من حق كل هاشمي علويا كان او عباسيا او جعفريا (نسبة الى جعفر بن ابي طالب) ان يدعي الخلافة ويعمل لها باسم (اهل البيت) ولذلك انقسم شيعة الهاشميين الى كتل : فمنهم من التف حول محمد بن الحنفية العلوي ، ثم نقلوا ولاءهم الى ابنه ابي هاشم عبدالله الذي أسند قيادة حركته من بعده الى محمد بن علي العباسي ، ومنهم من اتبع عبدالله

ابن معاوية بن جعفر الطالبي ، ومنهم من ناصر زيد بن علي (زين العابدين) ودعوا الى شهر السلاح وقتال الامويين ، ومنهم من شايع الامام جعفرا الصادق الحسيني (رض) الذي لم يعرف عنه انه دعا الى الثورة ضد الحكم الاموي بل كانت معارضته سلبية سلمية .

وحين بدأ محمد بن علي بن عبدالله بن العباس دعوته السرية كان حذرا وأسند ادعاءه بالخلافة الى وصية ابي هاشم عبدالله كما كان شعاره الدعوة الى (الرضا من آل البيت) . واستطاع ابراهيم الامام (١) الذي خلف اباه محمدا العباسي في قيادة المنظمة السرية (العباسية) ان يوجه جهوده الى خراسان حيث القبائل العربية المتذمرة من الادارة الاموية . وقد تكللت جهوده هذه بالنجاح ، الا انه قتل من قبل مروان بن محمد قبل وصول الشيعة العباسية الى العراق واحتلالها الكوفة . وقد بايع قادة الثورة العباسية أبا العباس عبدالله بن محمد خليفة للدولة العباسية .

وما ان تسلم العباسيون السلطة حتى بدأوا ينظرون الى العلويين نظرة شك باعتبارهم المنافسين لهم على الخلافة ومصدر خطر على الدولة الجديدة . اما العلويون فقد نظروا الى العباسيين كمغتصبين مبتزين للسلطة من أصحابها الشرعيين . وهكذا دخل النزاع حول الخلافة مرحلة جديدة حيث أصبح نزاعا بين الهاشميين أنفسهم : بين العباسيين والعلويين .

على أن العلويين لم يكونوا متحدين او متفقين على زعامة واحدة تنظم كفاحهم المسلح وغير المسلح تجاه العباسيين . ثم ان كثرة القيادات العلوية يعني بالتالي ان ولاء الشيعة العلوية في تلك الفترة لم يكن باتجاه واحد واضح نحو فرع علوي معين . وتدل الاحداث التاريخية في القرنين الاول والثاني الهجريين بأن هؤلاء الاتباع كانوا على العموم يغيرون ولاءهم من فرع لاخر بكل سهولة وحسب الظروف .

فبعد وفاة زيد بن علي سنة ١٢٢هـ ــ ٧٤٠م وابنه يحيى سنة ١٢٥هـ ــ ٧٤٣ م لم يبق بين العلويين سوى شخصيتين رئيسيتين هما الامام جعفر الصادق الحسيني وعبدالله بن الحسن (المحض) من الفرع الحسني . وكان الصادق مسالما لا يؤمن بالعنف وقد أعطى هذا الموقف من

---

(١) انظر مقالة « ابراهيم الامام » في دائرة المعارف الاسلامية (باللغة الانكليزية) كتبها الدكتور فاروق عمر .

الامام الصادق الفرصة عبدالله بن الحسن المحض ليجمع حوله الشيعة العلوية التي تميل الى الثورة ضد الامويين .

والطريف ان طموح عبدالله المحض لم يكن شخصيا فهو لم يطلب الخلافة لنفسه بل الى ابنه محمد ذي النفس الزكية ، حيث أشاع عبدالله المحض الفكرة القائلة بان ابنه محمدا هو (المهدي المنتظر) الذي سينقذ الناس من الجور العباسي وكان هذا الادعاء خطوة مهمة في تصاعد الثورة العلوية لانها جذبت الى محمد ذي النفس الزكية اعدادا متزايدة من الاتباع من بينهم المتطرفون اتباع المغيرة بن سعيد البجلي وبيان بن سمعان النهدي . وكذلك انضم اليه المتذمرون والضعفاء الذين ربما لم يكن لديهم اي ولاء للعلويين او تفهم للقضية العلوية ولكنهم أملوا بأن المهدي الجديد سينقذهم من الظلم ويوفر لهم حياة افضل (٢) .

وقد حاول الهاشميون ان يوحدوا صفوفهم بتكوين جبهة موحدة تحت قيادة متفق عليها ضد الامويين فعقدوا اجتماعا سريا في الابواء (٣) قرب مكة سنة ١٢٧ هـ ، سنة ٧٤٤ م حينما كانت كل البوادر تتنبأ بتدهور دولة الامويين بعد مقتل الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ ، سنة ٧٤٣ - ٧٤٤م حيث زادت الشكوك والتكهنات حول امكانية صمود الكيان الاموي طويلا، وهذا بطبيعة الحال زاد من آمال الهاشميين وطموحهم في الخلافة . وقد دعا عبد الله المحض الحاضرين الى البيعة لابنه محمد المهدي ولكن المجتمعين انشقوا على انفسهم واختلفوا في الراي وانفض الاجتماع دون اتخاذ قرار معين . ان القارىء المتمعن في الروايات المتعلقة باجتماع الابواء يدرك حقيقة بارزة وهي أن الرواة ذوي الميول المختلفة قد جعلوا من هذا الاجتماع مسرحا لتلفيقاتهم ليعزز كل منهم وجهة نظره التي تنسجم مع عاطفته السياسية . على اننا نتساءل هل من المعقول ان يبايع العباسيون شخصية هاشمية اخرى (غير عباسية) وهم يعلمون علم اليقين بان

---

(٢) انظر : الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية ١٣٢ هـ - ١٧٠ هـ ، (بالانكليزية) ، ص ٢١١ فما بعد ، بغداد ، ١٩٦٩ .

(٣) البلاذري ، مخطوط انساب الاشراف (استانبول) ص ٦٠٨ ب . - الاصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ص ١٤٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ١٤٤ طبعة ليدن الاوروبية .

هناك حركة سرية في خراسان تعمل من اجل انشاء دولة عباسية منذ سنة ٩٨ هـ ، سنة ٧١٦ م .؟! ولو ان العباسيين بايعوا محمدا في هذا الاجتماع لما سكت هذا الاخير من الاشارة الى هذه البيعة في رسالته المشهورة الى الخليفة المنصور سنة ١٤٥ هـ ، ٧٦٢ م (٤) .

وحين تسلم الخليفة العباسي الاول ابو العباس عبدالله بن محمد الخلافة حاول ان يخلق جوا من الوفاق الهاشمي (العباسي ـ العلوي) وان يجعل من فترة حكمه القصيرة (١٣٢ هـ ـ ١٣٦ هـ) رمزا لانتصار الحق الهاشمي (٥) . ورغم ادراك الخليفة بوجود تحركات موالية للعلويين في العراق وخراسان ومعرفته باتصالات يزيد بن عمر بن هبيرة مع محمد ذي النفس الزكية ، ومراسلات ابي سلمة الخلال مع شخصيات علوية ، وثورة شريك بن شيخ المهري باسم العلويين في خراسان (٦) فانه استقر على سياسة الترضية واللين التي تظهر في محاولاته التقرب من العلويين ومن اشعار شعراء البلاط العباسي في ذلك العهد . ولكن يجدر بنا القول بان ابا العباس اعلنها منذ البداية وبوضوح لا يقبل الشك بان الخلافة عباسية وستبقى عباسية وانكر ان يكون لاحد غيرهم الحق فيها (٧) .

ان حالة الموادعة التي يشوبها جو التأزم والحرج لم تدم طويلا فلم تكن هذه السياسة لتوافق المنصور الخليفة العباسي الثاني (١٣٦ هـ ـ ١٥٨ هـ) الذي أظهر بجلاء اثر تسلمه الحكم بان « الملوك لا تحتمل القدح في الملك » وان هدفه تثبيت كيان الدولة العباسية مهما كان الثمن . وقد ركز الخليفة جهوده على الحركة العلوية لادراكه بان هذه الحركة

---

(٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ . ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٤ ، ص ١١٥ ـ ١١٨ ، ـ الازدي : تاريخ الموصل ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣ ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٥) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٧٨٢ ب . الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٩ . ـ المسعودي ، مروج الذهب ـ جـ ٦ ص ١١٦ .

(٦) البلاذري : المصدر السابق ص ٦٨٠ أ . ـ الاصفهاني : الاغاني : جـ ١٠ ، ص ١٠٥ ـ الطبري : جـ ٢ ، ص ١٧١٢ جـ ٣ ، ص ١٤٦ ، ١٧٨ .

(٧) البلاذري : المصدر السابق : ص ٧٨٤ ب ـ ص ٧٨٥ أ . ـ الطبري : المصدر السابق جـ ٣ ، ص ٢٩ فما بعد .

اصبحت رمزا للمعارضة ضد العباسيين (٨) حيث ان الكتل المتذمرة والتي اخفق العباسيون في كسبها نقلت ولاءها الى العلويين واخذت تدعو لهم سواء كان ذلك باخلاص او بمجرد التظاهر لاتخاذهم واجهة سياسية لغايات اخرى مبيتة .

وقد زار المنصور الحجاز مرتين سنة ١٣٦ هـ و سنة ١٤٠ هـ للحج ولكي يقف عن كثب على الجو السياسي . وطلب من عبدالله المحض ان يخرج ابنيه محمد وابراهيم اللذين اختفيا عن الانظار ولكن المحض لم يعطه أية اشارة الى مكان وجودهما ولا عن فعالياتهما . والظاهر ان فعاليات محمد ذي النفس الزكية كانت شغل الخليفة الشاغل « فلم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه » . ومن « اجل ان يستخرج الثعلب من جحره » على حد قول الخليفة نفسه كان لا بد من اجراءات جديدة وقوية ، فصرف الاموال وارسل العيون والجواسيس على هيئة تجار ، وكتب الرسائل عن لسان القادة والشيوخ الى محمد ذي النفس الزكية يتظاهرون بالولاء للقضية العلوية . ولكن هذه الاجراءات كلها لم تحقق نتائج ايجابية ولذلك قرر الخليفة ارسال رباح بن عثمان المري واليا على المدينة حيث وصلها في ٢٣ رمضان سنة ١٤٤ هـ .

ويعتبر تعيين رباح المري بداية النهاية لتحديات محمد ذي النفس الزكية ذلك لان الاجراءات التي اتخذها كانت من الشدة بحيث اجبرت محمدا على الظهور واعلان الثورة . ولعل عنف رباح المري يظهر من قوله لعبد الله المحض : « ايها الشيخ ان امير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ولا يد سلفت اليه والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد بن عبيد الله الحارثي ومحمد بن خالد القسري والله لازهقن نفسك او لتأتيني بابنيك محمد وابراهيم » .

وخاطب اهل المدينة قائلا : « يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا . انا ابن عم مسلم بن عقبة الشديد الوطأة عليكم الوبن الوقعة بكم ، الخبيث السيرة فيكم . ثم انتم اليوم عقب الذين حصدهم السيف ، وايم الله

---

(٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٦١٠ أ . ـ المؤلف المجهول : العيون والحدائق ، الطبعة الاوروبية ، ص ٢٤٦ . ـ المسعودي : مروج الذهب : جـ ٣ ، ص ٢٢١ .

لاحصدن منكم عقب الذين حصده ، ولالبسن الذل عقب من البس » (٩) ،

وسجن المري بأمر الخليفة عددا من العلويين والطالبيين وحين عاد المنصور من الحج سنة ١٤٤ هـ قرر جلبهم معه الى هاشمية الكوفة حيث سجنوا جميعا ، ثم قتل منهم ثلاثة هم عبدالله بن الحسن ومحمد بن عبدالله العثماني ومحمد بن ابراهيم بن الحسن بأمر من المنصور (١٠) .

اعلن محمد ذو النفس الزكية ثورته في أول رجب سنة ١٤٥ هـ / سنة ٧٦٢ م في المدينة وتعتبر ثورة المدينة ثم ثورة ابراهيم بن عبدالله المحض في البصرة ذروة الكفاح العلوي ضد العباسيين الاوائل .

رسالة المنصور الاولى الى محمد ذي النفس الزكية :

ومن اجل ان يضع التبعة على عاتق محمد ذي النفس الزكية .. ثم من اجل ان يكسب مزيدا من الوقت ليجمع القوات الخراسانية المتفرقة في الاقاليم ، دخل المنصور في سلسلة من المراسلات مع محمد ذي النفس الزكية فأرسل رسالته الاولى (١١) قائلا : بسم الله الرحمن الرحيم : من عبدالله امير المؤمنين الى محمد بن عبدالله . (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا ، او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم) .

ولك علي عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ان تبت ورجعت من قبل ان اقدر عليك ان أؤمنك وجميع ولدك

---

(٩) عن هذه الاحداث وتفاصيلها انظر الدكتور فاروق عمر : الخلافة العباسية : ص ٢٢٠ فما بعد .

(١٠) البلاذري : فتوح البلدان : ص ٢٤ . ـ الاصفهاني : مقاتل : ص ١٤٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ . ـ الطبري : ج٣ ص ١٨٢، ١٨٥، ١٨٨ العاملي: أعيان الشيعة: ج٥، ص١٤١.

(١١) الطبري : ج ٣ ص ٢٠٩ . ـ ابن الاثير : الكامل : ج ٥ ، ص ١١٥ . ـ العيون والحدائق ، ص٢٤٠ فما بعد .

واخوتك واهل بيتك ومن اتبعكم ، على دمائكم وأموالكم ، واسوغك ما اصبت من دم او مال ، واعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج ، وانزلك من البلاد حيث شئت ، وان أطلق من في حبسي من اهل بيتك وان اؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك او دخل معك في شيء من امرك ، ثم لا أتبع أحدا منهم بشيء كان منه ابدا ، فان اردت ان تتوثق لنفسك فوجه الي من احببت يأخذ لك من الامان والعهد والميثاق ما تثق به » .

جواب محمد :

فأجابه محمد ذو النفس الزكية قائلا : (١٢) « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله ، الى عبد الله بن محمد. (طسم ، تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا في ارض وجعل اهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) .

وانا اعرض عليك من الامان مثل الذي عرضت علي ، فان الحق حقنا ، وانما ادعيتم هذا الامر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا . وان ابانا عليا كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ؟ ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الامر احد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا . لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت احد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل ، وانا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاطمة بنت عمرو من الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الاسلام دونكم . ان الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ومن السلف اولهم اسلاما علي ، ومن الازواج افضلهن خديجة الطاهرة واول من صلى القبلة . البنات خيرهن فاطمة

---

(١٢) الطبري ج ٣ ، ص ٢٠٩ — ٢١٠. — الازدي : المصدر السابق : ص ١٨٢ — ١٨٣

سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولدين في الاسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد حسنا مرتين ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، واني أوسط بني هاشم نسبا وأصرحهم أبا ، لم تعرق في العجم ، ولم تنازع في أمهات الاولاد فما زال الله يختار لي الاباء والامهات في الجاهلية والاسلام حتى اختار لي في النار ، فأنا ابن ارفع الناس درجة في الجنة ، واهونهم عذابا في النار ، وانا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار ، وابن خير اهل الجنة وابن خير أهل النار . ولك الله علي ان دخلت في طاعتي واجبت دعوتي ، ان اؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل امر احدثته الا حــدا من حدود الله ، او حقا لمسلم او معاهد فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وانا اولى بالامر منك ، وأوفى بالعهد لانك أعطيتني من العهد والامان مـا أعطيته رجالا قبلي فأي الامانات تعطيني ؟ أأمان ابن هبيرة ؟ أم امان عمك عبدالله ابن علي ؟ ام امان ابي مسلم ؟

رسالة المنصور الثانية :

فرد عليه الخليفة المنصور « بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد ! فقد بلغني كلامك ، وقرات كتابك ، فاذا جل فخرك بقرابة النساء لتضل بـه الجفاة والغوغاء . ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاباء ، ولا كالعصبة والاولياء ، لان الله جعل العم ابا ، وبدأ به في كتابــه على الوالدة الدنيا . ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحما ، وأعظمهن حقا ، واول من يدخل الجنة غدا .

ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم ، واصطفائه لهـم . واما ما ذكرت من فاطمة ام ابي طالب وولادتها ، فان الله لم يرزق احــدا من ولدها الاسلام لا بنتا ولا ابنا . ولو ان احدا رزق الاسلام بالقرابـة ، رزقه عبدالله ، أولاهم بكل خير في الدنيا والاخرة ، ولكن الامر لله يختار لدينه من يشاء قال الله عز وجل (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) .

ولقد بعث الله محمدا عليه السلام وله عمومة اربعة ، فأنزل الله عز وجل (وأنذر عشيرتك الاقربين) ، فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما

أبي وأبى اثنان احدهما ابوك فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما الا ولا ذمة ولا ميراثا .

وزعمت انك ابن اخف اهل النار عذابا ، وابن خير الاشرار . وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ، وليس في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله ان يفخر بالنار وسترد فتعلم (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) .

وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي ، وان هاشما ولده مرتين ، ومن فاطمة ام حسن وان عبد المطلب ولده مرتين ، وان النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين ، فخير الاولين والاخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يلده هاشم الا مرة ، ولا عبد المطلب الا مرة . وزعمت انك اوسط بني هاشم نسبا واصرحهم اما وابا ، وانه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك امهات الاولاد ، فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طرا ، فانظر ويحك أين أنت من الله غدا ، فانك قد تعديت طورك ، وفخرت على من هو خير منك نفسا وابا اولا وآخرا ، ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده وما خيار بني أبيك خاصة ، وأهل الفضل منهم الا بنو أمهات أولاد .

وما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من علي بن حسين وهو لام ولد ، ولهو خير من جدك حسن بن حسن . وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي وجدته ام ولد ، ولهو خير من أبيك ، ولا مثل ابنه جعفر ، وجدته ام ولد ولهو خير منك ، واما قولك : انكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الله تعالى يقول في كتابه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) .

ولكنكم بنو ابنته وانها لقرابة قريبة ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوز لها الامامة ،فكيف ترث بها ؟.. ولقد طلبها ابوك بكل وجه فأخرجها نهارا ومرضها سرا ، ودفنها ليلا ، فأبى الناس الا الشيخين وتفضيلهما ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين ان الجد اب الام والخال والخالة لا يرثون .

وأما ما فخرت به من علي وسابقته ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعا له عنها ، ولم يروا له حقا فيها . اما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ،

وقاتله طلحة والزبير ، وابى سعد بيعته ، واغلق دونه بابه . ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكم حكمين رضي بهما واعطاهما عهده وميثاقه، فاجتمعا على خلعه ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز ، واسلم شيعته بيد معاوية ودفع الامر الى غير أهله ، واخذ مالا من غير ولائه ولا حله ، فان كان لكم شيء فقد بعتموه واخذتم ثمنه . ثم خرج عمك حسين بن علي على ابن مرجانة فكان الناس معه عليه ، حتى قتلوه وأتوا برأسه اليه ، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان حتى قتل يحيى ابن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم واسروا الصبية والنساء وحملوهم بلا وطاء في المحامل كالسبي المجلوب الى الشام ، حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم وادركنا بدمائكم، وأورثناكم ارضهم وديارهم وسنينا سلفكم وفضلناه، فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت انا انما ذكرنا اباك وفضلناه للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر . وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلما منهم ، مجتمعا عليهم بالفضل وابتلي ابوك بالقتال والحرب ، وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا له وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه ولقد علمت ان مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج الاعظم ، وولاية زمزم ، فصارت للعباس من بين اخوته ، فنازعنا فيها ابوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والاسلام . ولقد قحط اهل المدينة ، فلم يتوسل عمر الى ربه ، ولم يتقرب اليه الا بابينا ، حتى نعشهم الله ، وسقاهم الغيث، وأبوك حاضر لم يتوسل به .

ولقد علمت انه لم يبق احد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره ، فكان وارثه من عمومته . ثم طلب هذا الامر غير واحد من بني هاشم ، فلم ينله الا ولده : فالسقاية سقايته ، وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا في اسلام في دنيا ولا اخرة ، الا والعباس وارثه ومورثه .

أما ما ذكرت من بدر ، فان الاسلام جاء والعباس يمون آل ابي طالب وعياله ، وينفق عليهم للازمة التي اصابته . ولولا ان العباس أخرج الى بدر كرها ، لمات طالب وعقيل جوعا ، وللحسا جفان عتبة وشيبة ، ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ،

ثم فدى عقيلا يوم بدر . فكيف تفخر علينا وقد علناكم في الكفر ، وفديناكم من الاسر ، وحزنا عليكم مكارم الاباء . وورثنا دونكم خاتم الانبياء ، وطالبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ولم تدركوا لانفسكم ؟ والسلام عليك ورحمة الله (١٣) » .

ان الرسائل التي تبودلت بين محمد النفس الزكية وابي جعفر المنصور ربما كانت أهم وأطرف وجه للعلاقات العباسية العلوية في العصر العباسي الاول لانها :

١ ـ عكست آراء زعيمين متنافسين حول مسألة شائكة هي الخلافة.

٢ ـ لقد كانت الرسائل هذه ذات اهمية دعائية كبيرة لكلا الطرفين المتنازعين حيث بينت وجهة نظرهما ودافعت عنها بشدة .

٣ ـ اعتبرت الرسائل بمثابة اعلان للحرب ، وتبرير للنزاع المسلح بين فرعي بني هاشم . فلقد كان واضحا منذ البداية ان الطرفين لم يكونا يتوقعان الخضوع او الصلح كنتيجة لهذه المراسلات . والحقيقة ان الرسالة الاولى لابي جعفر تدل على استحالة الصلح لانها تهدد وتتوعد قبل ان تمني او تعفو . وقد كان محمد ذو النفس الزكية يدرك ذلك حيث كتب الى عيسى بن موسى القائد العباسي بان العباسيين لو ظنوا بانه سيقبل الوعود والامتيازات التي قدموها له لما ذكروها .

النقد الخارجي :

أ ـ ظروف الازمة : لقد راسل الخليفة محمدا ذا النفس الزكية بعد ان ظهر وأعلن ثورته . ويشير ابن الطقطقي الى ذلك فيقول بان الامور كانت تمر ببطء ، والتأزم بلغ أشده حين « تكاتبا وتراسلا » . وحين يصف هذه الكتب يقول بأنها كتب نادرة تعد من محاسن الكتب ، وانهما اي الخليفة والثائر « احتجا وذهبا في الاحتجاج كل مذهب » (١٤) . اما المبرد

---

(١٣) الطبري : المصدر السابق . ـ الازدي ص ١٨٣ فما بعد . ـ غرر السير ، مخطوطة (جامعة اكسفورد) ص ١٨٣ أ .

(١٤) ابن الطقطقي : الفخري ، الطبعة الاوروبية ، ص ٢٢٥ .

فيعتبرها « طريفة ومستحسنة جدا » (١٥) .

ولعلنا نعيد الى الاذهان القول بان محمدا ذا النفس الزكية اجبر على الخروج من محل اختفائه على حد قول بعض الروايات حيث تذكر ان الخليفة قال ما معناه بأنه استطاع ان يخرج الثعلب من مخبئه . ولذلك فالخطوة التالية بالنسبة للخليفة كانت على حد قول نفس الروايات « انذره قبل قتاله » (١٦) . وعبر الخليفة في رسالته عما كان يجول في خاطره من افكار وقد منع الخليفة وزيره أبا أيوب المورياني من ان يرد عليه وفضل ان يرد عليه بنفسه قائلا : « اذا تقارعنا على الاحساب فدعني له » (١٧) .

ولعلنا نذكر كذلك ان الخليفة كان دؤوبا في التفتيش عن محمد . يقول عمر بن شبة عن الخليفة : « لم تكن له همة الا طلب محمد والمسألة عنه » . وتقول رواية اخرى انه « جد في طلب محمد وألح في طلبه » او « لم تكن له همة الا طلب محمد » (١٨) . اما اجراءات الخليفة الذي كان يعرف انه ينازع شخصا « لا يؤمن وثوبه عليه وانه للذي لا ينام عنه » (١٩) فتتلخص بالاتي :

(١) ارسال العبيد للتجسس على محمد ذي النفس الزكية في الحجاز على هيئة تجار وبياعي عطر وغيره (٢٠) .

(٢) محاولة اقناع عبدالله بن الحسن المحض باظهار ابنه محمد الذي اجاب دون وجل . « لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه » .

(٣) حبس الحسنيين والطالبيين من أقرباء محمد وخاصة ابيه .

(٤) اقصاء الولاة الذين لم يجدوا في طلب محمد وتعيين ولاة اخرين .

(٥) ولم يتورع الخليفة عن استخدام السحر لمعرفة مكان اختفاء

---

(١٥) المبرد : « الكامل » الطبعة الاوروبية ، ص ٣٠٢ .

(١٦) الطبري : جـ ٣ ، ص ٢٠٦ .

(١٧) ابن الاثير : الكامل : الطبعة الاوروبية ، جـ ٥ ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

(١٨) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٤٤ .

(١٩) المصدر السابق : جـ ٣ ، ص ١٤٤ .

(٢٠) البلاذري ، انساب الاشراف : ص ٦١٠ أ (مخطوطة) . ـ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : جـ ٣ ، ص ١٧١ .

محمد كما تذكر بعض الروايات .

(٦) ارسال كتب على لسان الولاة والقواد والاقاليم يدعون محمدا الى الظهور .

ولعل هذه الاجراءات (٢١) تعكس مقدرة الخليفة في استغلال الموقف لصالحه عن طريق الاستفادة من النزعة الشريرة لدى اتباعه وتوجيههم ضد محمد الثائر . كل ذلك يوضح لنا الموقف السياسي المتأزم والحالة النفسية الحرجة لكلا الزعيمين .

ب ـ مصادر الرسائل التاريخية :

لقد ذكر هذه الرسائل عدد كبير من المصادر المتقدمة والمتأخرة ورغم ان المتأخرين نقلوا حرفيا او مختصرا او أشاروا الى هذه الرسائل معتمدين على المتقدمين من المؤرخين الا ان سند هذه الروايات والمصادر التي ذكرت فيها لا تدع مجالا للشك في كونها حقيقة تاريخية معترفا بها .

ولكن نصوص هذه الرسائل ربما حرفت هنا وهناك من قبل رواة ذوي ميول علوية او عباسية ، يقول الازدي (٢٢) « فأنبأني محمد بن يزيد عن عمر بن عبيدة عن محمد بن يحيى قال : سمعت هذه الرسائل من محمد بن بشر وكان يصححها وحدثنيها ابو عبد الرحمن من كتاب اهل العراق عن ابن ابي حرب وكان يصححها » .

ولعل أقوى دليل على صحتها هي وجودها في مصادر متقدمة رئيسية: مثل البلاذري والازدي والطبري والمبرد وابن عبد ربه وابن مسكويه وكتاب « غرر السير » وكتاب « العيون والحدائق » وابن الجوزي والتبريزي صاحب كتاب « تحفة الاولياء والاتقياء » وابن الاثير والنويري والذهبي

---

(٢١) عن هذه الاجراءات انظر : الطبري : جـ ٢ ، ١٦١ فما بعد . ـ الازدي : تاريخ الموصل . ـ البلاذري انساب الاشراف ، ص ٦٢٠ أ ، انظر كذلك فاروق عمر : الخلافة العباسية ، ص ٢٢٠ فما بعد .

(٢٢) الازدي : تاريخ الموصل ، ص ١٨١ .

وابن كثير وابن خلدون . ويعلق هذا الاخير على الرسائل المتبادلة فيقول بانها كانت تتعلق « بالانساب والاحوال » وان كلا من الخليفـة ومحمد « انتصف لنفسه » وان الامور التي عرضناهـا كان « ينبغي الاعـراض عنها » (٢٣) . ويتفق صاحب كتاب « غرر السير » مع ابن خلدون حين يصف هذه الرسائل ويقول : « وعلا الامر عـن العتاب والخطب عـن عن الخطاب » (٢٤) .

ثم اننا نستطيع ان نفهم سبب تحرج اليعقوبي والاصفهاني من ذكر هذه الرسائل بسبب ميولهما العلوية المعتدلة ولكن ما هي الاسبـاب التي دفعت مؤرخين اخرين لاختصار هذه الرسائل او الاكتفاء بالاشارة اليها فقط وخاصة فيما يتعلق بالرسالة الثالثة . هل انه طول الرسائل ام عدم الثقة فيها لان يد الوضع حرفت وبدلت فيها او التحرج منها ؟!.

ان المصدرين الرئيسيين للرسائل هما الطبري والمبرد ، مع ان نص الطبري يختلف عن نص المبرد فانهما يتشابهان في المعنى العام . وقد تبع بقية المؤرخين احد هذين المصدرين الرئيسيين .

اما التبريزي فيذكر رسالة رابعة من محمد ذي النفس الزكية الى الخليفة وينفرد بها حيث لا يذكرها غيره بهذا الشكل المطول . ويعبر التبريزي عـن ميوله العلوية فيقول مثلا على لسان محمد : « واني لـم أخرج طالبا الدنيا وزخرفها وانما خرجت لاريح الامة من ظلمكم وخروجكم وتعديكم » (٢٥) .

واخيرا فان اجابة الخليفة على رسالة الثائر محمد نقطة نقطة ، وسيره في جداله معه فكرة بعد اخرى ، حيث لم يترك رأيا جاء به محمد ذو النفس

---

(٢٣) ابن خلدون : العبر : جـ ٣ ، ص ١٩١ ، جـ ٤ ، ص ٤ ـ ٦ .

(٢٤) المؤلف المجهول : غرر السير مخطوطـة (مكتبة بودليان . جامعة اكسفورد) ص ١٨٢ ا ـ ١٨٣ ا .

(٢٥) التبريزي : تحفة الاولياء والاتقياء ، (مكتبة بودليان . جامعة اكسفورد) .

(٢٦) R. Traini, le corrispondenza tra al - Monsur Muhammad, Annali.

(٢٧) Van Arendark : les débuts de l'imàmat zaidite au yémen, trad. franc. par, J. Reykmans, leyde 1960, p. 53.

الزكية الا رد عليه براي مضاد ، ان هذا يدل دلالة واضحة على حقيقة الرسائل وصحتها .

النقد الداخلي :

أ ـ ان الرسالة الاولى للخليفة كانت نذيرا ببدء النزاع المسلح وكانت صفتها دعائية ، ذلك لأنها في الوقت الذي تدعو الى الاتفاق والسلم فانها تجعل ذلك السلم مستحيلا بالتهديدات . فهي توعد بالقتل قبل ان تمني بالصلح والوفاق ، كما انها تسأل من محمد ذي النفس الزكية اكثر مما تعطيه فعلا . وهي لذلك بمثابة الانذار قبل القتال .

ب ـ ان جواب محمد ذي النفس الزكية على رسالة الخليفة يعتبر بصورة واضحة وصحيحة عن موقف المعتدلين من العلويين حول مسألة الخلافة رغم مقدرتهم .

(١) لقد استند محمد في ادعائه الخلافة لا على كونه من نسل الامام علي (رض) فقط ولكن على كونه من نسل فاطمة (رض) ابنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وكان على محمد ان يؤكد هذا المفهوم الجديد في نزاعه مع العباسيين وذلك لان العباسيين هم أحفاد العباس عم النبي (صلى الله عليه وسلم) بينما علي (رض) كان ابن عم النبي (صلى الله عليه وسلم) . والعم اقرب من ابن العم .

(٢) افتخر محمد على ابي جعفر بكونه ابن عم عربية حرة . وهذه الاشارة لا بد ان تكون قد اغضبت الخليفة الذي كان ابن امة بربرية اسمها (سلامة) بينما كان محمد ابن ام عربية هاشمية من نسل الحسين (ض) . وكان هذا المفهوم الارستقراطي في النسب سائدا في عهد الامويين بصورة خاصة الذين حرموا الكثير من اولاد الاماء مثل مسلمة بن عبد الملك من الخلافة رغم مقدرتهم .

ثم ان افتخار محمد بنسبه العربي الاصيل لا يمكن ان يكون قد لاقى تقبلا من الموالي (المسلمين من غير العرب) في الحجاز وخراسان والعراق الذين كانوا أنصارا للعلويين خاصة وانه كان بحاجة الى الانصار لان اكثر القبائل الحجازية لم تكن علوية كما هو الحال في الكوفة . وربما كان

الناس في الحجاز يعطفون على ما لاقاه العلويون من شدة وعنف ولكن الذين يعتقدون بأحقية آل علي في الخلافة كانوا قلة في الحجاز .

(٣) لقد ذكر محمد ابا جعفر بان جده العباس كان من بين الطرداء والطلقاء واللعناء . اما الطلقاء فهم اهل مكة من الكفـار حيث اطلق عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه التسمية بعد فتح مكة . امـا الطرداء واللعناء فهم بعض الامويين ايضا ولعلها تشير كذلك بصورة عامة الـى اولئك الذين حاربوا الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يدخلوا الاسلام الا بعد فتح مكة سنة ٨ هـ ٦٣٢ م . والمعروف ان العباس حارب في جانب قريش في معركة بدر وأسر من قبل المسلمين .

(٤) ولم يلقب محمد نفسه امير المؤمنين اول الامر وانما سمى نفسه المهدي وهي الفكرة البراقة التي كانت تجذب اليها الجماهير اكثر من ايـة فكرة أخرى لانها تبعث فيها الامال وترضي التطلعات نحو المستقبل .

(٥) يستهزىء محمد بامان الخليفة مذكرا اياه بالامان الذي اعطاه قبل ذلك لعبدالله بن علي ولابي مسلم الخراساني وليزيد بن عمر بن هبيرة.

٦ ـ ولم يترك الخليفة المنصور في جوابه على رسالة محمد ذي النفس الزكيـة دعوى علوية الا واجاب عليها بدعوى عباسية والواقع ان اجابته تسلسلت نقطة فنقطة دون ان يهمل شيئا من ذلك . واهم ما في رسالته الجوابية هو :

(١) دحض ابو جعفر ادعاء محمد علىاعتبار انه يستند علىقرابة النساء بينا تعتبر قرابة العمومة (العباس) اقرب من قرابة النساء (فاطمة) . لقد كانت محاولة بارعة من الخليفة ان يبني ادعاءه على اسس شرعيـة ودينية وأسس تستند على التقاليد العربية فالعم يصبح كالاب بالنسبة لابناء اخيه المتوفى ، والعم أب كما هو معروف لدى العرب .

(٢) ذكر ابو جعفر محمدا بان العباس كان مسؤولا عن سقاية الحجاج عند الكعبة في الجاهلية والاسلام . وهذا ما يسمى « بحق الحرمة » التي زادت من شهرة العباس بين الناس حتى ان عمر بن الخطاب (رض) استغاث به حين حصل الجفاف في الحجاز في احدى السنوات .

ولعل ذكر ابي جعفر لقرار عمر بن الخطاب كانت له دلالته حيث جعل نفسه في صف (اصحاب الحديث) الذين تطوروا فيما بعد الى مـا يسمى (باهل السنة والجماعة) .

(٤) وكان ابو جعفر متعمدا في رسالته حين مـدح الفرع الحسيني

وفضلهم على الفرع الحسني . ففضل عليا زين العابدين على عبدالله بن الحسن وفضل جعفرا الصادق على محمد ذي النفس الزكية . وبما ان زين العابدين والصادق من ابناء امهات اولاد وان عبد الله بن الحسن وابنه من امهات عربيات هاشميات فان الخليفة يدحض بذلك فخر محمد بقرابة النساء ونقاء الدم بصورة غير مباشرة ، ويثبت مركزه باعتباره ابن ام ولد نفسه .

(٤) الا ان اهم نقطة في رسالة الخليفة هي حين تتكلم الحقائق المبسطة من الوقائع التاريخية ، وهنا يحقق ابو جعفر كسبا قويا في منافسته لمحمد حيث يبين الخليفة بوضوح ان العلويين حاولوا مرات الثورة ضد الامويين ولكن ثوراتهم فشلت المرة تلو الاخرى . ثم حاول العباسيون محاولتهم الثورية فنجحت .

وكرر الخليفة فكرته قائلا بان بني هاشم واهل البيت عموما لهم نفس الحق في الخلافة وبما انالعباسيين قد حققوا الانتصار بالقوة فان انتصارهم يبرر حصولهم على السلطان على عكس العلويين الذين حاولوا ففشلوا .

وقد بين الخليفة هذه النظرة نفسها في خطبة القاها على قواده ومواليه واهل بيته حين سمع بنبأ ثورة محمد حيث قال : (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأهـا الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين) اما والله لقد عجزوا عن امر قمنا به فما شكروا القائم ولا حيوا القائم . كلا والله لان اموت معززا احب الي من ان احيا مستذلا ولئن لم يرض بالعفو مني ليطلبن ما لا يوجد عندي والسعيد من وعظ بغيره) .

(٥) ويظهر الخليفة نفسه بانه يستطيع ان يكون كمنافسه فخورا ومتعاليا حينما يرد في اخر رسالته على ما ذكره محمد من ان العباس كان من الطلقاء فيقول : بان العباس نفسه خلص طالبا وعقيلا وفداهما من الاسر . وذكره كذلك بان العباسيين قسموا الكثير من الاراضي الاموية على العلويين واكرموهم .

(٦) كما اشار الخليفة بان العباسيين اخذوا بثأر ابناء عمهم العلويين من الامويين .

د ــ ولا تذكر مصادرنا التاريخية ان محمدا ذا النفس الزكية اجاب على هذه الرسالة ، ولكن المستشرق تريني يذهب الى وجود رسالة رابعة موجودة في مخطوطة « زهرة العيون وجلاء القلوب » في ١٨ صفحة الموجودة

في القسم الثالث المسمى « بتحفة الاولياء والاتقياء » . ولكننا نتفق مع المستشرق فان اريندونك بان لا صحة لهذه الرسالة الموضوعة من قبل بعض الرواة ذوي الميول العلوية ، خاصة واننا نعلم ان الرواة العرب مولعون بتصوير امثال هذه المساجلات والمناظرات واضفاء صيغة اسطورية عليها فيها الكثير من المبالغة .

وهناك نقطة ثانية اثارها تريني الذي يفترض بان جزءا من رسالة محمد الى الخليفة قد حذف من قبل الرواة خشية من العباسيين او ولاء لهم . ان النص المحذوف يشير الى تذكير محمد ذي النفس الزكية للخليفة ببيعته له في اجتماع الابواء حيث يعتقد تريني بان الهاشميين بايعوا محمدا في ذلك الاجتماع (٢٨) .

ولا شك بان بعض الروايات تذكر ان الهاشميين وفيهم ابو جعفر قد بايعوا محمدا في الابواء. ويذكر تريني مثلا الرواية التي تذكر بان الهاشميين في الحجاز ذكروا الخليفة المنصور الذي كان يسألهم عن مكان اختفاء محمد قائلين « يا امير المؤمنين قد علم انك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم فهو يخافك على نفسه ... » . ولكن هذه الرواية لا تدل على البيعة ولا تشير اليها . وهناك رواية ثانية تقول بان الخليفة هدد عثمان بن خالد الزبيري لاعانته لمحمد فقال له : « بايعت انا وانت رجلا بمكة فوفيت ببيعتي وغررت ببيعتك » فأمر المنصور بقتله . ثم ان الازدي يظهر بان الرسائل قد صححت مرات من قبل الرواة ، كما ان المبرد يعترف بانه قد اختصر بعض نصوصها مبررا ذلك بالقول « ان الراوية احد الشاتمين » ، ويطلب من قرائه الا يسألوا عن النص كاملا الذي ربما لا يستطيع تقديمه لاسباب تتصل بالسلطة العباسية .

ويقترح تريني بان الفقرة التي تتعلق ببدر في رسالة ابي جعفر لا يمكن ان ترد في الرسالة دون مقابل لها في رسالة محمد . ولذلك فان محمدا ـ على راي تريني ـ لا بد ان يكون قد ذكر البيعة في الابواء ولذلك فقد رد عليه ابو جعفر ذاكرا بان العباس كان المطعم لقريش ومنهم آل علي في الابواء في طريق بدر وانه فداهم بعد بدر .

على ان تخريج الاستاذ تريني لا يستند على أساس تاريخي قوي

---

(٢٨) انظر : R. Traini, o p. cit, P. 797.

ومن الصعوبة تصديقه خاصة اذا علمنا ان محمدا ذا النفس الزكية على عكس ما يقول تريني أشار الى بدر فعلا في رسالته حين اتهم ابـا جعفر بأنه من ابناء الطلقاء واللعناء والطرداء .

الخـــاتمة :

لقد اظهرت الرسائل والخطب التي تبادلها الخليفة ومحمد ذو النفس الزكية شخصية الطرفين المتنازعين فالروايات تبرز ما يتصف به محمد ذو النفس الزكية من صفات الشهامة والكرم والنبل والشجاعة ولعلنا نستطيع ان نختصرها (بالفروسية) . ثم ان تربيته ورعاية والده الشديدة له حيث سماه ذا النفس الزكية (التي تدل على المثالية في الخلق) والمهدي (الذي يظهره بمظهر المنقذ السياسي المنتظر) جعلته شخصا ذا كرامة يعتبر الموت بعز افضل من النجاح اذا لم يستطع تحقيقه .

ولكن هذه الصفات التي جعلت من محمد شخصا يعيش في احلام من الخيال وكذلك تلك الانفعالية الملتهبة التي تعكسها رسائله وخطبه في اتباعه بالحجاز ، كان لها الاثر الفعال في خلق الاعداء وتنفير الاتباع ، وبالتـــالي فشل الثورة .

وعلى العكس فقد كان الخليفة ابو جعفر يتكلم بلغة الواقعي الواثق من نفسه ، وكانت نبرته اكثر دقة واتزانا وتأثيرا لا بسبب ان دعواه افضل من دعوى محمد بل لانه كان اقل انفعالية وأكثر هدوءا ، كما انه سمـح لنفسه بمقارعة اكثر عنفا واقل احتراما من مقارعة محمد له . هذا بالاضافة الى استعماله اسلوبا تهكميا استهزائيا حتى لكأنه ظهر او لعله تظاهر ببراعة على حبه واستهوائه لهذه الفرصة التي سنحت لـه ليجادل بها العلويين في الحسب والنسب والاولوية بالامر والوفاء بالعهد .

ثانياً : سياسة المأمون تجاه العلويين

١٩٨ / ٨١٤ – ٢١٨ / ٨٣٣

القسم الاول – الثورات العلوية في عهد المامون

توطئـــة :

لم تكن الثورة العباسية ثورة الفرس على الحكم العربي ولم تقم على اكتاف الفرس فهذه دعاية وجهتها لها العناصر المعادية في وقتها ورددها المستشرق فان فلوتن وولهاوزن وثم اكدهـا مؤرخون عرب اخرون ، على ان الثورة العباسية في حقيقتها كانت أعمق من ذلك بكثير وانهـا قامت بها العناصر العربية في خراسان وهدفها محو أخطاء السياسة الاموية التي شملت العرب وغير العرب (١) .

ان الثورة العباسية كأي ثورة ضد الامويين رفعت شعارات عامة

---

(١) انظر عن طبيعة الثورة العباسية ... الدكتور فاروق عمر ، الخلافة العباسيـــة (بالانكليزية) ١٣٢ هـ – ١٧٠ هـ بغداد ١٩٦٩ .
الدكتور فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ٩٨ هـ – ١٣٢ هـ بيروت ١٩٧٠ .

متنوعة لجذب اكبر عدد من المتذمرين من الحكم الاموي . وبعد نجاحها بينت طبيعتها وهدفها الذي كان يرمي الى اقامة خلافة عباسية . وكان على الخلفاء العباسيين بطبيعة الحال ان يواجهوا المعارضين من علويين وخوارج وامويين وفرس . والذي يهمنا في هذا البحث هي حركة المعارضة العلوية التي ظهرت بواكيرها ضد العباسيين مع بداية الدولة الجديدة وبلغت الذروة في عصر المنصور الذي استطاع ان يقضي على أقوى ثورتين علويتين في عهده هما ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز وابراهيم في البصرة (٢) . ورغم ان حركة المعارضة العلوية لم تعد قوية وخطرة بعد عهد المنصور الا ان الثورات العلوية استمرت هنا وهناك .

لقد كان للظروف الصعبة التي مرت بها الخلافة العباسية أثناء الحرب الاهلية بين الامين والمأمون ١٩٣ هـ ــ ١٩٨ هـ / ٨٠٩ م ــ ٨١٤ م من انتشار الفوضى وعدم الاستقرار السياسي وانعدام السلطة . ان انتهزت العناصر المعارضة للعباسيين الفرصة ومنها الشيعة العلوية فقامت بثورات في أقاليم مختلفة في العراق والحجاز واليمن . فلم يكد المأمون يتسلم السلطة حتى فوجىء بثورة ابي السرايا السري بن منصورالشيباني بالكوفة سنة ١٩٩ هـ / ٨١٥ م باسم طباطبا العلوي . وبعد نجاحه في الكوفة ارسل ابو السرايا جيوشا لاحتلال المدن الرئيسية فأرسل الحسين ابن الافطس ومحمد بن سليمان الى الحجاز وارسل ابراهيم بن موسى ابن جعفر الى اليمن . ويشير الطبري الى « انتشار الطالبيين في البلاد » (٣) مما يدل على النجاح الذي حققه ابو السرايا الذي كان يلعب دورا مباشرا او غير مباشر في كل الثورات العلوية في الاقاليم الاخرى ايضا عدا العراق . ولعل سبب هذا النجاح يعود الى ملل أهل العراق من الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي فأملوا أن حكما جديدا ربما يحقق لهم الاستقرار هذا من جهة ومن جهة ثانية فان أهل العراق كانوا ساخطين على المأمون الذي نقل مركزه الى خراسان وعلى سياسة الفضل بن سهل الميالة

---

(٢) الدكتور فاروق عمر ، العباسيون الاوائل الجزء الاول ، بيروت ١٩٧٠ . الفصل الثالث. الدكتور فاروق عمر ، الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية ، مجلة العرب . الرياض ، ١٩٧٠ .

(٣) الطبري تاريخ الرسل .. طبعة دار المعارف ١٩٦٦ جـ ٨ ــ ص ٥٢٨ فما بعد .

الى الفرس « واستبداده برأيه وغلبته على الخليفة » (٤) .

ثورة أبي السرايا :

لم يكن المأمون موفقا في اكرامه للاركان الاربعة التي حققت له النصر على الامين ، ففي الوقت الذي اغدق الامتيازات والمناصب على الفضل بن سهل واخيه الحسن الذي أصبح واليا على العراق والشرق ، لم ينل القائدان طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين شيئا . فقد امر طاهر بالتوجه الى الرقة والاستعداد لمجابهة ثورة نصر بن شبث العقيلي . اما هرثمة بن أعين فقد دعي للتوجه حالا الى خراسان . ان هذه الاجراءات كانت دون شك من بنات افكار الفضل بن سهل (ذو الرئاستين الذي كان يخشى اتساع نفوذ طاهر بن الحسين وكان يطمع ان يحل اخاه الحسن محل طاهر في ولاية العراق التي احتلها طاهر بجيشه وكان يأمل ان يحكمه بنفسه .

على أن انتصار آل سهل على القائدين العسكريين كان له رد فعل من نوع اخر في العراق حيث فسره اهل العراق على اعتبار انه تأكيد لما يشاع من استبداد آل سهل وغلبتهم على المأمون الذي كان لا يزال في العشرينات من عمره فزاد في ثورة العراقيين الساخطين على آل سهل الذين نقلوا مركز الدولة الى مرو بدلا من بغداد . ولعل هذه الظروف هي التي فجرت ثورة أبي السرايا في الكوفة .

ان ثورة أبي السرايا السري الشيباني تذكرنا بثورة المختار الثقفي (٥) في الكوفة قبل اكثر من قرن وربع القرن فلقد ثار المختار

---

(٤) Op. Cit. انظر كذلك ،
F. Gabrieli, al - Ma'mun ..... Leipzig, 1929.

(٥) عن هذه الثورة انظر ... ولها وزن الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي مصر ١٩٥٨ .

محمد جابر الحيني حركات الشيعة المتطرفين ، القاهرة ١٩٦٧ .

S. Moscati, Per Una Storia dela Antica Si'a R. S. O. 1955.

M. Watt Shi'ism under the Umayyads J. R. A. S. 1960.

W. Ivanaw Early shi'Ite Movements J. B. R. A. S., 17, 1941.

K. A. Fariq-The Story of an Arab diplomat, 1966.

علي حسني الخربوطلي ، المختار الثقفي (سلسلة اعلام العرب) ، القاهرة .

باسم محمد بن الحنفية الذي لم يلعب دورا رئيسيا بالثورة بل كان شخصية معنوية وربما استغل المختار اسمه دون رضاه ، وكذلك كان ابو السرايا الزعيم الحقيقي لثورة الكوفة سنة ١٩٩ هـ اما ابن طباطبا (محمد ابن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي) فلم يلعب الا دورا ثانويا ومعنويا . ولم تكن ظاهرة الادعاء بالتشيع الى العلويين ظاهرة غريبة بل على العكس فان حركة المعارضة العلوية اصبحت الحركة البديلة والمقابلة للتشيع العباسي ، ذلك لان الجماعات المنتصرة التي خاب أملها بالحكم العباسي أخذت تنظر الى العلويين لتحقيق آمالها ومطامحها ، ولذلك نرى الكثير من المغامرين والثوار الذين رفعوا شعار الولاء للعلويين وذلك لكسب الاتباع دون ان يكون لهم في الحقيقة اي ميل او عاطفة علوية .

ان رواية الاصفهاني (٦) خير دليل على هذه الظاهرة فهي تشير الى ان نصر بن شبث العقيلي اتصل في سنة ١٩٨ هـ في الحج بابن طباطبا واتفق معه على الثورة في الجزيرة . ولكن نصر العقيلي فشل ان يقنع اتباعه في الجزيرة على الثورة من اجل القضية العلوية ذلك لان قبائل الجزيرة معروفة بميولها الخارجية او الاموية ولم يعرف عنها تحمس لقضية آل البيت (الهاشميين) (٧) .

وقد عاد ابن طباطبا الى الحجاز وفي طريقه التقى بأبي السرايا في الرقة . ونحن لا نعرف الشيء الكثير عن شخصية ابي السرايا وسيرته ، ولا تذكر الروايات (٨) عنه الا انه من شيبان من الجزيرة ولم يكن من أشراف القوم بل تدرج حتى لمع اسمه حين التحق بجيش يزيد بن مزيد الشيباني الذي ارسل الى أرمينيا لحرب الخرمية . وفي الحرب الاهلية بين الامين والمأمون كان الى جانب الامين وحارب جيش هرثمة بن أعين الذي تقابل مع جيش احمد بن يزيد بن مزيد الشيباني . ولكن ابا السرايا بدل رأيه وولاءه وانحاز بحوالي ٢٠٠٠ من اتباعه الخيالة والمشاة الى

---

(٦) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ١٧٧ فما بعد .

(٧) يقول الاصفهاني عن الجزيرة ... « وهذا البلد جميعا اعداء لآل أبي طالب » ..

(٨) انظر الطبري ١١١ ص ٩٧٦ .. ابن الاثير ، الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٢١٢ . انظر كذلك نعيمة الشكرجي ، ثورة ابي السرايا ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٧١ .

جيش المأمون ومنح لقب « امير » . وبعد انتهاء الحرب الاهلية واستدعاء هرثمة الى خراسان لم يحصل ابو السرايا على ما كان يطمح فيه من امتيازات فعاد الى حياة الغزو والنهب والتناحر القبلي فقد غزا مع الطوق بن مالك التغلبي بني قيس وسلبهم ، ثم التقى بالرقة بابن طباطبا فوجد فيه الرجل الذي يستطيع عن طريقه ان ينفس عن ميوله العلوية (٩) من جهة ونفسيته البدوية المتمردة من جهة اخرى ، وطموحه من جهة ثالثة.

وقد اتفق ابو السرايا مع ابن طباطبا على الالتقاء في ظاهر الكوفة واخذ الاول طريق البر فيما ركب الثاني سفينة عبر الفرات . وحين وصل ابو السرايا موقع كربلاء ارتجل خطبة مؤثرة خاطب فيها جنده واتباعه من الشيعة العلوية . وقد استطاع بعد ذلك كلا الزعيمين من احتلال الكوفة بسهولة بدون اراقة دماء ذلك لان الوالي العباسي سليمان بن المنصور وقائده خالد الضبي لم يحركا ساكنا بل لم يقاوما الثورة العلوية (١٠) . على ان المقاومة العباسية تجمعت حول شخصية الفضل بن العباس بن عيسى بن موسى الذي أعلن رفضه لبيعة ابن طباطبا ودافع عن نفسه من اتباعه ولكن سرعان ما استسلم ونهب داره . لقد بايع الناس البيعة الى « الرضا من آل محمد .. والعمل بكتاب الله وسنة نبيه » (١١). وحين سمع امير العراق الحسن بن سهل بالحركة العلوية أرسل لتوه زهير بن المسيب مع ١٠ آلاف من الجند وتقابل الطرفان في أواخر شهر جمادى الثاني وكان النصر في هذه المعركة للشيعة العلوية حيث تشتت جيش زهير بن المسيب الذي اضطر الى التراجع .

---

(٩) لا يمكن التاكد الى اي مدى كان مخلصا في ميوله العلوية الا ان الاصفهاني يشير الى انه « كان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع » ، مقاتل .. ص ١٧٨ .

(١٠) المصدر السابق ص ١٧٩ ــ ١٨٠ ــ الطبري III ، ص ٩٧٦ ، ٩٨٦ . الازدي ، تاريخ الموصل ص ٣٣٤ خليفة بن خياط ، تاريخ جـ ٢ ص ٥٠٦ .
F. Gabrieli, al-Ma'mun E. Gli Alidi Lepizig, 1929, P. 14.

(١١) يقول الاصفهاني « خرج مع ابي السرايا اكثر اهل الكوفة الا من لا فضل له ولا غنى».. مقاتل ص ١٨٠ . انظر كذلك الطبري III ص ٩٧٦ فما بعد .. العيون والحدائق ص ٣٤٥ فما بعد .

ان الحادثة التي تفاجىء المؤرخ بعد هذا الانتصار العلوي هو موت ابن طباطبا المفاجىء . ويختلف المؤرخون الرواد في عرضهم لهذه الحادثة على ان الطبري برواياته العديدة التي استقاها منه اغلب المؤرخين الاخرين يشير الى ان الموت كان غير متوقع وربما كان بسبب دس السم من قبل أبي السرايا الذي منعه ابن طباطبا من الاحتفاظ بالغنائم والاسلاب التي تركها الجند العباسي . ولكننا يجب ان نذكر بأن هناك روايات اخرى تظهر ابن طباطبا وكأنه مريض منذ مدة وانه مات موتا طبيعيا وترك وصية لداعيته ابي السرايا يرشح فيها علي بن عبد الله لرئاسة الحركة العلوية المسلحة (١٢) . ومهما يكن من أمر فان ابا السرايا اعلن نبأ موت ابن طباطبا وترشيحه لعلي بن عبدالله ولكن عليا هذا رفض ان يزج نفسه في مغامرة سياسية مسلحة وكان معروفا بتقواه وبعده عن السياسة ، واقترح بيعة محمد بن محمد بن زيد الذي كان لا يزال حدثا صغيرا وقد قبل ابو السرايا ومن معه بيعة محمد بن محمد قائلين لعلي بن عبد الله : « رضانا من رضاك وقولنا من قولك » . فكانت هذه البيعة في الاول من رجب سنة ١٩٩ هـ .

وقد اتسعت الثورة العلوية بسرعة واستطاع ابو السرايا ان يدحر قوة عباسية جديدة مكونة من ٤٠٠٠ خيال بقيادة عبدوس بن محمد بن ابي خالد المروزي أرسلت لتعزيز زهير بن المسيب الذي تراجع الى قصر ابن هبيرة . وقد ايدت الثورة الكثير من المدن والاقاليم ونشير الان الى الولاة الذين ارسلوا الى المناطق التي انضمت للعلويين :

العباس بن محمد بن عيسى بن محمد ... بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب عين واليا على البصرة زيد بن علي والحسن بن ابراهيم ابن الحسن بن علي على واسط (١٣) .

وفي شعبان يمكننا ان ندرك بان الثورة وصلت ذروة نجاحها حيث خضعت اقاليم كثيرة وارسلت اقاليم اخرى تعلن ولاءها وتدعو أبا السرايا

---

(١٢) انظر مقاتل الطالبيين ص ١٨٢ ، حيث يشير اليه اثناء الحوادث «بانه عليل يجود بنفسه» وانه اختار خليفته قائلا « فان رضيتم به فهو الرضى والا فاختاروا لانفسكم » . انظر كذلك الازدي ص ٣٣٥ .

(١٣) الطبري III ، ٩٧٩ .. مقاتل .. ص ١٨٤ .

لارسال ولاته . وقد امتد نفوذ ابي السرايا الى نهر الملك وهو لا يبعد عن بغداد الا اميالا قليلة . كان موقف والي العراق الحسن بن سهل صعبا فلم يكن لديه من القادة غير قريبه علي بن ابي سعيد (ذي العلمين) الذي لم يستطع ان يعمل شيئا تجاه تعاظم الثورة العلوية ، ان هذه الظروف الحرجة (١٤) أجبرت الحسن بن سهل ان يفكر مرة ثانية بطاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين القائدين اللذين حققا النصر للمأمون في الحرب الاهلية . وقد كتب الحسن أول الامر الى طاهر ثم بدل رايه واستدعى هرثمة بن اعين الذي كان في طريقه الى خراسان كما أمره بذلك الخليفة المأمون . وقد ارسل الحسن بن سهل السدي بن شاهك الى هرثمة يتوسل اليه بالعودة الى العراق لمعالجة الوضع الخطير هناك . على ان هرثمة رفض أول الامر العودة (١٥) ثم غير رأيه وقرر العودة للقضاء على الثورة (١٦) .

ولم يمض وقت طويل حتى واجه ابو السرايا جيشين عباسيين الاول بقيادة هرثمة والمنصور بن المهدي والثاني بقيادة علي بن ابي سعيد . وقد انقذت المعركة الاولى بغداد حيث اضطر ابو السرايا الى الانسحاب من المدائن الى قصر ابن هبيرة وهناك استطاع هرثمة ان يهزمه الهزيمة الثانية واضطره الى الانسحاب بسرعة الى الكوفة . وفي الكوفة عزز العلويون مراكزهم واستعدوا لمقاومة عنيفة . ورغم ان هرثمة بن اعين حاول جاهدا القضاء على المقاومة في الكوفة قبل حلول موسم الحج لكي يستطيع اداء

---

(١٤) عن هذه الاحداث انظر الطبري ص ٩٨٠ فما بعد . ابن الاثير جـ ٦ ص ٢١٢ فما بعد . العيون والحدائق ص ٣٤٥ فما بعد .. مقاتل .. ص ١٨٥ فما بعد . جبريالي ، المأمون والعلويون ، ليبزك ١٩٢٩ (بالايطالية) .

(١٥) قال هرثمة قولته المشهورة « نوطىء نحن الخلافة ونمهد لهم اكنافها ثم يستبدون بالامور ويستأثرون بالناس علينا فاذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم واضاعتهم الامور ارادوا ان يصلحوه بنا لا والله ولا كرامة حتى يعرف امير المؤمنين سوء اثارهم وقبح افعالهم » .

(١٦) قائلا « فعل الله بالحسن بن سهل وصنع فانه عرض هذه الدولة للذهاب وافسد ما صلح منها » . انظر مقاتل ص ١٨٤ ـ ١٨٥ . البلعمي ، تاريخ الطبري جـ ٤ ص٠٥٠٠

الفريضة (١٧) الا ان الكوفيـــين لم يمكنوه من ذلك . وفي الاول مـــن ذي القعدة وقعت معركة دموية حاسمة ولكن النصر لـم يكتب للعباسيين بقوة السلاح وانما بالمرونة والسياسة والحيلة التي دبرها هرثمة بن اعين. ويشير الاصفهاني (١٨) الى ان هرثمة استطاع ان يقنع اشراف الكوفة بانهاء الحرب والتخلي عن ابي السرايا وخذلانه ، وعبثا حـاول ابو السرايـا ان ينبههم الى حيلة هرثمة وسوء نيته مما اضطره الى مهاجمتهم واتهامهم بقتل الامام علي (رض) وخذلان الحسين (رض) وجبنهم في ساعة الصفر امام (المسودة) العباسيين ، ولكن الكوفيين الذين انهكتهم الحرب التي دامت اشهرا عديدة لم يستجيبوا لنداءات أبي السرايا . وهكذا خـذل الكوفيون ابا السرايا كما خذلوا المختار قبله (١٩) .

وفي الليلة التالية اضطر ابو السرايا ومحمد بن محمد بن زيد وغيره من العلويين وحوالي ٨٠٠ من الشيعة العلوية الخيالة الى ترك الكوفة التي فتحت أبوابها الى هرثمة ، حيث دخلها الجند العباسي دون اراقـة دماء وعين غسان بن ابي فرج واليا على الكوفة .

أما أبو السرايا ومن هرب معه فقد توجهوا الى واسط بعد مرورهم بالقادسية ، على ان واسط وقعت مرة ثانيـة في أيدي الجيش العباسي بقيادة علي بن ابي سعيد مما اضطر ابا السرايا ومن معه الى اخذ طريـق البصرة حيث عبروا نهر دجلة جنوبي مدينة واسط . وكان ابو السرايـا يتجنب المخاطر والهجمات من القبائل التي يمر بها بتوزيع الاموال عليها وحين وصل الاهواز انذره الوالي العباسي الحسن بن عـلي البادغيسي بترك الاقليم اذا أراد السلامة وحين حاول أبو السرايا المقاومـة هوجـم وجرح ولم يستطع السيطرة على تماسك أتباعه ولذلك قرر العودة الـى

---

(١٧) الطبري ص ٩٨١ – ابن الاثير جـ ٦ ص ٢١٥ . العيون والحدائق ص ٣٤٧ . خليفة ابن خياط تاريخ جـ ٢ ص ٥٠٨ .

(١٨) مقاتل .. ص ١٨٨ .

(١٩) على أن جماعة قليلة من الكوفيين استمرت مخلصة له حيث يشير الاصفهاني « فقـام اليه جماعة من اهل الكوفة وقالوا ما انصفتنا من قولك ما اقدمت واحجمنا ولا كررت وفررنا ولا وفيت وغدرنا ولقد صبرنا تحت ركابك وثبتنا مع لوائك حتى افنتنا الوقائع وما بعد فعلنا الا الموت فامدد يدك نبايعك على الموت فوالله لا نرجع حتى يفتـح الله علينا او يقضي قضاءه فاعرض عنهم ...»

موطنه الاصلي في راس العين بالجزيرة ومعه محمد بن محمد بن زيد واتباعه ومواليه المخلصين ومنهم ابو الشوك .

وفي طريقهم الى الجزيرة وقعوا أسرى في جلولاء بيد القائد حماد الذي كان في جلولاء مع ثلة من الجند فأرسلهم بدوره الى الحسن بن سهل . وقد ارسل الحسن محمداً الى المأمون في خراسان الذي أعلن العفو عنه كما تقول بعض الروايات (٢٠) الا ان هناك روايات في (مقاتل الطالبيين) تشير الى ان العفو كان على الصعيد الرسمي فقط وان ما حدث لمحمد هو السجن ثم الموت سما . اما مصير أبي السرايا فقد قتل في النهروان بأمر الحسن بن سهل وعلقت جثته على جسر بغداد وطيف برأسه في الاقاليم .

اما البصرة فقد استسلمت لعلي بن ابي سعيد القائد العباسي الذي اسر فيها زيد بن موسى بن جعفر الصادق ومعه جماعة من أهل بيته . وتشير رواية في الطبري ان زيدا هذا كان يلقب بزيد النار « لكثرة ما حرق بالبصرة من دور بني العباس واتباعهم وكان اذا اتي برجل من المسودة كانت عقوبته عنده ان يحرقه بالنار وانتهبوا بالبصرة اموالا » (٢١) .

وهكذا فقد انتهت الثورة العلوية في العراق في ظرف ثمانية او تسعة اشهر .

ثورة العلويين بالحجاز :

ومع ان الثورة العلوية في الحجاز مرتبطة بثورة أبي السرايا في الكوفة الا ان لها خصائصها التي تميزها عن ثورة العراق وانها استمرت ولم تنته بانتهاء ثورة أبي السرايا . لم ينس ابو السرايا حين اشتدت حركته في العراق ان يمد نفوذه الى الحجاز ، فرغم فقدان الحجاز لاهميته السياسية

---

(٢٠) البلعمي ، المصدر السابق ص ٥٠٢ ــ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٤٣ ــ حيث قال المأمون له « لا خوف عليك لعن الله من غرك » . قارن مقاتل ... ، ص ١٩٠ .

(٢١) الطبري ، طبعة دار المعارف ، ١٩٦٦ ، جـ ٨ ص ٥٣٥ .

وضعف اهميته الاستراتيجية والاقتصادية فقد بقي هذا الاقليم ذا مركز ديني ومعنوي كبير وخاصة في موسم الحج حيث يستطيع ابو السرايا تنظيم حملة دعائية كبيرة لنفسه وللامام بين الحجاج الذين يمثلون الاقاليم الاسلامية المختلفة . لذلك فقد ارسل ابو السرايا محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي الى المدينة وارسل الحسين بن الحسن الافطس بن علي بن الحسين بن علي الى مكة المكرمة واشار اليه بأمره الحج الذي بات على الابواب (٢٢) .

اما والي الحجاز العباسي فكان داود بن عيسى بن موسى بن محمد الذي عين في الامارة منذ عهد الامين ولكنه استطاع في اللحظة المناسبة ان يبدل ولاءه وارضى المأمون الذي ابقاه في الولاية . وحين سمع داود بن عيسى باقتراب الاتباع العلويين لم يستعد للحرب بل لم تكن له رغبة في المواجهة ربما بسبب ضعفه وتخاذله او لاحترامه لشهر الحج او لاسباب اخرى غير معروفة . وتشير رواية تاريخية بان مسرورا حاجب الرشيد المشهور والذي كان في مكة ينوي الحج قد قابل الوالي العباسي وابدى استعداده مع أتباعه الذين يعدون بمائتي فارس لمجابهة الثوار العلويين ولكن الوالي رفض الفكرة وغادر مكة الى العراق تاركا ابنه في الولاية وامارة الحج (٢٣) . ان الموقف الذي اتخذه الوالي العباسي قد خيب امال الشيعة العباسيين ومواليهم وعبيدهم الذين كانوا مستعدين للدفاع عن المدينة المقدسة ، وقد اضطر مسرور الخادم الكبير الى ترك مكة مع اتباعه بعد ان فقد الامل في جدوى المواجهة مع العلويين كما انه خاف من انتفاض الشيعة العلوية في مكة عليه وعلى أتباعه بعد ان فقدت السلطة وهرب الوالي .

وفي اليوم الاول من عرفات (التاسع من ذي الحجة) وجد الحجاج انفسهم دون أمام يقودهم ذلك لان قاضي مكة رفض ان يقوم بالعمل لئلا يتورط في ذكر اسم الامام او الخليفة في الخطبة . فالحجاز لم تكن قد سقطت بعد في أيدي العلويين كما وان الوالي العباسي كان قد هرب منها

---

(٢٢) الطبري ، طبعة ليدن III ص ٨٦٠ ـ ٨٦٤ ـ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ جـ ٦ ص ٢١٤ . خليفة بن خياط ، تاريخ جـ ٢ ص ٥٠٧ .

(٢٣) الطبري III ص ٩٨٢ فما بعد .

ولعلنا نلاحظ هنا مدى تردد الحسين بن الافطس واتباعه من احتلال مكة حتى بعد هروب الوالي العباسي ، خوفا من وجود مقاومة مؤيدة للعباسيين حتى اكد له بعض الشيعة العلوية من خلو المدينة من الانصار العباسيين فدخل مكة في يوم عرفة . وبهذه الطريقة اخذ العلويون المدينة ومكة .

ولعل ابرز ما يلاحظه المؤرخ هو قلة حماس عامة الناس وعدم مبالاتهم واكتراثهم للاحداث التي تجري امام اعينهم من نزاع على السلطة بين العلويين والعباسيين . وربما كان سبب ذلك ملل الناس من الاضطراب السياسي ونزوعهم نحو الاستقرار مما اضعف ذلك الحماس الذي كنا نعهده لاهل البيت سواء كانوا علويين او عباسيين ، بل ان الناس كانوا مستعدين لطاعة الاقوى من الفرعين الهاشميين دون ان يضحوا بأنفسهم في سبيل أي منهم .

لقد سيطر الحسين بن الافطس على الحجاز باسم ابي السرايا وازال كسوة الكعبة العباسية ووضع بدلها علمين من الحرير الاول ابيض والثاني اسود أرسلهما ابو السرايا وكتب عليهما « امر به الاصفر بن الاصفر ابو السرايا داعية آل محمد لكسوة بيت الله الحرام وان يطرح عنه كسوة الظلمة من ولد العباس ليطهر من كسوتهم وكتب في سنة تسع وتسعين ومئة » (٢٤) . وقد اعقب ذلك عمليات مصادرة ونهب لممتلكات العباسيين واتباعهم في الحجاز التي رافقها كثير من التجاوزات والاخطاء .

وحين وصلت أخبار فشل ثورة الكوفة ومقتل ابي السرايا كان على الحسين بن الافطس من اجل ان يبقى على سلطته في الحجاز تعيين شخصية علوية محترمة لزعامة الحركة معنويا على الاقل ولم يكن هناك من يتمتع باحترام الناس وعطفهم في مكة أكثر من محمد بن جعفر الصادق الملقب (بالديباج) وكان شخصا متواضعا مسالما وكبيرا في السن برز في رواية الحديث ولم يكن له ولع بالسياسة ولذلك تردد اول الامر بقبول البيعة ثم وافق واتخذ لقب أمير المؤمنين في السادس من ربيع الثاني سنة ٢٠٠ هـ (٢٥) .

---

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٩٨٨ .

(٢٥) مقاتل .. ص ١٨٥ ـ ١٨٦ . الطبري III ص ٩٩٠ ـ المسعودي مروج جـ ٧ ص ٥٧ ـ ابن الاثير جـ ٦ ص ٢١٩ .

والمعروف ان محمد الديباج كان يعتبر من اولاد جعفر الصادق البارزين حيث انقسمت شيعة الصادق بعد وفاته الى جماعة ايدت اسماعيل وابنه محمد وجماعة أيدت موسى الكاظم واخرى أيدت عبدالله الافطح ورابعة ايدت محمد الديباج ولم تكن الصلة بينهم طيبة . ومهما يكن من امر فان دور محمد الديباج في ثورة الحجاز بقي ثانويا ومعنويا وبقي قائد الحركة الحسين الافطس وكذلك ابنه علي بن محمد الذي كان غير محمود السيرة مما سبب تذمرا واضطرابا بين الناس في مكة ، وعجل بنهاية الثورة وعودة الحجاز الى المأمون .

ثورة العلويين في اليمن :

كان ابو السرايا قد ارسل الى اليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق ليستولي عليها باسم الامام ابن طباطبا واستطاع ابراهيم بن موسى ان يسيطر على اليمن بسهولة ذلك لان واليها العباسي اسحق بن موسى أخلى صنعاء مع جنده قبل وصول ابراهيم بن موسى بمجرد سماعه بنبأ اقتراب الثوار العلويين وبهذا قلد اسحق اجراءات خاله والي مكة الذي انسحب منها ايضا دون أن يشتبك مع العلويين الذين زاد عددهم بانضمام البدو اليهم (٢٦) .

وفي طريقه الى العراق قابل الجند العباسي بقيادة عيسى بن يزيد الجلودي ومساعده ورقة بن جميل القادمين الى مكة ، والظاهر ان اسحق ابن موسى اقنع او اجبر على مصاحبة الجيش الى الحجاز وبعد معركة عنيفة في بئر ميمون اندحر الشيعة العلوية وطلبوا الامان حيث تدخل عدد من القرشيين بينهم قاضي مكة واقنعوا الجلودي بمنح الامان للمتمردين . والواقع فاننا لا نعلم شيئا عن مصير الحسين الافطس اما الشيخ الطاعن في السن محمد بن جعفر فقد هرب وتعب من تجواله في البادية حتى حان وقت الحج فتقرب نحو مكة آملا في استرجاع سلطته ولكنه لم يفلح فطلب الامان من الجلودي ورجاء بن ابي الضحاك والي مكة فأعطي الامان

---

(٢٦) الطبري III ص ٩٨٧ فما بعد ـ الفاسي ، تاريخ مدينة مكة ، ص ١٨٩ .

بشرط ان يقف في الكعبة وفي نفس المكان الذي اعلن نفسه امير المؤمنين ويتنازل عن البيعة ويعلن ولاءه للمأمون وعهده بالا يعود الى طلب السلطة والعمل من اجلها ثانية . وقد ارسل الى العراق ومن هناك الى مرو (٢٧) .

اما في اليمن فنحن في الواقع لا نعرف الشيء الكثير عن حكم ابراهيم ابن موسى وادارته لهذا الاقليم ، ولكن بعض الروايات تشير الى اتباعه سياسة مالية شديدة تضمنت مصادرة الممتلكات الخاصة وقتل المعارضين مما دفع خصومه الى تلقيبه « بالجزار » (٢٨) . ومهما يكن من امر فان ابراهيم بسط سيطرته على الاقليم لاكثر من سنة .

ورغم ان السيطرة العلوية في العراق والحجاز قد انتهت فان ابراهيم قاوم في اليمن ، بل اكثر من ذلك ارسل من يؤم الناس للحج باسم الامام حيث عين لهذا الغرض احد ابناء عقيل بن ابي طالب المقيمين في اليمن . وفي طريق الحج كمن الطالبي امير قافلة الحج اليمانية لقافلة الحج العباسية التي كانت بقيادة اخي الخليفة ونهبها وسلب كسوة الكعبة . ولكن الجلودي قائد جند مكة لم يمهل الطالبي واتباعه بل حاصرهم واستعاد الاسلاب والكسوة وضربهم بالسياط بسبب فعلتهم (٢٩) .

ثم ارسل الحسن بن سهل والي العراق حمدويه بن علي بن عيسى بن ماهان اميرا على اليمن فانتصر على ابراهيم بن موسى الذي انسحب نحو صعدة فلقي مقاومة ولكنه فتحها ونهبها وخرب سد الخندق (٣٠) . وسار

---

(٢٧) مقاتل .. ص ١٨٦ ـ الطبري III ص ٩٩٢ ـ ٩٩٣ . العيون والحدائق ص ٣٤٨ .

(٢٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة (ابو السرايا) ـ الطبري III ص ٩٨٨ . ادريس . كنز الاخيار فيمعرفة السير والاخبار (مخطوطة فى المتحف البريطاني لندن) رقم or 4581 والمعروف ان المؤلف شيعي في ميوله . ـ حسين بن احمد القرشي ، بلوغ المرام ، القاهرة ١٩٣٩ .

(٢٩) الطبري ، III ص ٩٩٥ ـ ٩٩٦ . ـ ابن الديبع ، قرة العيون ، مخطوطة فى المتحف البريطاني ، حيث يشير المؤلفانه اعتمد على كتاب المسجد المسبوك للخزرجي or. 3022 او or 25, 111

(٣٠) اليعقوبي ، تاريخ جـ ٢ ص ٥٤٤ ـ ادريس ، مخطوطة كنز الاخيار . ـ الهمداني الاكليل ، جـ ٨ ص ١١٥ . ـ الخزرجي ، الكفاية والالمام ... ، مخطوطة فى المتحف البريطاني ، or. 6941

نحو مكة فواجهته قوة عباسية انتصر عليها واحتل مكة . وهكذا عادت مكة تحت سلطة العلويين . وفي هذه الفترة عين المأمون علي الرضا وليا للعهد واعترف كذلك بشرعية ولاية ابراهيم لمكة بل اعطاه امارة الحج . ويشير المسعودي (٣١) ان اعطاء هذا الامتياز لعلوي كان يحدث لاول مرة في تاريخ الاسلام . ثم ان المأمون عين ابراهيم واليا على اليمن كذلك وامر الجلودي بمساعدة ابراهيم لاسترداد اليمن من ابن ماهان ولكن الجلودي ماطل وتعذر ولم يذهب . واندحر ابراهيم امام ابن ماهان ورجع الى مكة . وعندئذ اعلن ابن ماهان استقلاله في اليمن عن السلطة المركزية استياء من سياسة المأمون الموالية للعلويين : في نفس الوقت الذي ثارت فيه العراق ضد هذه السياسة . وقد واجه ابن ماهان ثورتين قويتين الاولى علوية في تهامة دبرها اتباع ابراهيم والثانية ثورة قبلية في زبيد قامت بها قبيلتا علك واشعر ، وقد اضعف ذلك من سيطرته حيث استطاع الجلودي القضاء عليه وانهزم ابن ماهان بملابس النساء ولكنه قبض عليه في صنعاء . وحينئذ عين المأمون باقتراح من وزيره الفضل بن سهل محمد ابن زياد المعروف بآرائه المعارضة للعلويين سنة ٢٠٣ هـ/سنة ٨١٩ م (٣٢) اما ابراهيم بن موسى فقد ترك مكة الى العاصمة مرو حيث طلبه المأمون .

الخاتمة :

ان المتمعن في الثورات العلوية في عهد المأمون يدرك بان العلاقات العباسية ـ العلوية لم تتغير كثيرا عما كانت عليه قبل المأمون . ورغم ان المأمون كان ميالا للعلويين عطوفا ومدركا لقضيتهم ولكنه لن يسمح لهم بتجريده من السلطة او باقتطاع اجزاء من الدولة وحكمها بأنفسهم ، ولذلك كان يواجه حركاتهم الثورية بقوة السلاح .

---

(٣١) المسعودي ، مروج .. جـ ٩ ص ٦٩ .

(٣٢) انظر ... Geddes, The Ya'farid dynasty in the Yemen, ... Ph. D. Thesis London University. — H. C. Kay, Yaman. its early Muslim History, London 1892.

ورغم اختلاف المؤرخين في تصوير ثورة ابي السرايا حيث اعطاه الطبري شخصية فارس طموح ومغامر بينما أسبغ عليه الاصفهاني صفة بطل شيعي علوي ، فاننا نقول بان ثورته كانت من اخطر الثورات العلوية في عهد المأمون . ذلك لان هذه الثورة كانت وليدة عوامل كثيرة وليس الولاء العلوي فقط . فهي كما بينا عبرت عن سخط اهل العراق ضد سياسة المأمون الخراسانية وسخط القبائل العربية في الكوفة خاصة والعراق عامة على سياسة الفضل بن سهل واخيه الفارسية واستبداده برأيه ثم ملل الناس من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي . كل هذه العوامل انتجت ثورة ابي السرايا ولذلك وكما يؤكد البروفسور الايطالي كبريالي (٣٣) ويؤيده الاستاذ الدكتور الدوري « بان ثورة ابي السرايا كانت ثورة عربية عراقية صرفة وانها كانت حركة عامة لكل القوات العلوية في العراق وهذا يؤكد بان الشيعية كانت آنئذ عربية وان الثورة هذه هي ثورة عربية ضد بني العباس » (٣٤) .

لقد كان ابو السرايا كغيره من الفرسان العرب في هذه الفترة مشبعا بالروح العربية ولذلك كان يقول عن نفسه « انا اسد بني شيبان » ويسمي أعداءه « بالاعاجم » . على ان الصورة التي يعطيها له الاصفهاني في (المقاتل) صورة لا تخلو من مبالغة ونصيب من الخيال والمثالية الدينية خاصة وان الاصفهاني يعترف بانه بذل جهدا في اختيار الروايات عن هذه الثورة وتنقيح الصحيح من الموضوع .

وبعد كل ذلك فان ثورة ابي السرايا ستبقى كثورة المختار الثقفي لغزا في اهدافها وطبيعتها فمن الصعب على المؤرخ ان يحكم على هدف ابي السرايا ومدى ولائه لاهل البيت وطموحه للسلطة . ولكن هذه الثورة كانت دون شك تجمعا عاما للشيعة العلوية في العراق الطموح الثائر والمتذمر على المأمون الذي كاد ان يفقده مركزه الاول في الدولة . وقد وجدت هذه الحركة في ابي السرايا وقابلياته السياسية وقدرته العسكرية الفذة خير زعيم وممثل الذي كان موته نذيرا بموت المعارضة العلوية في الاقاليم الاخرى حيث لم يخلفه من يتمتع بمثل حنكته وبراعته.

وقبل ان نختم كلامنا يجب ان نسجل للمأمون مرونته واعتداله

---

(٣٣) F. Gabrieli al - Ma'mun E. Gli Alidi, Leipziq. 1929 P. 24.

(٣٤) الدكتور عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، بغداد ١٩٤٤ ص ٢٠٥ .

في معاملته للثوار العلويين فنحن لا يمكن ان نقارنه بالمنصور او الرشيد من هذه الناحية حيث تميزت سياستهما بالشدة والقتل والتهجير والاضطهاد وردود فعل عنيفة تجاه الثوار العلويين . ولعل ذلك يعود الى ان الدولة كانت في بدايتها ودور تأسيسها على عهد المنصور أما في عهد المأمون فقد تبدل الحال وتثبتت الاركان . ولسنا هنا في معرض تبرير سياسة المنصور ولكننا نقول بان اعتدال المأمون وتساهله مع العلويين يظهر ليس في معاملته للثوار فحسب بل في بيعته لعلي الرضا بولاية العهد تلك البيعة التي حدثت في يوم الاثنين السابع من رمضان سنة ٢٠١ هـ .

على ان الكلام عن البيعة وطبيعتها لا يدخل في بحثنا هذا .. بل سيكون له تحقيق خاص به في مجال آخر .

القسم الثاني
سياسة التوفيق مع العلويين

مقدمة تحليلية :

ان المتأمل لسياسة الخلفاء العباسيين الاوائل قبل المأمون يجد فيها الكثير من الغموض والتعقيد بل المرونة والتوفيق . فلقد جاء الخلفاء الاوائل في اعقاب ثورة جذرية ذات طبيعة معقدة وشعارات وواجهات متعددة . ومع هذا فقد كان على الخلفاء الاوائل للدولة العباسية ان يعلنوا الاتجاه العقائدي للنظام الجديد . هل انهم يدينون بالتطرف ام بالاعتدال في آرائهم الاسلامية ؟ والحقيقة فان السنوات الاولى من الحكم العباسي شهدت تناقضات واضحة في السياسة الدينية رغم اعلان الخلفاء العباسيين بانهم حماة الاسلام والحريصون عليه .

وبعد تجارب وتفاعلات مع آراء دينية مختلفة (١) قرروا تبني عقيدة « اهل السنة والجماعة » محاولين كسب اهل الحديث والعلماء الى جانبهم . وكان من الطبيعي ان تظهر ردود فعل على شكل تكتلات وفرق

---

(١) الدكتور فاروق عمر ـ موقف المعتزلة السياسي من العباسيين ، مجلة الاقلام ، عدد ٣ سنة ١٩٦٨ ، ص ٥٧ فما بعد .

دينية ـ سياسة تعارض مجيء العباسيين للحكم وتعارض سياستهم الدينية . وهكذا فقد كان على السلطة العباسية ان تتخذ اجراءات جديدة مناسبة لتحديد انتشار حركة المعارضة هذه فزادت السلطة تشبثها بمذهب « اهل السنة » وزادت من محاولتها لكسب الفقهاء والعلماء لتزيد من صبغتها في نظر الناس .

ومع كل ذلك فانالسياسة الدينية للعباسيين لا يمكن انتحدد فقد ظل الخلفاء العباسيون الاوائل مرنين في مواقفهم .. وقد اثارت هذه المرونة وهذا الغموض الكثير من التأملات والتفسيرات عالجناها في بحوث مختلفة، اما الذي يهمنا هنا فهو سياسة الخليفة المأمون الدينية ومدى علاقتها بسياسته تجاه العلويين .

فمن المعروف ان الخليفة المأمون كان اول خليفة يتخذ الاعتزال مذهبا رسميا للدولة ، كما انه كان اول خليفة يتميز بمرونته وسياسته التوفيقية تجاه العلويين حيث بايع لعلي الرضا بولاية العهد سنة ٢٠١ هـ وفي ذلك يقول ابن الطقطقي « ومن اختراعاته نقل الدولة من بني العباس الى بني علي » (٢) . ورغم ان الكثير من المؤرخين المحدثين بحثوا في خلافة المأمون الا انهم ـ عدا البروفسور سورديل ـ (٣) لم يحاولوا ان يربطوا بين سياسة الخليفة الاعتزالية وبين ميله للعلويين . لقد حاول المستشرق نيبرك (٤) ان يظهر الاعتزال كواجهة دينية للدعوة العباسية بينما اظهر الاستاذ المستشرق برنارد لويس (٥) ان سياسة المأمون الاعتزالية كمحاولة للتوفيق بين الدولة العباسية والمعارضة الشيعية العلوية . وعلى ذلك فان البروفسور لويس يعتقد بان مذهب الاعتزال اتخذ من قبل الدولةالعباسية كبديل « لمذهب اهل السنة والجماعة » الذي فشل في كبت المعارضة وترضيتها .

ان الباحث في دوافع البدعة الدينية ـ السياسية التي ابتدعها

---

(٢) ابن الطقطقي ـ الفخري ..

(٣) D. Sourdel, la Politique - Religieuse du Calife al Ma'mun R. E. I. 1965.

(٤) Neberg, Mu'tazilla, E. I. (1)

(٥) B. Lewis, Abbasids, E. I. (2).

الخليفة المأمون لا بد ان يرجع ، كما يرى البروفسور الفرنسي سورديل(٦)، الى الفترة التي سبقت عصر المأمون . ففي خلافة هارون الرشيد الطويلة (١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م) حيث تعقدت المشاكل السياسية وزادت مؤامرات البلاط ودور الحريم في السياسة يلاحظ المؤرخ المتمعن بروز الكثير من الميول الفكرية والنزعات السياسية وتصادمها واصطراعها في حلقات المثقفين والمفكرين في بغداد . ولعل ابرز ما كان يدور في هذه الحلقات من المواضيع السياسية الفكرية هو المشادة العنيفة بين دعاوى العباسيين والعلويين حول الخلافة . فبعد ان استطاع العباسيون بالقوة القضاء على الخلافة الاموية لم يفسحوا المجال للعلويين للمشاركة في الحكم وحين ثار العلويون قابلهم المنصور بشدة وعنف وقضى على حركاتهم . على ان الرشيد لم يكن قويا عنيفا كالمنصور ولهذا نلاحظ بوادر الانحلال السياسي والتدهور الاداري تظهر على عهده (٧) ، بل ان اول خلاف او انشقاق في موقف الدولة تجاه المعارضة العلوية ظهر في عهد الرشيد ايضا . فقد حاول الرشيد ان يكون شديدا مع العلويين ولكن البرامكة الذين سيطروا على الادارة زهاء ١٧ سنة (١٧٠ هـ/٧٨٦م - ١٨٧هـ/٨٣٠م) لم يوافقوا الرشيد على هذه السياسة مما اثار غضب الرشيد في عدة مناسبات . ولعل الفضل البرمكي كان من ابرز المعارضين وقد استطاع ان يقنع يحيى بن عبد الله الحسني ، بمرافقته من الديلم الى بغداد وضمن له امان الخليفة الذي لم يدم طويلا حيث قتله الرشيد بعد فترة وجيزة او سجنه ومات في السجن (٨) . وقد ابعد هذا النقض للامان الشقة بين الخليفة والفضل البرمكي - الذي عزل عن مسؤولياته الادارية في المشرق الاسلامي . كما وان الفضل البرمكي بعد فترة ليست بالبعيدة عن اعتقال يحيى الحسني ،

---

(٦) Sourdel, Op. cit., pp. 28f.

(٧) F. Omar, Harun al - Rashid, E. I. (2).

(٨) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ٣١١ . - ليس هناك دليل على قول المقدسي وابن طيفور ان للرشيد ميولا علوية ولعلهم قصدوا انه اظهر بعض العطف تجاه العلويين في بداية حكمه .

رفض اوامر الرشيد بالتخلص من موسى الكاظم بشكل من الاشكال (٩) .
وبسبب ذلك لم يعد الفضل البرمكي يلعب الا دورا ثانويا في السياسة العباسية . وهناك روايات تشير الى عطف الفضل البرمكي على محمد بن ابراهيم طباطبا وكذلك علاقة يحيى البرمكي باحمد بن عيسى الحسني (١٠) . وهكذا فالبرامكة ـ او بعضهم بتعبير ادق ـ عرفوا بموالاتهم وعطفهم على العلويين على عكس السياسة العباسية المتبعة . وربما فسر ذلك لنا سببا من اسباب نكبتهم .

ومهما يكن من امر فان وضع البرامكة يبقى غامضا ومحيرا . فهل كان البرامكة قانعين بابداء عواطفهم تجاه العلويين ام انهم حاولوا التوفيق بين (١١) البيتين العلوي والعباسي ام انهم كانوا يتحينون الفرصة لقلب الحكم من عباسي الى علوي ؟؟

وليس هنا محل بحث او استقصاء هذه الاسئلة ولكننا نقول بان موقف البرامكة المتميز بالمرونة والعطف نحو العلويين كان يتماشى تماما مع الوجهة الفكرية والثقافية للعصر . تلك الوجهة التي تتميز بحرية الرأي والمناقشة في مختلف المواضيع الدينية والسياسية والفلسفية . وقد عرف البرامكة بتشجيعهم لهذا الاتجاه وعقدهم الندوات والاجتماعات لسماع الآراء والمناقشات الفكرية التي كان يحضرها انصار من مختلف الفرق والمذاهب السياسية والكلامية . كما عرف عن البرامكة انهم شجعوا الترجمة من الاغريقية الى العربية تلك الحركة التي زادت في عهد

---

(٩) انظر : Sourdel, Le Vizirat abbaside, vol. 1, p. 166.

هناك روايات ضعيفة تشير الى دور يحي البرمكي في قتل موسى الكاظم مقاتل الطالبيين ص٣٢٢ فما بعد .. ابن الطقطقي ص ١٤٥ فما بعد .

(١٠) انظر : Sourdel, Op. cit., p. 166.

(١١) ان الشاعر مروان بن ابي حفصة يرى ان دور البرامكة كان دور الوسيط من اجل احلال الوئام محل الشقاق حيث يقول في الفضل البرمكي بعد ان حقق الصلح بين الرشيد ويحي الحسني :

.... ظفرت فلا شلت يد برمكية ... رتقت بها الفتق الذي بين هاشم ..
على حين اعيا الراتقين التئامه ... فكفوا وقالوا ليس بالملتئم .. .

المأمون . ورغم أننا لا نستطيع القول بأن البرامكة كانوا معتزلة الا انهم اتخذوا الموقف الذي تبنته المعتزلة بعدئذ الا وهو مناقشة الآراء والمذاهب ودحض الضعيف منها وذلك بتحكيم العقل والمنطق ودافعوا عن هؤلاء الذين عرفوا بهذه الآراء « الحرة » (١٢) .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فالمعروف ان هناك ارتباطات غير قليلة بين المعتزلة والحركة الشيعية العلوية المعتدلة رغم الاختلافات في بعض الظواهر العقائدية والفكرية والمواقف السياسية . وقد رفض واصل ابن عطاء الغزال رأس المعتزلة الاوائل ان يقرر هل ان مرتكب الكبيرة كافر ام مؤمن . ومعنى ذلك ان المسلم الذي يحمل السلاح ضد اخيه المسلم لا يكون كافرا او مؤمنا بل « منزلة بين المنزلتين » . ولم يخش سطوة الامويين بل اكثر من ذلك فقد عرف بصداقته لمحمد بن الحنفية وان زيدا بن علي كان تلميذا له . وهذا يدل على ارتباط واصل بالعلويين وميله لهم (١٣) . ويشير البروفسور سورديل « ورغم ان البعوث التبشيرية التي ارسلها واصل الى الاقاليم لم تترك لنا شيئا يعرفنا على فعالياتها الا انه يمكن القول بأنها مرتبطة بفعاليات شيعية علوية رغم فرضية نيبرك » (١٤) . كما يشير البروفسور سورديل الى تأييد المعتزلة لمحمد بن عبد الله المحض (النفس الزكية) واخيه ابراهيم في البصرة . مما يدل على ان المعتزلة والزيدية من شيعة العلويين كانا أقرب الى بعضهما بحيث شكلا جبهة معارضة واحدة للعباسيين (١٥) . وفي عهد الرشيد كان جماعة من الزيدية

---

(١٢) المسعودي ، مروج الذهب ، الطبعة الاوروبية ، ج ٦ ص ٣٦٨ فما بعد . ينقل ابن طيفور عن المأمون انه قال : « انا قد ابحنا الكلام واظهرنا المقالات » ، تاريخ بغداد ص ٢٨ .
Sourdel, la Politique Religieuse ... pp. 29-30.

(١٣) الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ١١٦ . — البير نصري نادر ، فلسفة المعتزلة ، بيروت ١٩٥٦ ص ٣٢٢ فما بعد .

(١٤) Sourdel, la Politique Reliease ... pp. 30f.

(١٥) F. Omar, Ihe Abbasid Caliphate.. Baghdad 1969, pp. 211ff.

عن فرضية البروفسور نيبرك انظر : E. I. (1) (Mu'tazila). الدكتور فاروق عمر ، موقف المعتزلة السياسي .. Cp. cit.

يدعون « معتزلة بغداد » . وقد امر الرشيد بسجن بشر بن المعتمر لميوله العلوية ، كما ولاقى ثمامة بن الاشرس المعتزلي العناء بسبب دفاعه عـــن احمد بن عيسى الزيدي (١٦) .

وهكذا فرغم ان معتزلة البصرة تبنوا بصورة عامة موقف « اهــــل السنة » حول الخلافة وطبيعتها فاننا نلاحظ في نهاية القرن الثاني للهجرة ظهور كتلة كبيرة من المعتزلة التي تقاربت مع الزيدية في آرائها وكانت عونا لها في مواقفها السياسية كما ظهر في ثورة محمد النفس الزكية وابراهيم . والمهم ان ارتباط البرامكة بهذه الكتلة وتأييدهم لآرائها لا يمكن الا ان يكون له أهميته السياسية .

ان المناخ الفكري والسياسي في أواخر عهد الرشيد والذي كـــان يمثله حلقات المثقفين ويؤيده البرامكة كان يتميز بالتسامح والمرونة وحرية الراي وبمعنى اخر سعة الافق المبنية على تحكيم العقل وهو الشعار الذي نادى به المعتزلة ثم المرونة تجاه العلويين . على ان هذا الاتجاه بابعاده المختلفة كان لا يلقى قبولا لدى الخلفاء العباسيين وعارضه كذلــك بعض رجال الدين والعامة فقد عارض الفقيه ابو يوسف آراء المعتزلة ووسائلهـــا في استعمال المنطق والكلام في موضوع العقيدة والشريعة وقـــال قولتـــه المشهورة « من طلب العلم بالكلام تزندق » (١٧) . وقد اشتد الرشيد على اهل الكلام ومنع المناقشات حول مسألة « خلق القرآن » كمــا وطـــارد القائلين بها مثل بشر المريسي (١٨) . وقد استمرت مطـــاردة المعتزلة في عهد الامين كما هو واضح من رواية الكندي (١٩) الذي يشير فيها الى ان قــاضي مصر رفــض شهــادة احـــد الشهـــود المتهمين بالقدريـــة . ويؤكـــد الجاحـــظ التعســف الذي قــاسى منــه المعتزلـــة قبـــل عهـــد المأمون من السلطة ومن العامة الذين يهاجمهم الجاحظ ويتهمهم بالجهل

---

(١٦) انظر : الاشعري مقالات الاسلاميين الطبعة الاوروبية ص ٧٩ . ــ مالتي ، التنبيه والرد ... ص ٢٧ . ــ Sourdel, Le Vizirat ... p. 169.

(١٧) وكيع ، اخبار القضاة ، جـ ٣ ص ٢٥٧ فما بعد . ــ ابو يوسف ، الخراج ص ٧٢ .

(١٨) ابن الجوزي ، مناقب الامام احمد ص ٢٤٨ .

(١٩) الكندي ، ولاة مصر .. ص ٤٢٢ .

والتقليد واثارة الفوضى (٢٠) . ويظهر الجاحظ امتعاضه الشديد من « عامة بغداد » الذين عارضوا سياسة المامون المعتزلي . ورغم ان الجاحظ معتزلي في آرائه (٢١) ولذلك يجب الحذر من مبالغاته الا ان الحوادث التاريخية تؤكد معارضة بغداد لسياسة المأمون الموالية للعلويين والمعتزلة .

ولكن ما هو دور المعتزلة في سياسة المامون العلوية ؟؟ من المعروف ان المامون كان محاطا بالمعتزلة حين اتخذ قراره بالبيعة لعلي الرضا سنة ٢٠١ هـ ـ / ٨١٧ م وكان بشر بن المعتمر وثمامة بن الاشرس بين الشهود الذين وقعوا وثيقة العهد . والمعروف كذلك ان بشر بن المعتمر وثمامة من معتزلة بغداد المعروفين بميولهم العلوية . كما واننا ذكرنا سابقا التقارب المذهبي بين المعتزلة والزيدية . على ان الذي يثير الدهشة والاستغراب هو ان المامون انتخب علويا من الفرع الحسيني هو علي بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وهو من الائمة الامامية وليس من الزيدية او الحسنية . بل ان الزيدية لا تعترف بامامته لاسباب عديدة . ولذلك فنحن لا نستطيع ان نقول بان دور المعتزلة كان دورا كبيرا في هذا الاختيار بالذات ولكنهم اثروا على الخليفة بصورة غير مباشرة بان سوغوا لـه جدوى النظرية الزيدية في الامامة مما دفعه الى هذا الاختيار (٢٢) .

ويشير البروفسور سورديل الى ان وجود الفضل بن سهل وهو من صنائع البرامكة ساعد ايضا على هذا الاختيار خاصة وان المصادر تتهمه بمحاولة التغلب على سلطة الخليفة وتحويل السلطة من ايدي العباسيين وان ارتباطاته بالشيعة جعلته يندفع في مغامرة خطرة كلفته حياته في النهاية ، على ان كبريللي لا يقبل اتهام الفضل بن سهل ويؤكد ولاءه للدولة العباسية (٢٤) .

---

(٢٠) انظر : الجاحظ ، رسالة في نفي التشبيه مجلة المشرق ١٩٥٣ .

(٢١) عن آراء الجاحظ حول الامامة والخلافة انظر :

Ch. Pellat, L'Imamat dans la dectrine de Gahiz S. I., 1961.

(٢٢) انظر : Sourdel, La Politique Religieuse, pp 33ff.

(٢٣، ٢٤) عن وجهتي النظر المختلفتين انظر : D. Sourdel, op. cit. p. 34.

F. Gabrieli, al - Ma'mun E Gli Alidi. Leipziq, 1929.

ومهما يكن من امر فان هدفنا من هذه المقدمة هو التأكيد على نقطة واحدة الا وهي ان الجو الفكري والسياسي في الفترة التي سبقت عصر المأمون وكذلك الظروف السياسية كانت كلها الى جانب النظرة المرنة والتوفيقية المتعاطفة مع العلويين ... ولعل ذلك يفسر سياسة المأمون الموالية للعلويين وبيعته للرضا بولاية العهد .

البيعة لعلي الرضا :

يشير المستشرق الإيطالي كبريللي (٢٥) الى ان اعتلاء المأمون يعني بالنسبة لكثير من المؤرخين انتصار النزعة الفارسية على النفوذ العربي الذي كان بارزا قبل المأمون . ويستطرد هؤلاء المؤرخون فيقولون بان من مظاهر النزعة الفارسية هو الميل للعلويين والتشيع لهم . على ان هذا الراي راي خاطىء ذلك لان التشيع في هذه الفترة المبكرة لم يكن فارسيا بل كان عربيا وان الثورات العلوية كانت ثورات عربية قادها عرب ووقعت في اقاليم عربية وان انصارها من العرب . ثم ان الميل « للفارسية » لم يكن واقع سياسة المأمون بل من تخطيط وزيره الفضل بن سهل وأعوانه خاصة خلال السنوات بين (١٩٨ هـ ـ ٢٠٢ هـ) . وقد أزعجت هذه النزعة الفارسية ليس فقط بني هاشم واعوانهم بل اهل بغداد الذين شعروا بضعف مركزهم بالنسبة لمرو وكذلك قادة كبار من امثال طاهر بن الحسين وهرثمة ابن أعين . وقد أبعد الى الرقة لفترة من الزمن اما الثاني فقد استطاع ان يتصل بالمأمون ويلومه على تأييده للسياسة التي يتبعها الفضل بن سهل قائلا « قدمت هذا المجوسي على اوليائك وانصارك » (٢٦) على ان الفضل استطاع سجنه ثم قتله فخسرت الدولة قائدا عربيا من المع انصارها . ولكن ثورة بغداد استمرت رافعة شعار : « لا ترضى بالمجوسي ابن المجوسي الحسن بن سهل » (٢٧) بين سنتي ٢٠٠ هـ ـ ٢٠١ هـ بقيادة

---

(٢٥) Gabrieli, Op. Cit.., P. 29.

(٢٦) اليعقوبي ، تاريخ ج ٢ ص ١٧٨ . النسخة الاوروبية ج ٢ ص ٥٤٦ .

(٢٧) الطبري ج ٢ ص ١٠٠٦ .

محمد بن أبي خالد وابنه عيسى . اما كتلة المأمون في بغداد فكـان يمثلها المنصور بن المهدي والحسن بن سهل وحميد بن عبد الحميد الطوسي .

تشير بعض الروايات التاريخية الى « تشيـع » المأمون (٢٨) ، على ان المستشرق كبريللي يعتقد بأن للمأمون ميلا دينيا عاطفيا للعلويين وهـذا الميل دفعه ليبايع الرضا (٢٩) . الا اننا يجب ان نفرق بين العواطف وبين الاعمال ، فالبيعة للرضا ليس بالامر العاطفي ولكنه امر سياسي له عواقبه الخطيرة ذلك لانه يعني نقل الخلافة او نقل الدولة ــ على حد قول ابـن طباطبا ــ من العباسيين الى العلويين .

يقول الطبري ويؤيده اليعقوبي (٣٠) ان المأمون أرسل رجاء بن أبي الضحاك (وهو من أقرباء الفضل بن سهل) وفرناس الخادم الى المدينة سنة ٢٠٠ هـ ليرافق علي الرضا الى مرو ، حيث أعلنت البيعة رسميـا واستبدلت الاعلام السود بالاعلام الخضراء وضربت السكة باسم ولي العهد الجديد . واصدر الخليفة امرا وزع على كل الاقاليم واظهر فيه انه اختار علي الرضا بعد ان « نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد احـدا هو افضل ولا أورع ولا أعلم منه » ولا تشير رواية الطبري او اليعقوبي الـى الدوافع الحقيقية التي دفعت المأمون الى هذه الخطوة على انهما يذكران رد الفعل لدى أهل بغداد الذين علقوا على النبأ بقولهم « هذا دسيس مـن الفضل بن سهل » .

وهناك روايات كثيرة تؤكد اتهام الفضل بن سهل بهذه البيعة نجدها في البلعمي والجهشياري وابن طباطبا (٣١) ويظهر الجهشياري اندفـاع الفضل بن سهل ودوره في البيعة . اما الفخري فيقول « كان الفضل بن سهل هو القائم بهذا الامر والمحسن له » . ورغم ان المؤرخ يتردد في قبول

---

(٢٨) انظر : Ibid ــ اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٥٤٥ . ــ الفخري ، ص ١٦٣ . . . الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ٣٦٩ .

(٢٩) Gabrieli, op. cit. pp. 46ff. p. 52.

(٣٠) الطبري ، جـ٣ ص ١٠٠٠ . ــ اليعقـوبي op. cit. جـ ٢ ص ٥٤٥ فما بعـد ، (الطبعة الاوروبية) .

(٣١) البلعمي ، ترجماي تاريخي طبري جـ ٤ ص ٥٠٧ ــ ٥٠٩ . ــ الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٣١٢ . ــ الفخري ، الطبعة الاوروبية ، ص ٢٩٩ .

هذه الروايات التي تؤكد دور الفضل بن سهل ويحتار في تفسير دوافعه وهو الذي تربى في كنف الدولة واصبح صنيعة من صنائعها وان مصلحته باتت في بقائها الا ان المؤرخ لا بد وان يصدق هذه الروايات التي يؤكدها اوائل المؤرخين حيث يقول الاصفهاني (٣٢) ان المأمون شاور الفضل بن سهل واخاه الحسن في نيته نقل الخلافة الى الرضا فعارض الحسن المشروع مبديا قلقه من العواقب ولكن الخليفة بقي معاندا متصلبا في رايه متعذرا بانه كان قد وعد بان ينقل الخلافة الى العلويين اذا ما انتصر على الامين وبقيت الخلافة بيديه « اني عاهدت الله ان اخرجها الى افضل آل ابي طالب ان ظفرت بالمخلوع » .

ونحن هنا امام رايين (٣٣) الاول ما يقرره المستشرق كبريللي حيث يقول ان المقرر الاول لفكرة البيعة للرضا هو الخليفة المأمون نفسه حيث كانت الفكرة قد اختمرت في ذهنه وصمم بطبيعته المجبولة على العناد على ان ينفذها . اما الراي الثاني فهو راي الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري حيث انه « يميل الى تاثير الفضل بن سهل ووجود المأمون في خراسان هما اللذان اضطراه الى اتخاذ هذه الخطة » . ويدلل الاستاذ الدوري بالادلة التالية :

(١) الروايات التاريخية التي تؤكد دور الفضل الرئيسي في البيعة .

(٢) لوم البغداديين للفضل بن سهل في تدبير هذه الخطة وعدم لومهم الخليفة .

(٣) رغبة الفضل في ارجاع سلطة الفرس لان نقل الخلافة الى علوي معناه ابقاء مركز الخلافة في خراسان لعدم رغبة اهل بغداد بمبايعة علوي . وقد اتهم نعيم بن خازم الفضل بانه يحتال « ليصير الملك كسرويا » .

(٤) خيبة امل الخراسانيين (ويقصد بهم الفرس من اهل خراسان) من الدولة العباسية فنقلوا ولاءهم الى المعارضة العلوية .

(٥) ان انتصار المأمون كان ضربة لبني العباس اخوال الامين ودحرا

---

(٣٢) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ١٩٤ .

(٣٣) Gabrieli, op. cit. p. 31.

عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول بغداد ١٩٤٥ ص ٢٠٨ . — كذلك :
Hamdi, The Pro-Alid... B. C. A. S. vd, 1956

لاما'هم ففقد المامون تأييدهم ولذلك اراد ان يكسب ثقة وتأييد الفرع الهاشمي الاخر وهو الفرع العلوي .

على ان الروايات التاريخية لا يتوقع منها ان تضع اللوم كل اللوم على الخليفة صاحب السلطة بل لا بد ان تضعه على الفضل الذي سقط وهوى من عليائه ... ولعلنا نستطيع ان نذكر التهم العديدة التي كالها الرواة لابي مسلم الخراساني وللبرامكة بعد نكبتهم ... ويؤكد المستشرق كبريللي ذلك ويشير اولا الى السرعة واليسر الذي استطاع بهما الخليفة ان يتخلص من الفضل بن سهل واعوانه ولذلك فالخطة من بنات افكار المامون قبل الفضل بن سهل . وثانيا الى تصميمه في التخلص من الرضا دون كبير عناء . وثالثا لم يستبدل المامون شعار الخضرة حتى دخل بغداد وتمركز فيها وبعد توسلات طاهر بن الحسين والاميرة زينب . ويعتبر كبريللي كل ذلك دلائل على شخصية المامون واستبداده برايه . ويستطرد كبريللي فيقول بان الظروف السياسية التي احاطت بالمامون اثناء الحرب الاهلية وبعدها ثم ان عواطف المامون تجاه العلويين ورغبته في احياء حكم العدل الذي وعد به اذا تسلم السلطة لعبت دورها في قرار الخليفة بالبيعة للرضا .

ولعل الظروف السياسية لعبت دورا اكبر من الميول العاطفية عند الخليفة فلم ينفك العلويون واتباعهم من الثورة ضد حكم المامون العباسي (٣٤) ولقد اراد المامون الذي مل حالة القلق السياسي بعد الحرب الاهلية أن يبدأ فترة من الاستقرار والتوفيق بين السلطة والمعارضة فاختار عليا وسماه (الرضا) وهو نفس اللقب الذي كان الثوار العلويون يتخذونه وتبنى الشعار الاخضر وهو شعار الجنة واهلها ليرمز الى المحبة والتسامح والتوفيق . وهذا يدل على الطبيعة السياسية للعمل الذي اقدم عليه المامون ولعل هذا يذكرنا بسياسة التوفيق والمرونة التي حاول الخليفة المهدي اتباعها مع العلويين كذلك .

هذا من جهة ولكن من الجهة الثانية فاننا نرى انه من الصعب

---

(٣٤) لقد قامت عدة ثورات علوية في العراق والحجاز واليمن اهمها ثورة ابي السرايا . انظر : الدكتور فاروق عمر : سياسة المامون تجاه العلويين (القسم الاول) ، مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الثاني ، ١٩٧٢ .

ان يصل ميل الخليفة وتعاطفه من العلويين الى الحد الذي يحول به الخلافة الى شخصية علوية ، فالتعاطف الذي خطط له المأمون لا يتعدى حدود المعنويات الى الاعمال والافعال . فالمأمون كافح في سبيل الحصول على الخلافة ولا يمكن ان يعطيها هدية سائغة للعلويين هذا سياسيا اما عقائديا فالمأمون معتزلي ولا يمكن ان يتفق مع الشيعة الحسينية حول الخلافة .
والذلك فاننا نرى بان حركة المأمون ببيعة الرضا كانت تهدف ظاهريا التعاطف والتوفيق وعمليا ليست الا مناورة سياسية بارعة لكشف بعض الشخصيات العلوية واظهار عزوفها عن الخوض في غمار السياسة ومعترك الحياة ، ففي رواية ان المأمون ناقش الرضا قائلا :

ـ بم تدعون هذا الامر ؟

ـ قال : بقرابة علي من النبي (ص) وبقرابة فاطمة (رضي) .

ـ قال المأمون : ان لم يكن هاهنا شيء الا القرابة ففي خلف رسول الله (ص) من أهل بيته من هو اقرب اليه من علي ومن هو في القرابة مثله . وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلي في هذا الامر حق وهما حيان . واذا كان الامر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا وهما حيان صحيحان واستولى على ما لا يجب له (انظر كذلك نبيلة عبد المنعم ، نشأة الشيعة ص ٢٧٣) .

ويورد القفطي في (تاريخ الحكماء طبعة برلين ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢) :

« كان المأمون قد راى آل امير المؤمنين علي بن أبي طالب متخشين مختنعين من خوف المنصور ومن جاء بعده من بني العباس ، ورأى العوام قد خفت عنهم امورهم بالاختفاء فظنوا بهم ما يظنونه بالانبياء ويتفوهون في صنعتهم بما يخرجهم عن الشريعة من التغالي فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل ثم فكر انه اذا فعل هذا بالعوام زادهم اغراء فنظر في هذا الامر نظرا دقيقا وقال لو ظهروا للناس ورأوا فسق الفاسق منهم وظلم الظالم لسقطوا من أعينهم ولانقلب شكرهم لهم ذما ثم قال اذا ـ أمرناهم بالظهور خافوا واستتروا وظنوا بنا سوءا وانما الراي ان نقدم احدهم ويظهر لهم اماما . فاذا رأوا هذا انسوا واظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة عند الآدميين فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء فاذا تحقق ذلك ازلت ما اقمته ورددت الامر الى حالته الاولى » .

وقوي هذا الراي عنده وكتم باطنه عن خواصه واظهر للفضل بن سهل انه يريد ان يقيم اماما من آل امير المؤمنين علي صلوات الله عليه وفكر هو

وهو فيمن يصلح فوقع اجماعهما على الرضا فأخذ الفضل بن سهل في تقرير ذلك وترتيبه وهو لا يعلم باطن الامر وأخذ في اختيار وقت لبيعة الرضا فاختار طالع السرطان وفيه المشتري .

قال عبدالله بن سهل بن نوبخت هذا اردت ان اعلم نية المأمون في هذه البيعة وان باطنه كظاهره ام لا لان الامر عظيم فأنفدت اليه قبل العقد رقعة مع ثقة من خدمه وكان يجيء في مهم امره وقلت له ان هذه البيعة في الوقت الذي اختاره ذو الرئاستين لن تتم بل تنقضي لان المشتري وان كان في الطالع في بيت شرفه فان السرطان برج متقلب ... وهو نحس وقد اغفل ذو الرئاستين هذا .

فكتب الي قد وقفت على ذلك احسن الله جزاك فخذ كل الحذر ان تنبه ذا الرئاستين على هذا فانه ان زال عن رأيه علمت انك انت المنبه له ، فهم ذو الرئاستين بذلك فما زلت أصوب رأيه الاول خوفا من اتهام المأمون لي وما أغفلت أمري حتى مضى امر البيعة فسلمت من المأمون » .

وتؤكد روايات اخرى في مصادر شيعية امامية نفس الهدف الذي كان يسعى اليه المأمون الا وهو كشف العلويين عن طريق جعلهم اكثر ايجابية ومشاركة في الحياة السياسية ويقول الصدوق في (عيون أخبار الرضا جـ ٢ ص ٢٣٩) :

« ان المأمون جعل له (الرضا) ولاية العهد من بعده ليرى الناس انه راغب في الدنيا فيسقط محله في نفوسهم » .

وفي رواية أخرى في نفس الكتاب ان المأمون كان يعتقد ان الرضا يدعو الى نفسه في السر فأراد ان يجعله ولي عهده ليعترف بالخلافة والملك له « وليعتقد فيه المفتونون به انه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير وان هذا الامر لهم (العباسيين) دونه . جـ ٢ ص ١٧٠ » .

وفي كتاب التوحيد يقول الصدوق (ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠) :

« ان المأمون كان يجلب على الرضا متكلمي الفرق والاهواء المتصلة وكل من سمع به حرصا على انقطاع الرضا عن الحجة مع واحد منهم وذلك حدا منه له ... » .

ولا ينكر أثر المبالغة في هذه الروايات خاصة وان المصادر الشيعية تحاول دوما تصوير العلويين وكأنهم ضحايا مظلومون من قبل الخلفاء الظالمين ، وانهم كانوا مجبرين مضطرين فيما اتخذوه من قرارات فيما يخص علاقاتهم بالسلطة . ومع ذلك كله فان رواية القفطي والرواياتالاخرى

تدل دلالة واضحة على ان الخليفة المأمون حاول ابراز العلويين واظهارهم الى الحياة العامة وعلى المسرح السياسي الذي يتقبل الاخذ والرد والجدل واظهار المواقف والآراء ثم العدول عنها أو مناقضتها وعندئذ سيتغير راي الناس وخاصة الشيعة العلوية في العلويين . وذلك لان استتار العلويين او ندرة ظهورهم ادى الى قلة معرفة الناس بـآرائهم ومواقفهم مما جعلهم يعدونهم فوق مستوى البشر ويعتقدون فيهم آراء ـ متطرفة غالية . وبمعنى اخر فان اشتراك العلويين في المعترك السياسي وأمور الدولة والمجتمع بصورة اكبر سيظهرهم للناس ويجعلهم يتعاملون معهم وسيرى الناس ان العلويين مثل غيرهم لهم محاسنهم ومساوئهم ومنهم من يخطىء ومنهم من يصيب وعندئذ ستضعف الشيعة العلوية ويقل خطرها ـ بنظر المأمون ـ على الدولة العباسية .

اما دور الفضل بن سهل فقد ايد المأمون في البيعة واخفى عن الخليفة رد الفعل المعادي في بغداد للبيعة قائلا ان ابراهيم بن المهدي الذي بويع خليفة في العراق لم يكن الا ممثلا عنه هناك (٣٥) . ولكن علاقة الفضل بالرضا لم تكن ودية بل ان الرضا اظهر امتعاضه من تدابير الفضل وانه هو الذي اخبر الخليفة في نهاية الامر بحقيقة الوضع في العراق . ولذلك فان تأييد الفضل لسياسة المأمون كانت منبثقة عن طموحه العريض ورغبته في الحفاظ على سلطاته الواسعة في خراسان والعراق معا .

ولم يكن علي الرضا ذا طموح سياسي كبير فلقد ولد في المدينة سنة ١٤٨ هـ من أم ولد نوبية وبلغ عمره ٥٣ سنة دون ان يلعب دورا في السياسة على أن شهرته في ميادين العلم والورع كانت واسعة وقد امتنع الرضا اول الامر عن قبول العهد حيث تشير الروايات (٣٦) الى انه (كان معرضا عن الدنيا ولولا خوفه من المأمون لما اجاب الى ولاية العهد) . وانه قال (اني قد اجبت امتثالا للامر وان كان الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك) . وهذا ربما يفسر رواية الاصفهاني الذي يؤكد ان المأمون

---

(٣٥) الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٣١٣ . ـ الطبري ج ٣ ص ١٠٠٦ فما بعد . العيون والحدائق ص ٣٥٣ .

(٣٦) انظر : مقاتل الطالبيين ص ١٩٤ ـ ١٩٥ . ـ ابن الجوزي مرآة (مخطوطة في باريس) رقم ar. 1505 ص ٤٠ ب . ـ ابن الطقطقي الفخري ص ٢٩٩ .

هدد (٣٧) علي الرضا بوجوب قبول البيعة ، وقد بايع كل العباسيين الموجودين في مرو لولي العهد الجديد وكان اولهم العباس بن المأمون . وقد كتب الخليفة نفسه نص كتاب البيعة (٣٨) ثم رد علي الرضا على الكتاب (٣٩) مبديا قبوله لولاية العهد واشهد على ذلك الشهود وهم أمير المؤمنين المأمون ثم الفضل بن سهل ، سهل بن الفضل ، يحيى بن اكثم ، عبدالله بن طاهر ، ثمامة بن أشرس ، بشر بن المعتمر ، حماد بن النعمان . وامر الخليفة ان يقرأ نص البيعة في المدينة قرب قبر الرسول (ص) بين الروضة والمنبر بحضور الهاشميين والجند .

والملاحظ في نص كتاب الخليفة انه لم يشر الى نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين ذلك الامل الذي كافح العلويون من أجله بالثورة حينا وبالحجج والادلة النظرية حينا اخر بل اشار فقط الى فضل علي الرضا وورعه (وارجأ للقيام بأمر الله وحقه) (٤٠) . ولكن نص خطاب علي الرضا يشير بوضوح الى حقوق العلويين التي اعترف بها المأمون والى التئام بني هاشم (أهل البيت) بعد انقسامهم وتنازعهم . ولكن هذه الوثائق الرسمية لا تمس مسألة ولاية العهد بعد علي الرضا وهي بطبيعة الحال مسألة حساسة جدا . والطريف ان البلعمي يعتبر ان خليفة علي الرضا سيكون بطبيعة الحال علويا لا عباسيا وستبقى الخلافة بأيدي العلويين (٤١) . كما وان احدى الروايات في تاريخي الفي تشكر الله على هذه المنة الكبيرة فقد باتت الخلافة اخر الامر علوية (الحمد لله والمنة له اخر الامر منصب خلافت در مركز خود ترار كرفت از مدايني كه ازمحبان صميمي اهل بيت است » (٤٢) .

والواقع فلقد كان من الصعب انتقال الخلافة الى عباسي اذا ما تلقفها

---

(٣٧) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ١٩٤ فما بعد .

(٣٨) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٩٩ . ـ ابن الجوزي ، مرآة .. (مخطوطة) القسم المرقم ar. 5903. ص ١٤٩ فمابعد . ـ القلقشندي، صبح الاعشى ج ٩ ص٣٦٢ـ٣٦٦.

(٣٩) ابن الجوزي op. cit. ص ١٥١ فما بعد ..

(٤٠) الطبري ، op. cit, .. ج ٣ ص ١٠٠٩ فما بعد .

(٤١) البلعمي ، op. cit. ج ٤ ص ٥٠٩ .

(٤٢) تاريخي الفي ، ص ٢٧٥ ب (مخطوطة في المتحف البريطاني Add,16681) .

علوي ، ذلك لان العلويين سيحرصون على بقائها في نسلهم وهـذا شيء طبيعي عند الاسر الحاكمة ، رغم ان المأمون حاول ان يوثق الروابط بـين كلا البيتين الهاشميين بان زوج احدى بناته للرضا والاخرى لابن الرضـا محمد . ومهما يكن من امر فان المؤتمن وهو ثالث أبناء الرشيد والذي كان ثالث ولاة العهد حسب اوامر الرشيد ، أصبح في طي النسيان (٤٣) . وبات الشيعة العلوية يسمعون لاول مرة منـذ وفاة علي بن ابي طالب (رضي) اسم أحد أحفاده يذكر في خطبة الجمعة باعتباره وليا للعهد .

صـدى البيعـة :

لم يكن ما قام به الخليفة في أمر البيعة أمرا يسيرا وذلك لانـه قلب السياسة العباسية السابقة رأسا على عقب مما كان له صداه في الاقاليم المختلفة . وكان من الطبيعي ان يطيع ولاة الاقاليم اوامر الخليفة ويذعنوا لها وكان من بينهم الحسن بن سهل والي بغداد ، الا والي البصرة اسماعيل ابن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي فقد رفض البيعة قائلا « هـذا نقض لله وله (الخليفة) » وقد اعتقل ونفي الى جرجان (٤٤) .

وقد هلل أهل قم وهم في غالبيتهم من شيعة العلويين للقرار (٤٥) . ولكن أهل بغداد لم يرضهم هذا القرار . وقالوا « .. لا نبايع ولا نلبس الخضرة ولا نخرج هذا الامر من ولد العباس » (٤٦) . ورغم ان المأمون قد جعل مقره مرو فان الكثير من العباسيين كانوا يعيشون في بغداد عاصمة المنصور المهجورة كما كان فيها كتلة كبيرة مؤيدة للعباسيين . وبدأت حركة المعارضة للبيعة في بغداد بالقاء اللوم على آل سهل ولكنها ما لبثت ان تحولت

---

(٤٣) يقول خليفة بن خياط ان المأمون بايع للرضا وخلع القاسم بن هارون في نفس الوقت (تاريخ ، طبعة بغداد ، ص ٥٠٨) .

(٤٤) اليعقوبي op. cit. جـ ٢ ص ٥٤٥ .

(٤٥) الاصفهاني ، الاغاني جـ ١٨ ص ٢٩ .

(٤٦) الطبري ، op. cit. جـ ٣ ص ١٠٠٥ فما بعد . ــ الازدي ، تاريخ الموصل ص ٢٤٢. تاريخ خليفة بن خياط ص ٥٠٨ . ــ العيون والحدائق ص ٣٥٤ .

الى شخص الخليفة حيث رشحوا خليفة جديدا هو (المنصور بن المهدي) الذي رفض تقلد الخلافة خوفا او ولاء للمأمون بل اعتبر نفسه ممثلا للخليفة الشرعي (٤٧) . لكن الامر كان اخطر من ذلك فالبيعة كانت تعني نقل السلطة الى بيت اخر وبكلمة اخرى فان هذا الاجراء مس طموح العباسيين وهدد مصالحهم للخطر . وفي يوم الجمعة أعلن الناس في المسجد الجامع بيعتهم (لابراهيم بن المهدي) خليفة وتلقب بلقب (المبارك) في ٥ محرم سنة ٢١٢ هـ / ٨١٧ م وبايعه كل الامراء العباسيين وأهل بغداد . وهكذا فقد قطع أهل بغداد كل علاقة بالمأمون وادارته ويشير الطبري الى انهم انما فعلوا ذلك :

« غضبا منهم على المأمون حين أراد اخراج الخلافة من ولد العباس الى ولد علي ولترك لباس آبائه من السواد ولبسه الخضرة » (٤٨) .

فقد ترك ابراهيم بن المهدي بغداد الى المدائن حيث معسكر الجند لاعداده للحرب المقبلة وللدفاع عن حق العباسيين في الخلافة ، وقد اعطى الجند عطاء نقديا اضافة الى مقادير عينية من الحنطة والشعير . أما في بغداد فبقي العباس واسحق بن موسى الهادي . وقد استمرت المقاومة في بغداد حتى ٢٠٣ هـ على أن شعار الدولة كان في هذه المرة الاخضر بينما كان شعار المعارضة الاسود . ورغم ان الكوفة سقطت في يد الجيش الموالي للمأمون واصبح العباس بن موسى بن جعفر واليا عليها ودعا أهل الكوفة للانضمام اليه والبيعة للمأمون والرضا ولكنهم لم يتقبلوا دعواه ودعوه الى الدعوة لنفسه او لعلوي اخر (٤٩) . وبينما كانت الكوفة على هذا الحال تقدم جند ابراهيم بن المهدي رافعين شعار « ابراهيم يا منصور لا طاعة للمأمون » واستطاعوا احتلال الكوفة وهرب العباس منها .

على ان الثوار لم يستطيعوا احتلال واسط واندحروا منسحبين الى بغداد التي بقيت تحت سيطرتهم حتى سقطت على يد المأمون .

أن أهم ظاهرة تلفت النظر في حوادث بغداد خلال هذه الفترة هي

---

(٤٧) العيون والحدائق ، ص ٣٥٢ . ـ الطبري ، جـ ٣ ص ١٠٠٥ فما بعد .

(٤٨) الطبري ,op. cit . ـ الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٣٤٢ . وكان يسمى ابن شكله ، انظر : الازدي .Ibid ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، جـ ١ ص ١٠ طبعة مصر ١٨٥٨م .

(٤٩) الطبري ، جـ ٣ ص ١٠١٧ ، ١٠٢٠ .

حركة المتطوعة (٥٠) التي نظمها سهل بن سلامة سنة ٢٠٢ هـ وهدفها في بداية الامر لم يكن سياسيا بل لحفظ النظام والاداب والامن العام في بغداد . وقد برزت هذه الحركة كنتيجة لفقدان سلطة الحكومة بعد قرار المأمون البقاء في مرو . وقد زاد نفوذها تدريجيا حتى اصبحت سلطة داخل سلطة . يقول الطبري : « فكان كل من اجابه (سهل بن سلامة) قد عمل على باب داره برجا وآجر ونصب عليه السلاح والمصاحف حتى بلغوا قرب باب الشام سوى من اجابه من اهل الكرخ وسائر الناس » ولكن هذه الحركة ضربت حيث اعتقل زعيمها وتبعثر انصارها وسجن بعضهم بأمر من ابراهيم بن المهدي .

وفي أوائل سنة ٢٠٣ هـ كان العباسيون واهل بغداد لا يزالون صامدين امام سلطة المأمون رغم ان الخليفة بعث اليهم برسالة يدعوهم فيها الى المصالحة والسلم فانهم رفضوا ذلك مما دعا الخليفة الى التحرك نحو بغداد وكان على رأس الجند حميد الطوسي وعلي بن هشام اللذان حاصرا بغداد حتى استسلمت في ١٧ ذي الحجة سنة ٢٠٣ هـ بعد سنة و ١١ شهرا من التحدي لسلطة الخليفة العباسي وهرب ابراهيم بن المهدي مع بعض اعوانه . على ان عاصمة المنصور حققت هدفها الرئيسي فعادت عاصمة للمأمون وعاد العراق اقليما مركزيا للدولة .

الخاتمـــة :

انه من الصعب علينا ان نضع مسؤولية البيعة لعلي الرضا بولاية العهد على عاتق الفضل بن سهل او على عاتق الخليفة المأمون . ان كثرة الروايات المتيسرة لدينا وتناقضها وقدم الزمن بيننا وبين الشخصيات التي لعبت دورها في هذه الحوادث يزيد المشكلة تعقيدا فنحن بما لدينا من روايات لا نستقرىء الا بقدر محدود ما يختلج في نفوس وعقول الخليفة والمحيطين به . على اننا نستطيع ان نقرر بانه لولا رغبة المأمون وتعاطفه لما حصلت البيعة وانه هو لا الفضل بن سهل لعب الدور الاول والرئيسي فيها وقد جاءت هذه السياسة موافقة لخطط الفضل في السيطرة وازدياد النفوذ والقضاء على المنافسين له امثال طاهر بن الحسين وهرثمة

---

(٥٠) الطبري ، جـ ٣ ص ١٠٢٣ .

ابن اعين وغيرهما فأيدها وحببها الى المأمون ولكنه ما لبث ان وقع هو ضحية لها .

ان واقع الحوادث وشخصية المأمون لا يمكن ان تسمح للوزير الفضل ابن سهل باتخاذ قرار خطير كهذا . ونحن نعتقد بأن سقوطه واغتياله جعل الرواة يضعون على عاتقه كل مساوىء سياسة المأمون .

ان الفضل بن سهل اعتقد بأن تأييد سياسة المأمون سيحفظ له منصبه كوزير ونفوذه على المشرق كما وانه امل بان اخاه الحسن سيستطيع بسهولة اخماد الثورة في العراق والقضاء على القادة الطموحين والامراء العباسيين المتمردين دون ان يكون هناك حاجة لاخبار الخليفة بذلك . وهكذا تبقى السلطة بيد آل سهل وهو هدف الفضل الاول .

على ان الذي اربك خطط الفضل بن سهل هو علي الرضا نفسه فان تقاه وورعه وقلة طموحه جعله على طرفي نقيض مع الفضل . وكان الرضا بسبب وازع من ضميره او بتأثير رجالات البلاط المعادين للفضل الذين أدركوا ان الرضا هوالرجل ألوحيد الذي يستطيع ان يخبر الخليفة عن حقيقة الوضع في العراق ، هو الذي فتح عيون الخليفة على الاضطرابات وعدم الاستقرار في الدولة . وقد فوجىء المأمون واستفسر من رجالات بلاطه مثل يحيى بن معاذ ، عبد العزيز بن عمران ، علي بن ابي سعيد وخلف المصري ولكنهم جميعا رفضوا الافصاح بشيء قبل ان يعطيهم الخليفة ضمانا خطيا على محافظته عليهم من عقاب ذي الرئاستين (الفضل) (٥١) . وعندئذ اكدوا للمأمون ما ذكره ولي العهد الرضا من سوء الحالة في العراق وتفاقم الاضطرابات ونددوا بسياسة العزلة التي اتبعها الفضل بن سهل واشاروا الى اغتيال القائد هرثمة بن أعين الذي لم يرتكب ذنبا سوى محاولته حماية الدولة والخليفة من سوء تدبير الفضل . وانتقدوا نفي طاهر بن الحسين في الرقة ، في الوقت الذي كان بالامكان الاستفادة من خبرته في تهدئة الحالة في العراق خاصة وانه يتمتع بمقدرة عسكرية وكفاءة ادارية تفوق خبرة الحسن بن سهل وكفاءته . كما انهم حرضوا الخليفة ، بصورة غير مباشرة، على التخلي عن الفضل وقتله .

لقد قرر المأمون العودة الى العراق بعد سماعه بالموقف واستطاع

---

(٥١) الطبري ، ج ٣ ص ١٠٢٦ . ــ اليعقوبي ، ج ٢ ص ٥٤٩ .

التخلص من الفضل بن سهل حيث قتل في الحمام عن عمر يناهز السبعين. ولكن الخليفة اظهر امتعاضه من قتل الفضل (٥٢) وقرب اخاه الحسن وجعله وزيرا ليغطي حادثة قتله ، كما وانه تزوج ابنة الحسن بن سهل . ورغم ان الفضل بن سهل أثار الكثير من الكراهية بسبب حبه للسلطة وتدابيره ولكن وفاته أثارت شجون بعض الشعراء أمثال دعبل الخزاعي ومسلم بن الوليد .

كانت سفرة المأمون الى بغداد سفرة بطيئة حيث كان يتوقف كثيرا في المدن التي على الطريق ويحاول التعرف على احوالها وتخفيف الخراج عنها ليكسب رضى الناس . وحين توقف في طوس تخلص من علي الرضا حيث مات على الاكثر بالسم (٥٣) ودفن قرب قبر هارون الرشيد وفي ذلك قال شاعر علوي :

قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر

وقد دعا المأمون الامراء العباسيين واهل بغداد بعد وفاة الرضا الى الطاعة ولكنهم لم يجيبوه الى ذلك . ولكنه حين وصل حلوان وصلته الانباء عن اختفاء ابراهيم بن المهدي وعودة الاحوال الى طبيعتها في بغداد ، خاصة وانه لم يعد هناك دافع للمقاومة بعد ان قتل الفضل بن سهل اولا وانتهى أمر البيعة للرضا ثانيا وعاد المأمون الى العاصمة العباسية بغداد ثالثا . ومع ذلك فان كبرياء الخليفة واعتداده بنفسه وكرامته لم تسمح له بالتراجع عن سياسته بصورة كلية . فقد بقي الاخضر شعار العباسيين بعد دخول المأمون بغداد في ٢٢ صفر سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م .

ان عطف المأمون تجاه العلويين لم ينته كليا فقد اصدر منشورا سنة ٢١٢ هـ ذكر فيه الامام علي (رض) مشيرا الى انه « خير خلفاء الله بعد

---

(٥٢) رغم ان المأمون دبر خطة قتل الفضل بن سهل الا انه امر بالقبض على قتلته الذين فروا وجعل لمن يحضرهم عشرة الاف دينار وحين احضروا قالوا له : « انت امرتنا بقتله » فضرب اعناقهم . انظر الطبري op. cit. . – الازدي ، ص ٣٤٣ .

(٥٣) اليعقوبي ، جـ ٢ ص ٥٥١ . – يقول ابن الاثير : وقيل اسمه المأمون وهذا عندي بعيد ، (الكامل ، جـ ٦ ص ٢٤٨) .

رسول الله صلعم واولى الناس بالخلافة » (٥٤) كما وانه عزم على ذم معاوية واصدر منشورا كاد ان يوزعه على الاقاليم ذكر فيه « برئت الذمة من احد من الناس ذكر معاوية بخير او قدمه على اصحاب رسول الله (ص) » (٥٥) .

ان بيعة المأمون بولاية العهد لعلي الرضا ستبقى ظاهرة سياسية فريدة في تاريخ العصر العباسي الاول كما وان هذه الظاهرة تعكس شخصية المأمون ذاتها والتناقض الواضح فيها بين سلوكه واخلاقيته ... سلوكه الذي يهدف الى ضمان مصلحته ومصلحة العباسيين وأخلاقه وعواطفه الميالة الى انصاف العلويين . وسواء كانت رواية الصفدي (٥٦) موثوقة أم موضوعة فانها تعبر بصدق عن الموقف حين تشير الى اخر حديث بين المأمون والرضا حيث قال الاول للثاني :

ما توصيني ؟؟

فأجابه : أوصيك ان لا تعطي احدا ما تندم عليه .

---

(٥٤) انظر : الطبري ، ج ٣ ص ١٠٩٩ « علي افضل الناس بعد رسول الله (ص) » . قارن: ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، طبعة القاهرة ١٢٩٣ ج ٣ ص ٤٢ فما بعد .

(٥٥) ابن طيفور ، تاريخ بغداد ، ص ٩١ . المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٧ ص ٩٠ – ٩٣.

(٥٦) الصفدي ، مخطوطة في المتحف البريطاني (الوافي بالوفيات) رقم or 6587 ص ٢١٥ أ.

موقف الموصل من العباسيين الأوائل

لمحات من تاريخ الموصل في العصر العباسي الاول

(١٣٢ هـ / ٧٤٩ م - ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)

د. فاروق عمر فوزي

مقدمـــة :

يقرأ الناس التاريخ ليستخرجوا العبر والدروس مما جرى فيه ، ذلك ان هدف الصناعة التاريخية في عصرنا الحاضر هو استخلاص القيـم الرمزية الفاعلة والدائمة من الظـاهرة التاريخية . والمعروف ان تاريـخ المدن يحوي تراثا زاخرا من المثل الحية التي تنير الطريق امام أجيالنـا الحاضرة لما تمده من عزيمة في تكوين الوجدان القومي وشحذ الهمم واذكاء العزائم .

والموصل مدينة لها مكانتها في تاريخنا العربي ، فقد برز عبر تاريخها العديد مـن أبنائها في الميادين السياسيـة والعسكرية والحضاريـة . وسنستعرض في بحثنا هذا حقبة قصيرة من تاريخ هذه المدينة العريقة وهي

فترة من فترات التاريخ العصيبة ، يتضح فيها الولاء وتتبلور الميول وتمتحن العزائم ... انها فترة انتقال السلطة من يد الى يد اثر ثورة عارمة هي الثورة العباسية .

موقف الموصل من الثورة العباسية

لقد كان اقليم الجزيرة الفراتية ومن ضمنها مدينة الموصل في حالة من الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار في أواخر عهد الامويين ، وقد شاركت القبائل الموصلية في الصراع ضد خلافة مروان بسبب سياسته القبلية التي تعصبت للقبائل القيسية على حساب القبائل اليمانية . ورغم ان الكثير من شيوخ القبائل وزعمائها في الموصل واطرافها لم يكونوا خوارج في عقيدتهم الا انهم انضموا الى الحركات الخارجية كحركة الضحاك الخيبري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م وشيبان اليشكري ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م ضد مروان . واكثر من ذلك فقد اشترك الخوارج من اهل الموصل في حركات خارجية ضد الامويين خارج اقليم الجزيرة فقد اشترك بعض شيوخ القبائل الموصلية مع ابي حمزة الخارجي حين ثار باليمن وقاتلوا معه في « وقعة قدير » بالمدينة سنة ١٣٠ هـ / سنة ٧٤٧ / سنة ٧٤٨ م (١) وحين قامت الثورة العباسية على أكتاف القبائل اليمانية والربعية خاصة مبتدئة في خراسان ثم شملت بقية الاقاليم حيث دخلت الشيعة العباسية الكوفة سنة ١٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ م حيث بويع العباس خليفة للدولة الجديدة (٢) . كان اول عمل واجهته الدولة الجديدة هو مجابهة مروان بن محمد (٣) الذي خندق في موقع حصين قرب الزاب الكبير حيث حدثت معركة كشاف (٤) التي دامت عشرة ايام ارتكب اثناءها مروان الاموي خطأ استراتيجيا وذلك بعبوره الى الساحل الايسر من الزاب وفقد بذلك موقعه

---

(١) ابو زكريا الازدي ، تاريخ الموصل ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ٨٠ ص ١١٣ .

(٢) مؤلف مجهول ، اخبار العباس وولده ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٤١٠ فما بعد .

(٣) F. Omar The Abbasid Caliphate, Baghdad 1969, P. 121.

(٤) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ١٣٠ .

العسكري الحصين مما أدى الى اندحاره في المعركة واضطراره الى الانسحاب باتجـاه الموصل التي كان قد اتخذها قاعدة له وخلف فيهـا بيت المـال والخزائن . ولكن عامل الموصل وقبائلها لم يفتحوا له ابواب المدينة منكرين عليه الهروب مدعين ان الخليفة مروان لا يهرب وانه ليس بمروان الذي يعرفونه . مما اضطر مروان الى الانسحاب باتجاه حران ثم الشام (٥) .

ولم يستطع مروان ان يبقى في دمشق طويلا حيث انقسم أهلها بين مؤيد ومعارض له فترك المدينة متجها نحو فلسطين ثـم مصر . وكانت الشيعة العباسية تتبعـة بقيـادة عبد الصمد بـن علي عـم الخليفـة الذي كان على مقدمتـه عامـر بن اسماعيـل المسلي الموصلي مع كتيبـة من الخيالة تسمى « الموصلية » . وقد فاجأ عامر الموصلي مروان الاموي وهو مختبيء باحدى الكنائس في بوصير بصعيد مصر وقتله في تموز سنة ٧٥٠ م / ١٣٣ هـ (٦) . اما ابنا مروان عبدالله وعبيدالله فقد هربا الى بلاد النوبة جنوبي مصر .

لقد لعبت الفرسان الموصلية وعلى راسها المسلي دورا بارزا في انهاء حكم مروان . وقد فتحت مدينة الموصل ، التي امتنعت عن أيواء مروان ، فتحت أبوابها للشيعة العباسية بقيادة عبدالله بن علي العباسي واستقبلوهم بالتهليل والترحيب ولبس هشام بن عمرو الزهيري والي الموصل السواد شعار العباسيين للدلالة على ولائهم للدولة الجديدة ، وتسلم عبدالله بن علي خزائن مروان وأمواله وامتعته (٧) .

ولعل السبب الاول الذي دفع الموصل لهذا الموقف العدائي من مروان هو سياسته القبلية المنحازة الى القيسية . فقد اعتمد مروان على زعماء القيسية في المهام الادارية والعسكرية مما اثار عليه اليمانية ودفعهم للعمل ضده . الا ان كراهية اليمانية لمروان لا تعني عداءهم للخلافة الاموية ككل. فالمعروف ان القبائل اليمانية في بلاد الشام كانت الدعامة القوية للسلطة الاموية عنـد تأسيسها . فاليمانيون في الشام والجزيرة كانوا يريـدون التخلص من مروان ولا يهدفون الى تقويض الخلافة الاموية . والجدير

---

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٦) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٨٢ ـ خليفة بن خياط ، تاريخ جـ ٢ ص ٤٢٨ .

(٧) الازدي المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

بالذكر ان اليمانية كانوا في تلك الفترة يكونون غالبية سكان مدينة الموصل ذاتهـا .

اما السبب الثاني لمعارضة اهل الموصل لسياسة مروان فهو الحروب العنيفة التي خاضها مروان في أواخر سني خلافته ضد الخوارج . وقد تركت تلك الحروب وما رافقها من فوضى وعدم استقرار آثارها السيئـة سياسيا واقتصاديا على المدينة واهلها الذين عاشوا في قلق دائم على انفسهم وموارد عيشهم وتجارتهم .

وربما اضفنا سببا ثالثا لعب ويلعب دورا فعالا في المعترك السياسي بين المحاور والتكتلات المتنافسة على السلطة الآ وهو « تبديل الولاء » . فالكثير من شيوخ القبائل ممن كانوا يدينون بالولاء للامويين أدركوا بـأن كيان الامويين أصبح من الهزالة والتدهور بحيث قويت الاعتقادات بزواله لا محالة ، فكان من المناسب لهم ان لا يؤيدوا سلطة زائلة ضد سلطة قوية جديدة . وعلى حد قول أحدهم ان دولة الامويين دولة مدبرة بينما امر العباسيين مقبـلٌ يبشر بالخير العميم (٨) وقد فسر اسحق العقيلي وهو احد الشخصيات الجزرية البارزة انهيار الامويين السريع بقوله للمنصور :

« ان أمركم جديد والناس بين راج وهايب » (٩) .

كما برر زياد بن صالح الحارثي عدم دفاعه عن الامويين بقوله انه لا يرى لماذا يقف مدافعا ومعرضا نفسه للمخاطر من اجل سلطة ضعيفـة متهاوية (١٠) وبعد قيام الخلافة العباسية بقيت كل من الجزيرة والشام موضعا للاضطرابات ومستودعا للقلاقل المعادية للعباسيين . ومن اجـل الحد من ذلك اتبع العباسيون اجراءات متنوعة منها : (١١)

اولا ــ تعيين ولاة قديرين اغلبهم من رجال الدعوة العباسية او من البيت العباسي وارسال كتائب من الشيعة الخراسانية للمرابطة في الموصل او حران او دمشق وغيرها .

ثانيا ــ محاولة كسب ود القبائل الجزرية والشامية وذلك باصطناع

---

(٨) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٩) البلاذري ، انساب الاشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩١ ب .

(١٠) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٦٩ .

(١١) الدكتور فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، الجزء الاول ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٧٦ .

شيوخها واكرامهم وتعيين بعضهم « صحابة » للخليفة في البلاط العباسي. كما حدث مثلا لاسحق بن مسلم العقيلي .

ثالثا ـ قيام الخلفاء العباسيين كالمنصور والمهدي والهادي والرشيد والمامون بعدة زيارات للتحري عن احوال الاقليمين والتعرف على قبائلها .

رابعا ـ انشاء قلاع وحصون عسكرية في مدن مختلفة كالموصل وحران وقنسرين . وبناء مدن جديدة في مواقع استراتيجية كالرافعة لامكان السيطرة على هذه المنطقة .

ثورة الموصل ١٣٣ هـ/٧٥٠ م :

كان محمد بن صول اول وال للعباسيين على الموصل ، ولكنه لم يكن عربيا بل مولى لقبيلة خثعم ولذلك امتعض شيوخ القبائل ولم يرضوا بهذا الاختيار ، فالامويون عودوهم بان يكون واليهم اما من رجال العرب البارزين او من البيت الاموي ، فاستغربوا متسائلين :

أيلي علينا مولى خثعم ؟؟! (١٢) .

ولم يستطع الخليفة ابو العباس أن يعالج الامر بحكمة فرغم انه استجاب لرغبة اهل الموصل فعين اخاه يحيى بن محمد العباسي لولايةالمدينة الا انه أبقى ابن صول قائدا عسكريا لرابطة الموصل .

يقول الازدي (١٣) : « وكان محمد بن صول واليا قبله (يحيى) عليها فأقام معه ، وقدم الموصل ومعه ١٢ الف فارس وراجل ، بينهم ٤ آلاف من الزنوج (١٤) ، فنزل قصر الامارة الملاصقة للمسجد الجامع وأمر محمد بن صول فنزل قصر الحر بن يوسف وهو المنقوشة ونهاه عن النزول في نفس المدينة ودخول سورها » .

لقد كان ارسال يحيى بن محمد من الاجراءات الخاطئة التي قام بها الخليفة ذلك لان يحيي لم يكن بالرجل السياسي او الاداري الكفء ، بل

---

(١٢) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(١٣) الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

(١٤) المصدر السابق ص ١٤٩ ص ١٥١ .

لم يكن معروفا بالحصافة او الشعور بالمسؤولية وتشير رواية تاريخية (١٥) ان يحيى هذا كان قد هدد أخاه ابراهيم الامام في فترة الدعوة السرية باخبار السلطات الاموية عن التنظيم السري للعباسيين اذا ماطل ابراهيم او تأخر في اعطائه ما يحتاجه من مال . كما وان ابراهيم الامام حذر شيعته من الاتصال بيحيى .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان السماح ببقاء الوالي القديم محمد ابن صول كقائد لحامية المدينة ادى الى تعقد الموقف وتطوره نحو الاسوأ . فان ابن صول الموتور اضمر شعورا بالكراهية ورغبة في الانتقام من اهـل الموصل الذين رفضوه وبدأ يحرض يحيى على اعتقال او ابعاد رجالات الموصل البارزين متهما اياهم بالولاء للامويين والشغب .

والمعروف ان ابن صول كان قد اعتقل عددا من مشايخ الموصل ثم قتلهم وتمادى في ذلك حين حرض الوالي الجديد على اعتقال عدد اخر الامر الذي ادى الى حدوث الاضطرابات فاستنكر ذلك الوالي وامر ابن صول بأن يضع السيف في الناس . فاغتنم ابن صول الفرصة الذهبية وفتك بالكثير من اهالي الموصل الذين دخلوا منازلهم وتحصنوا بها .

لقد حاول المؤرخون الاوائل ان يفسروا أسباب النفور بين الموصـل والعباسيين وأن يضعوا تبريرات للموقف الجديد الذي اتخذته الموصل ولعلنا نستطيع حصر هذه الاسباب بما يلي :

١ ــ عرفت بعض قبائل الموصل بميولها الاموية ورغـم معارضتهم لسياسة مروان المبنية على العصبية القبلية فانهم ظلوا موالين للامويين ودولتهم .

وتشير رواية الى ذلك فتقول «سبب قتلهم ميلهم الى بني أمية» (١٦) . وكذلك « وكان في أهل الموصل اذ ذاك عز ومنعة وكان البلد أمويا » (١٧). وفي رواية اخرى « كان أكبر الامر في قتل يحيى بن محمد أهل الموصل ميلهم الى بني أمية وكراهيتهم لبني العباس » (١٨) .

---

(١٥) اخبار العباس وولده ص ٢٤١ .

(١٦) الازدي ، ص ١٤٥ .

(١٧) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .

(١٨) Ibid.

٢ ـ لقد طغت العقيدة الخارجية على قبائل الجزيرة بل انها أصبحت رمزا لمعارضة الامويين في أواخر عهدهم وأصبح الثوار يدعون للمذهب الخارجي أو يجعلونه رمزا لحركاتهم سواء آمنوا به ام لم يؤمنوا بـه . ومع ذلك فقد وصفت بعض قبائل الموصل بنزعتها الخارجية كما كانت الموصل مركزا انبعثت منه بعض الحركات الخارجية فيالقرن الاول وبداية الثاني الهجريين . وتصف رواية للبلاذري (١٩) أهل الموصل بأنهم ثلاثة قطاعات اجتماعية :

اما تجار يمتهنون البيع والشراء أو خوارج ديدنهم التمرد علىالسلطة او لصوص يسرقون وينهبون . أما التجار فيرغبون بالامن والاستقرار لانهما مفتاح انتعاش تجارتهم واما الخوارج فيهدفون الى معارضة السلطة بأيـة وسيلة كانت واما اللصوص فلا ينتفعون الا بالفوضى وفقدان الامن .

٣ ـ لم يكن من طبيعة القبيلة ان تذعن لسلطة مركزية تقيدها وتنظمها فلكل قبيلة شيخها تأتمر بأمره ولم تنته هذه الميول بعد الاسلام بل كانت تظهر قوية في فترات الازمات الحادة . ولم تكن القبائل الموصلية بأحسن حالا من غيرها بل ربما كانت أعنف من غيرها وخاصة في أواخر العصر الاموي وأوائل العصر العباسي ويسمي البلاذري أهل الموصل « خزر العرب » (٢٠) وذلك لصلابتهم وليدال على ميلهم للتمرد على السلطة أيا كان نوعها .

٤ ـ ويرد السبب الشخصي الذي حمل ابن صول على تأليب الوالي الجديد على الموصليين في بعض الروايات . فقد كان أهل الموصل أهل عز ومنعة ويفخرون بكونهم فرسان العرب وصناديدها ، ولذلك رفضوا ابن صول واليا عليهم فحقد عليهم ووجد في شخصية يحيى بن محمد الضعيفة متنفسه فأقنعه بتآمرهم على السلطـة وميولهم الامويـة وقرر يحيى ان « يتغدى بأهل الموصل قبل ان يتعشوا فيه » . وتشير رواية في الازدي ان يحيى العباسي : (٢١) .

« خاف وثوب أهل الموصل به فقال لابن صول : اني لا آمن وثبة أهل

---

(١٩) البلاذري ، انساب الاشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٥ ب .

(٢٠) البلاذري ، انساب الاشراف (مخطوطة) ورقة ٧٩٩ أ .

(٢١) الازدي تاريخ الموصل ، ص ١٥٠ .

الموصل فلو بادرناهم فذاك الصواب فوجه الى وجوه منهم عـلى جهة البر والتكرمة فاذا حصلوا في يدك فاقتلهم .

على اننا لا نستطيع أن نجزم بأن سببا واحدا من هذه الاسباب كان الدافع الاول والاهم الذي عكر صفو العلاقات بين الوالي الجديد واهـل الموصل . صحيح ان الجزيرة عامة وصفت بأنها حرورية ولكن الموصل في القرنين الاولين للهجرة لم تنعت بكونها خارجية رغم انها حاربت مع الخوارج بعناد ضد مروان حتى حلف بقتل أهلها جميعا (٢٢) . والمعروف أن المجتمع الموصلي مجتمع عربي عريق يتكون من قطاعات قبلية مختلفة منها اليمانية ومنها الربعية ومنها المضرية . وكان لكل قطاع ولاء يختلف عن الاخر ولا شك فان بعضها كان امويا او خارجيا او عباسيا او حياديا لا ولاء له . وقـد ضمرت هذه الميول في فترة الثورة العباسية ، وهي فترة ترقب تثار فيها الامال والاماني ، لكنها ما لبثت ان ظهرت بعد فترة وجيزة مـن تأسيس الدولة العباسية وكان المتنفس الاول لها هو الخلاف حول شخصية الوالي الجديد ابن صول . وحين قرر الوالي الثاني يحيى العباسي اعتقال بعض رجالات الموصل واتفق مع ابن صول على قتل بعضهم من أجـل تخويف الاخرين حدث الانفجار المتوقـع فكانت ثورة الموصل واصطدم النـاس بالخراسانية في الشوارع حيث تشير رواية الـى أن ابن صول « واثب الناس بالسيف فحاربوه » (٢٣) .

ورغم أن عددا من المؤرخين يتفقون بان السبب المباشر للاضطرابات وقتال الشوارع كان اراقة امرأة موصلية ماء قذرا على جندي خراساني فظن انها فعلت ذلك متعمدة فهاجم هو وأصحابه الدار وقتلوا من فيها فنفر الناس من ذلك ، « وجر ذلك الى ما فعل يحيى بن محمد » (٢٤) ، فاننا نعتقد بأن الاسباب المباشرة للحروب والانتفاضات غالبا ما تكون على هذا النمط الاعتباطي البسيط الا أن الاسباب الحقيقية تكون أعمق من ذلك وتكمن في حالة القلق والتأزم وعدم الاطمئنان على المصير التي عاشها أهل الموصل بعد اعتقال زعمائهم ومقتل بعضهم في سجن ابن صول وبتأييد من

---

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٦٩ فما بعد .

(٢٣) المصدر السابق ص ١٥٠ .

(٢٤) الازدي ص ١٤٥ .

الوالي العباسي . فكان ما فعلته المراة الموصلية ، ان صحت الروايـة ، « القشة التي قصمت ظهر الجمل » .

وقد اتخذ الناس حاراتهم وبيوتهم اماكن يتحصنون فيها أثناء القتال حتى أمر يحيى العباسي بالامان فنودي « من دخل المسجد فهو آمن بامان الله »» (٢٥) . وما ان دخل الرجال الى المسجد الجامع حتى احاطت الجند بالمسجد وامر ابن صول بقتلهم . وكان اول من قتل معروف العابد وابنه ثم قتل بعدهما ابان امام المسجد . وتختلف الروايات في ذكر عدد القتلى فتشير رواية للازدي انهم ١١ الفا ممن له خاتم وممن لا خاتم له خلق كثير . ويقول اليعقوبي (٢٦) ان القتلى كانوا ١٨ ألفا من صلب العرب غير المـوالي والعبيد . ويؤكد ابن الاثير (٢٧) ان المجزرة شملت كل رجالات اهل الموصل ممن يأخذ العطاء . وتقول بعض الروايات (٢٨) ان الجند لم يفرقوا بين رجل وامرأة وصبي . وعلى ذلك فان عدد القتلى يتراوح بين ١٠ ــ ١٨ الفا على تباين الروايات والمبالغة التي فيها .

ويفصل الازدي في احداث المجزرة ويذكر مشاهير القتلى واشعارا في رثائهم ويسـمي الحادثة بالملحمة ليدلل على كثرة القتل ، كما ينعت القتلى بالشهداء . والجدير بالذكر ان بعضهم افلت من المجزرة ثم اعطوا الامان ثانية وغدر بهم بعد ذلك . ويظهر من روايات الازدي ان اغلب القتلى من اليمانية تلك القبائل التي طبعت الموصـل بطابعها واثرت في سلوكهـا السياسي (٢٩) . ويندد الازدي بالعباسيين وبسياستهم تجاه الموصل فيقول على لسان عويمر الاعرابي :

« كذب والله من زعم ان هؤلاء مسلمون !! »» (٣٠) .

ويروي حوادث مثيرة لاعمال تدل على العنف والقسوة التي عامل بها الخراسانية اهل الموصل حيث تركت الموصل عرضة للسلب والنهب والقتل

---

(٢٥) المصدر السابق ص ١٤٨ .

(٢٦) اليعقوبي ، تاريخ ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٩ .

(٢٧) ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٥ ص ٢٤٠ فما بعد .

(٢٨) الازدي ، ص ١٤٨ . قارن ص ١٥١ و ص ١٥٢ حيث يرتفع عدد القتلى لدرجة كبيرة .

(٢٩) الازدي ، ص ١٥١ ــ ١٥٥ .

(٣٠) المصدر السابق ص ١٥١ ــ

ويشير اليعقوبي الى ذلك بقوله :

« ان دماء اهالي الموصل اختلطت بنهر دجلة !!! » (٣١) .

ان انتفاضة الموصل التي بدأت بشكل سخط ضد اجراءات الوالي تطورت الى حركة مسلحة ضد السلطة العباسية . ويصعب علينا معرفة الصبغة الحقيقية للعناصر التي اشتركت فيها والتي كانت يمانية فيغالبيتها. ولعلنا نستطيع القول بأن الضرورات السياسية الآنية والامزجة الشخصية للمتنفذين من شيوخ العشائر والشرفاء والمقدمين لعبت دورهـا في تقرير موقف هذه القبيلة او تلك من الوالي العباسي او من زعماء الانتفاضة .

ان الذي يؤيد ما ذكرناه منانالثورة لم يكن لها لونعقائدي او سياسي واضح ما ذكره الخليفة ابو العباس حين سئل عن سبب ما حدث في الموصل فأجاب بأنه لا يدري (٣٢) . وبقيت هذه المجزرة لغزا غامضا لفترة طويلة حيث تشير رواية الى ان الخليفة المعتضد سأل عن سبب قتل الموصـل سنة ٢٨٦ ، سنة ٨٩٩ وكان في طريقه الى آمد ولكنه لم يعثر على جواب شاف لذلك .

على ان الخليفة ابا العباس عزل اخاه يحيى عن ولاية الموصل « لقتله أهلها وسوء اثره فيها » (٣٣) وفي ذلك اعتراف من السلطة العباسية بسوء ادارته وادانة له على اعماله . واكد الوالي الجديد اسماعيل بن علي العباسي عم الخليفة نفس الموقف حين خطب بالناس واعدا اياهم بحسن السيرة والعدل :

« يا اهل الموصل انا ارد عليكم المظالم واعطيكم ديات من قتل يحيى منكم » (٣٤) وكتب الى الخليفة يشرح له خراب البلد وسوء حالتها فأجابه « ارفق بالناس وتالفهم » ، ولكن الخليفة لم يعاقب يحيى بل اكتفى بعزله

---

(٣١) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ .

(٣٢) الازدي ، ص ١٥١ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٥٦ .

(٣٤) Ibid.

وكذلك ابعد ابن صول (٣٥) .

اما نتائج المجزرة الاقتصادية والاجتماعية فكانت شديدة الوقع على أهل الموصل فقد قتل آلاف الرجال تـــاركين وراءهم عوائلهم ، كما وان « اسواق الموصل لم تعمر ثلاث سنين بعد قتل اهل الموصل » وفي رواية اخرى « والموصل مضطربة واعمالها منتقضة وعمارتها ناقصة » (٣٦) وقد قامت السلطة العباسية بعدد من الاجراءات هدفـــها اعـــادة الاستقرار والازدهار الاقتصادي للمدينة منها :

١ ــ توزيع الديات على عوائل القتلى ، وفي هــذا الاجراء اعتراف واضح وضمني بمسؤولية السلطة وبأن يحيى قتل الناس ظلما وعدوانا وعلى غير وجه شرعي .

٢ ــ أقطع الخليفة ابو العباس عددا من مشايخ الموصل اقطاعات ، اعترافا من العباسيين بدورهم في تعقب مروان وقتله ، وفي رواية « ان وائل بن الشحاج واخوته قد صعدوا مع عبد الله بن علي في طلب مروان سنة ١٣٢ هـ » . وحين وصل مروان بوصير « تبعه الحارثي اسماعيـــل وشعبة بن كثير المازني ومعهما خيل اهل الموصل فقتلوه بها » . كما قام المنصور باقطاع وائل بقية القطيعة ، ويذكر الازدي نص الكتاب الذي اصدره الخليفة في هذا الشأن (٣٧) .

٣ ــ زار ابو جعفر (المنصور) والي الجزيرة ، وكانت الموصل تابعـــة لها ، مدينة الموصل ، وبقي بها وانحدر الى الهاشمية ليلتقي بالخليفة ابي العباس .

٤ ــ قام الوالي الجديد باستئصال ما بقي من الامويين ، حيث قتـــل زعيمهم يحيى بن الحر بن يوسف بن الحكم الذي كان لا يزال يعيش في المدينة عيشة رغد ورفاهية ، ورغم ان ابا جعفر والي الجزيرة امر ابنه المهدي برد

---

(٣٥) على ان هذا الاخير لقي مصرعه بعد سنتين ١٣٦ ــ ٧٥٤ على يد عبد الله بن علي الثائر في الشام حيث ارسله المنصور ليتجسس على عبد الله فعرف عبد الله ذلك وقتلـه (الازدي ، ص ١٦٤) .

(٣٦) الازدي ، ص ١٥٢ ، ١٦١ .

(٣٧) الازدي ، ص ١٥٨ ــ ١٥٩ ، ١٧١ ــ ١٧٢ . ــ الطبري ج ٣ ص ٩ . ــ ابن الاثير الكامل جـ ٥ ص ١٥٩ .

ضياعهم اليهم الا ان الظاهر ان المهدي عوضهم عن اغلبها بعطايا تجري عليهم سنويا .

ولا تشير مصادرنا الى سبب قتل يحيى بن الحر او مصادرة ضياع الامويين ولعل هذا الاجراء كان من جملة الاجراءات التي اتبعتها السلطة لتشتيت الامويين (٣٨) او ربما كان ليحيى بن الحر يد في ما حدث من اضطرابات .

لقد بقي اسماعيل بن علي واليا على الموصل حتى سنة ١٤٢ هـ سنة ٧٥٩ ـ ٧٦٠ م وحاول ان يحسن احوال المدينة ولكن اثار التدهور لم تمح بسرعة حيث تشير رواية عن سنة ١٣٦ هـ / سنة ٧٥٣ م اي بعد ثلاث سنوات من وقوع الفتنة بأن أمر الموصل لا يزال « على ما ذكر من الاختلاف والاضطراب » (٣٩) .

ويظهر ان هذا الحديث وما اعقبه من مجازر حدد موقف الموصل العدائي من العباسيين ولذلك كان الوالي يعمد دائما على حامية خراسانية ترابط في المدينة او في اطرافها .

ولم يمض وقت طويل حتى ثار عثمان بن عبد الاعلى بن سراقة الازدي الموصلي وخلع المنصور سنة ١٣٧ / سنة ٧٥٤ ولكن ثورته ما لبثت ان خفتت حيث انها كانت ثورة زعيم قبلي اخذته العزة والانفة على ما فعله العباسيون بالموصل فثار معبرا عن امتعاضه وقلقه !!.

ويظهر ان الموصل قد اعجبت الوالي اسماعيل بن علي فعزم على الاستقرار بها وكان مصلحا حسن السيرة مع اهلها حيث تشير رواية أن « الموصل به مقبلة » . وحين عزله المنصور رفض الامر وكان قائد الحامية ابن مشكان انحاز الى الوالي الجديد مالك بن الهيثم الخزاعي بعد أن وصلته رسالة من المنصور يقول له فيها « ان كنت سامعا مطيعا فسر الى مالك بن الهيثم » . ويمتدح الازدي الوالي الجديد فكان « خير أمير وانصفه وكان احد نقباء بني العباس ورعاتهم » وكانت « سيرته جميلة واحوال الموصل مستقيمة » (٤٠) . وقد اعطى عصيان اسماعيل العباسي في الموصل عظة

---

(٣٨) الازدي ، ص ١٥٧ .

(٣٩) المصدر السابق ، ص ١٧٧ ، ١٦٣ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ، ١٨٠ .

وتجربة للخليفة فكان حذرا في التعامل مع والي الموصل الذي كان باستطاعته دائما ان يعتمد على اهل الموصل ضد السلطة العباسية . فحين أراد عزل موسى بن مصعب سنة ١٥٨ / ٧٧٤ ــ ٧٧٥ عن ولاية الموصل ارسل ابنه محمد المهدي بصحبته خالد بن برمك متظاهرا بالذهاب الى الرقة عن طريق الموصل محملا اياه اوامر سرية بعزل موسى والسيطرة على الموقف حال وصوله المدينة (٤١) . وكان المنصور يختار ولاة الموصل بدقة وغالبا ما كانوا من العباسيين او من الشيعة العباسية الثقاة . فقد اختار ابنه جعفر للولاية سنة ١٤٥ ــ سنة ١٤٧هـ/٧٦١ ــ ٧٦٤ م ثم عين خالدا البرمكي واليا على الموصل لاول مرة سنة ١٤٨ هـ/٧٦٥م وذلك «لانتفاض الموصل وانتشار الاكراد بها» (٤٢) ، وهؤلاء الاكراد نزحوا اليها من الجبال القريبة . وكان اسماعيل بن عبد الله القسري البجلي الوالي الوحيد من اهل الموصل الذي وثق به المنصور وعينه على الموصل وسبب تعيينه ان المنصور سأله عن ظهور القحطاني ؟ (المنقذ اليماني المنتظر) فقال القسري قد ظهر « وانه المهدي ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ابن اختنا » وقد اعجب المنصور بقوله وعقد له على الموصل سنة ١٥١ / سنة ٧٦٨ م (٤٣).

الموصل واحزاب المعارضة :

يمكننا تصنيف الفئات الرئيسية التي عارضت العباسيين في هذه الفترة الى ثلاث : الخوارج والامويين والعلويين .

أما الخوارج فلم يتغير موقفهم بانتقال الخلافة الى العباسيين . فالعباسيون في نظر الخوارج كالامويين مغتصبون للخلافة التي يجب ان

---

(٤١) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٠٨ .

(٤٣) المصدر السابق ص ٢١٤ . ــ كان شيوخ القبائل يدركون ان المنصور كان جادا في جعل ابنه خليفة من بعده ولذلك كانوا يتقربون من الخليفة باظهار تأييدهم لهذه الفكرة مثلما فعل اسماعيل القسري وعبد الله بن عباس الهمداني (راجع كذلك الازدي ص ١٧٨ ــ ١٧٩) .

تكون ذات صبغة انتخابية يتقلدها اجدر المسلمين . ولقد حقق الخوارج في أواخر العصر الاموي نجاحات مهمة في منطقة الجزيرة الفراتية ولكن مروان تمكن من دحرهم وطردهم خارج المنطقة .

واكثر ما يلاحظ في تاريخ هذه المنطقة في القرنين الاول والثاني للهجرة انتشار المذهب الخارجي الداعي الى الثورة على كل سلطان لا يدين بعقيدته وكانت أهم القبائل المستوطنة حول الموصل عددا وشكيمة هي قبيلة بني شيبان . ويظهر من مصادرنا التاريخية (٤٤) ان الحركة الخارجية تبدأ في أطراف الموصل ثم لا تلبث ان تزحف نحو المدينة ، ويعتصم الخوارج في داخلها تساندهم بعض القبائل والفئات المستاءة من العباسيين . ولعل حركات ملبد بن حرملة وعبد السلام اليشكري والصحصح الخارجي خير أمثلة على ذلك .

على أن ذلك لم يمنع ان تكون الموصل نفسها (٤٥) المركز الذي بدأت منه بعض الحركات الخارجية مثل حركات حسان بن مجالد وياسين التميمي وحمزة الخارجي ومهدي بن علوان الشاري . وفي محاولة لاقرار الامن في هذه المنطقة عين المنصور حرب بن عبدالله الراوندي سنة ١٤٥ / سنة ٧٦٢ م قائدا لحامية الموصل ويبرر الازدي كثرة الجند في الموصل فيقول « وكان حرب الراوندي في رابطة في ألفين لمكان الخوارج » (٤٦) ، كما وأن السلطة المركزية كانت تعين على الموصل واليا للصلاة والمعونة والخراج ان ضم اليه وصاحب رابطة يتفرغ لحرب الخوارج مما يدل على أهمية قائد الحامية وضرورة تكريس جهوده للامور العسكرية وامور الامن في المدينة وضواحيها وقد هدد المنصور والرشيد عدة مرات أهل المدينة بالقتل نتيجة لنكثهم ما اشترطوا على أنفسهم بعدم مساعدة الخوارج ولكن الفقهاء من امثال ابن حنيفة وابن ابي ليلى وابن شبرمة وابي يوسف القاضي كانوا يحولون بين الخلفاء وبين خططهم . . وقد هدم سور الموصل بأمر الرشيد سنة ١٨١ هـ / سنة ٧٩٧ م كيلا يتمكن الخوارج من

---

(٤٤) الازدي ، ص ٢٦٧ ، ١٦٦ ، ٢٤٢ . — ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ١١٢ . — قارن الازدي ص ٢٤٢ ، خليفة ص ٢ ص ٤٤٤ ص ٧٨ .

(٤٥) الازدي ، ص ٢٥١ ، ٢٠٥ ، ٢٥٨ ، ٣٤٣ . — الطبري ، ج ٨ ص ٥٨٨ . — ابن الاثير ، الكامل ج ٦ ص ٩٥ ، ج ٥ ، ص ٥٨٤ .

(٤٦) الازدي ص ، ص ١٩٥ .

الاعتصام بها (٤٧) خاصة بعد حركة الوليد بن طريف الشاري الذي ثار سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م وهزم الجيش العباسي في معركة نصيبين واخذ يجوب الجزيرة وأذربيجان وأرمينية حتى استطاع القائد يزيد بن مزيد الشيباني أن يراوغه ويقتله في هيت .

وكان من نتائج ثورات الخوارج عدم الاستقرار وسوء الحالة الاقتصادية وقلة الحاصلات الزراعية وعدم قدرة المزارعين على ضريبة الخراج فتشير رواية (٤٨) سنة ١٧٥ هـ / سنة ٧٩١ م « وفيها كسر خراج الموصل » . وقد امتنع أهل الموصل من تأدية الضريبة مما اضطر الرشيد الى ارسال يحيى بن خالد البرمكي لمناظرتهم وقد اتفق على دفع ربع الغلة وقدرها سبعة دراهم ونصف لجريب الحنطة وخمسة دراهم لمثله من الشعير . ويظهر أن بعض الفلاحين كانوا يتخذون هجمات الخوارج عذرا يبررون به امتناعهم عن دفع الضريبة محتجين بأن هجوم الخوارج قد دمر المحاصيل (٤٩) .

ولم يكن الخوارج وحدهم ينهبون الحاصل او يدمرونه بل كان شيوخ القبائل المعارضون يفعلون نفس الفعل كما فعل العطاف بن سفيان الازدي (٥٠) سنة ١٧٧ هـ / سنة ٧٩٣ م وهو من فرسان أهل الموصل وقد جمع الصعاليك وجبى الخراج وحبس عمال الخليفة ، وحين خرج الرشيد بنفسه يريد الموصل سنة ١٨٠ هـ / سنة ٧٩٦ م قرر العطاف أن يكمن له ولكن شيوخ الموصل وصلحاءها ناشدوه ان يدع ذلك وان ينصرف عن المدينة لفترة فخرج في ٤ آلاف الى أرمينية .

ولقد تعسف بعض الولاة في الجباية رغم هذه الظروف فقد طالب يحيى بن سعيد الحرشي (٥١) أهل الموصل بخراج سنتين مضتا سنة ١٨١ هـ . وفي سنة ١٩٣ هـ / سنة ٨٠٨ م شدد الحسن بن صالح الهمداني على الاعراب وخرج بنفسه يطالبهم بدفع الصدقات (الزكاة) ولاحق قبيلة عنزة الربعية فاجتمع مع عنزة بنو شيبان وكمنوا للوالي

---

(٤٧) المصدر السابق ص ٢٨٠ ، ٢٨٦ .

(٤٨) المصدر السابق ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٤٩) المصدر السابق ص ٢٧٦ .

(٥٠) المصدر السابق ص ٢٨٤ .

(٥١) المصدر السابق ٢٨٦ – ٢٨٨ .

وقتلوه (٥٢) . والمعروف عن ربيعة انها كانت اكثر القبائل تمردا واشغالا لوالي الموصل . ولم تنته هذه الحادثة عند هذا الحد بل أدت الى ثارات بين اليمن ممثلة السلطة وبين ربيعة المتمردة وهكذا فقد انكسر الحلف اليماني ــ الربعي القديم .

على أن الوالي لم يكن دائما يرسل ريع الموصل الى بغداد بل يحتفظ به أو بجزء منه ليعينه على حرب الخوارج وهذا ما فعله موسى بن مصعب سنة ١٥٧ هـ فقد اجاب الخليفة بأنه يحتاج المال لان (البلد كثير الخوارج واعددتها للرجال متى احتجت الى محاربة خارجي... » (٥٣) .

ولعلنا بعد ذلك نخلص الى القول بان الحركة الخارجية اشاعت عدم الاستقرار في الموصل خاصة ومنطقة الجزيرة الفراتية عامة وشغلت بال السلطة المركزية لعدة سنوات . وبقيت خصائص الحركة الخارجية في الجزيرة ، على عكس الاقاليم الشرقية ، تتسم بسمعة العروبة سواء على الصعيد الفكري أو التنظيمي . بل أن العصبيات القبلية ظلت تتحكم فيهم في هذا الاقليم . كما لعبت « النخوة » دورها حيث كان خوارج الجزيرة الفراتية يخفون لنجدة اخوانهم في المذهب أينما ثاروا .

ورغم أن أحد الاسباب التي أعطاها المؤرخون لمجزرة الموصل سنة ١٣٢ هـ هي ميولها للامويين فلم تحدث في الواقع حركة ذات صبغة أموية في الموصل خلال العصر العباسي الاول . على ان أنصار الامويين من الموصل وغيرها من مناطق الجزيرة الفراتية تجمعوا حول اسحق بن مسلم العقيلي واخيه بكار وهما من قادة مروان الاخير وقد اعلن اسحق العقيلي ثورته في الجزيرة واتخذ سميساط والرها مراكز له . كما انضم اليه أحدالامراء الامويين محمد بن مسلمة بن عبد الملك .

ولكن الحركة الموالية للامويين في الجزيرة عموما لم تكن منظمة ، حيث تشير رواية تاريخية « وأمرهم مشتت وليس عليهم رأس يجمعهم » (٥٤) ، وقد طلب اسحق العقيلي نفسه الامان من العباسيين بعد معرفته بمقتل مروان وقربه المنصور وجعله من صحابته في البلاط . وربما كان تخلص العباسيين من يحيى بن الحر أحد الموالين لبني أمية في الموصل يعود الى

---

(٥٢) المصدر السابق ص ٢١٤ .

(٥٣) المصدر السابق ص ٢٢٧ .

(٥٤) فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، الجزء الاول ص ١٣٦ .

كونه نقطة التقاء لانصار الامويين وشيعتهم وللعناصر المناوئة للدولةالعباسية الجديدة حيث قتله والي الموصل سنة ١٣٣ هـ سنة ٧٥٠ م (٥٥) .

ولم يعرف عن الموصل ميلها الى العلويين فقد وصفت بكونها أموية خارجية كما شارك اهل الموصل بحركات قبليـــة ولكنهم لم يشتركوا في حركة علوية في هذه الفترة . وفي رواية تاريخية أن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن جاء الموصل سنة ١٤٤ هـ سنة ٧٦١ م متخفيا من ملاحقة المنصور له وبقي فيها فترة قصيرة من الزمن حيث لم يجد الاعوان مـــن شيعـــة العلويين الذين يعتمد عليهم في حركة ضد العباسيين . ويظهر ان قبائـــل الجزيرة لم تستسغ مذهب الشيعة العلوية ويتمثل موقفها في قول نصر بن شبث العقيلي احد شيوخ القبائل الجزرية الذي ثار ضد المأمون فاقترح عليه ان يبايع خليفة علويا فرفض قائلا : (٥٦) « أولي بني السوداوات .. اذ كان يقول كن وليته منهم : انه خلقني وانه يرزقني » .

الموصل والنعرات القبلية :

كانت الروح القبلية تستفحل في فترات متفاوتة اما بسبـــب ضعـــف السلطة المركزية وعدم قدرتها على كبح جماح هذه النعرات . واما في أحيان أخرى بتحريض من السلطة المركزية او والي المدينة الذي يحابي قبيلة على قبيلة أخرى . فقد تذمرت القبائل الموصلية من سياسة مروان الذي فضل المضرية (القيسية) على اليمانية . وحين جاء العباسيون قربوا اليمانية وفضلوهم في الوظـــائف الاداريـــة والعسكرية وكانت سياسة العباسيين الجديدة هذه بسبب مساندة اليمانية للدعوة العباسية من جهة ومن جهة ثانية ادراكا من العباسيين بأن القبائل اليمانية هي الغالبة على الموصل ، فتؤكد رواية (٥٧) ان « اليمانية في البلد أظهر من النزارية » وان «اليمانية

---

(٥٥) يشير كتاب الامامة والسياسة في رواية ينفرد بها (جـ ٢ ص ١٥٩) الى ان سليمان ابن هشام الاموي قد هرب من البلاط العباسي وثار ضد العباسيين في الجزيرة في عهد ابي العباس ، والرواية ضعيفة الاحتمال .

(٥٦) الازدي ، ص ١٨٠ ، ٢٣٤ .

(٥٧) المصدر السابق ص ٢٩٦ .

هم المتغلبون على الموصل » .

ولعل ما ذكرناه آنفا من ازدياد العصبيات اثناء ضعف سلطة بغداد يظهر واضحا في عهد الرشيد حيث تفاقم النزاع بين الربعية والمضرية واستعانت ربعية لا باليمن (٥٨) بل بقبائل ربعية من اقاليم اخرى . وفي سنة ١٩٨ هـ سنة ٨١٣ م حدثت وقعة « الميدان » بين النزارية واليمانية حيث ادعى النزارية بأن اليمانية « يتهضمونهم وينتقصون حقوقهم » (٥٩) وتزعمهم عثمان بن نعيم البرجمي الذي حاصر الموصل في ٢٠ الفا . ولكن اليمانية بقياة علي بن الحسن الهمداني استطاعت ان تهزم النزارية رغم العون الذي جاءهم .

ولا شك ان الخلافة العباسية كانت تعمل من اجل كسر الاحلاف القبلية القديمة الكبيرة وتشتيتها فمثلما نجح المنصور في كسر التحالف اليماني ـ الربعي في اليمن وفي البحرين كذلك عمل هذا الخليفة والذين من بعده على كسر نفس الحلف في الجزيرة وذلك لئلا تكون هذه التحالفات خطرا على الدولة من جهة وليكون بالامكان السيطرة على المناطق ذات النزعة القبلية الحادة .

لقد كان لاهل الموصل راي في اختيار واليهم فلم يرضوا بمحمد بن صول واليا وثاروا على سياسة يحيى بن محمد العباسي ، واجبروا ابراهيم ابن العباس سنة ١٩٥ هـ / سنة ٨١٠ ـ ٨١١ م على التنحي عن الولاية ، ورفض اهل الموصل ولاية الحسن بن محمد التغلبي سنة ١٩٧ هـ وقالوا : « لا يلينا ربعي » . وفي عهد المعتمد انتفض اهل الموصل وطردوا واليهم سنة ٢٥٩ هـ وعينوا بدله من رغبوا فيه واستمروا مجاهرين بالعصيان حتى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م (٦٠) وتشير رواية في الازدي : « ولما ضعف امر السلطان وقلت الحماية اجتمع اهل الموصل على علي بن الحسن الهمداني ليشرف على امر البلد ويحوط اطرافه » (٦١) .

والواضح ان امر السيطرة على الموصل اصبح بين سنة ١٩٥ هـ ـ

---

(٥٨) ذلك لان الحلف اليماني ـ الرجعي القديم كان قد تفكك وقد وسعت حادثة اغتيال الوالي الحسن الهمداني آنفة الذكر الهوة بين الطرفين .

(٥٩) الازدي ص ٣٣٢ .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ ، ٣٣٢ .

(٦١) المصدر السابق ص ٣٢٤ .

سنة ٢٠٢ هـ في يد بني الحسن الهمدانيين فعليا اما الوالي الـذي تعينه السلطة العباسية فكان لا يدخل المدينة الا اذا حظي برضى بنـي الحسن الهمداني ولذلك كان من الطبيعي ان يحسب حسابهم في كل عمل يقوم به او حكم يصدره والى ذلك تشير الرواية : « وكان الوالي من ولاة السلطان يلي منذ هذا الوقت الى انقضاء ايام بني الحسن فاذا رضوه ادخلوه وهم الغالبون على الامر ... » (٦٢) ولذلك امتنع علي بـن الحسن الهمداني عن الاعتراف بولاية الحسن التغلبي سنة ١٩٧ هـ الذي ارسله الامـين ؛ وحين راسلهم طاهر بن الحسين سنة ١٩٨ هـ مال اليهم باليمانية .

ولكن اليمانية انشقوا على انفسهم بالموصل واحتدم الصراع عـلى السلطة بين علي الهمداني والسيد بن انس الازدي وهزم الهمداني ممـا اضطره الى الاستعانة بمهدي بن علوان الخارجي ولكن ذلك لم يفده حيث تغلب عليه ابن انس ثانية وقتله . وقد برر ابن انس قتلـه للهمدانيـين واستيلاءه على الموصل حين قابل المأمون سنة ٢٠٤ هـ سنة ٨٠٩ م قائلا :

«أدخلوا الخارجي مدينتك واعلوه على منبرك وابطلوا دعوتك» (٦٣) وهكذا ضرب ابن انس على وتر حساس فاقره المأمون على الموصل ولم يكن اجراء الخليفة هذا الا اعترافا بأمر واقع . وبقي ابن انس واليا على الموصل حتى مقتله في معركة مع الثائر زريق بن علي صدقة الموصلي سنة ٢١٢ هـ سنة ٨٢٧ م .

ملحق بولاة الموصل خلال هذه الفترة (٦٤)

محمد بن صول	١٣٢هـ
يحيى بن محمد العباسي	١٣٣هـ
اسماعيل بن علي العباسي	١٤١هـ
مالك بن الهيثم الخزاعي	١٤٢هـ

(٦٢) الازدي ص ٣٢٤ .

(٦٣) الازدي ص ٣٥٤ .

(٦٤) راجع الازدي ، تاريخ الموصل ، ــ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك طبعة ليدن . ــ قارن قائمة الدكتور علي حبيبة في اخر كتاب الازدي آنف الذكر . (ص ٤٩٤ فما بعد) .

جعفر بن المنصور	١٤٥هـ
خالد بن برمك	١٤٨هـ
اسماعيل بن عبدالله القسري	١٥١هـ
موسى بن مصعب الخثعمي	١٥٤هـ
خالد البرمكي	١٥٥هـ
موسى بن مصعب الخثعمي	١٥٩هـ
خالد البرمكي	١٥٩هـ
اسحق بن سليمان	١٦٠هـ
حسان السروي	١٦١هـ
عبد الصمد بن علي	١٦٢هـ
محمد بن الفضل	١٦٤هـ
أحمد بن اسماعيل بن علي	١٦٦هـ
موسى بن مصعب	١٦٧هـ
عبد الصمد بن علي	١٦٧هـ
احمد بن اسماعيل	١٦٨هـ
هرثمة بن اعين	١٦٨هـ
هاشم بن سعيد	١٦٩هـ
عبد الملك بن صالح	١٦٩هـ
اسحق بن محمد	١٧١هـ

الدكتور فاروق عمر فوزي
استاذ مساعد ـ قسم التاريخ
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

موقف الفرس من العباسيين الاوائل

حركة المقنع الخراساني
١٥٩ هـ / ٧٧٦ م - ١٦٣ هـ / ٧٨٠ م

توطئــــة :

لم تكن الثورة العباسية ثورة الايرانيين ضد العرب كما ادعى فـــان فلوتن ومن تبعه من المؤرخين (١) ، بل كانت ثورة القبائل العربية من اهل خراسان ضد الحكم الاموي . اما موقف الايرانيين من موالي وغيرهم ؛ فالواقع أنهم كانوا منقسمين بين مؤيد ومعارض للثورة العباسية . فقــد حارب الايرانيون جنبا الى جنب مع القبائل العربية الخراسانية ضد أتباع

---

(١) فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، مترجم ، القاهرة ١٩٣٤ .. ولهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، مترجم ، القاهرة ١٩٥٨ .. الدوري ، العصر العباسي الاول بغداد ، ١٩٤٤ .. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام جـ ٢ ، القاهرة ١٩٦٤ الطبعة السابعة .

نصر بن سيار والي خراسان الاموي . كما وساندت جماعات اخرى من الايرانيين الجيش الاموي في مقاومته للثورة . وهناك مدن ايرانية كثيرة وقفت موقفا سلبيا من الاحداث فلم تنتهز فرصة الثورة لتقضي على السلطة الاموية فيها (٢) .

على ان الثورة العباسية كأي ثورة جذرية ايقظت في نفوس العامة من الناس الكثير من آمال التطلع نحو اوضاع أفضل ، كما وبعثت الثورة الجديدة روح التحسس المرهف واليقظة الواعية والتي كان من مظاهرها انفساح المجال لانطلاق الكثير من المبادىء الايرانية القديمة (من زرادشتية ومزدكية ومانوية) المتأصلة في البيئة الايرانية قبل الفتح الاسلامي وبعده.

وبعد نجاح الثورة العباسية توقعت الجماعات المختلفة خيرا كثيرا ، ولكن الثورة لا تستطيع ان تلبي كافة المطاليب ولا ان تؤمن كافة الحاجات وبصورة آنية . ولقد كان طبيعيا ان يؤدي تلكؤ العباسيين عن تنفيذ الشعارات التي نادوا بها وتباطؤهم عن تحقيق الوعود التي قطعوها على انفسهم الى خيبة أمل لدى الجماعات المختلفة من عربية أو ايرانية . فقامت حركات متعددة ضد السلطة العباسية ومنها حركة المقنع موضوع بحثنا في هذه المقالة .

لقد كانت حركة المقنع حلقة في سلسلة من الحركات الدينية السياسية الايرانية التي دعت الى اعادة مجد ايران القديم بتقاليده ودياناته الموروثة والى انهاء السيادة العربية الاسلامية عليها . ومهما حاولت هذه الحركات ان تصطبغ بصبغة اسلامية ظاهرية او ان توفق بين المجوسية والاسلام الا ان محاولاتها فشلت وكانت نهايتها الخيبة .

ان اول مشكلة يواجهها الباحث في هذه الحركات هي قلة المصادر التاريخية الموثوقة وندرة المعلومات واقتضابها وتناقضها . ولكننا اذا قارنا حركة المقنع بغيره فاننا نلاحظ كثرة المعلومات التاريخية نسبيا وخاصة فيما يتعلق بتاريخ (المقنعية) السياسي ، اما بخصوص مبادىء المقنع وآرائه فان الباحث يعود فيجابه مشكلة ندرة الاخبار وتناقضها .

ولعل كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) يعتبر من أقدم المصادر التي تشير الى حركة المقنع .

.2) Omar, the Abbasid Caliphate, Baghdad, 1969.

اما اهم مصادرنا التاريخية التي تعالج هذه الحركة فهي كتاب التاريخ لليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) وتاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م) . ويعتبر كتاب تاريخي بخارى ... المنسوب للنرشخي من الكتب الرئيسية في التاريخ المحلي الذي يروي روايات مفصلة عن المقنع . ولعل من المصادر التي اعتمد عليها النرشخي هي كتاب الدولة العباسية للصولي (ت٢٤٣هـ / ٨٥٧ م) او مؤلفات ابراهيم بن محمد المعروف بعلمه الواسع فيما يخص تاريخ المسلمية (اتباع أبي مسلم الخراساني) وعقائدها (٣) .

ولا تختلف روايات كتاب الفرق عن بعضهم البعض فيما يخص حركة المقنع فالرواية التي نجدها في البغدادي هي نفسها تقريبا موجودة في الاسفرايني والشهرستاني والمقريزي وغيرهم .

اما المؤرخون المتأخرون فيعتمدون على من سبقهم في الكلام عن المقنع وثورته فالبلعمي في كتابه عن التاريخ (ت ٣٦٢ / ٩٧٢) يعتمد على رواية الطبري ولكنه يضيف اليها اضافات جديدة وخاصة فيما يتعلق بأسطورة (قمر المقنع) . وقد جمع ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) في الكامل روايات الطبري واليعقوبي والنرشخي وغيرهم حيث هناك روايات لا يذكر مصدرها . وعلى هذا ففي الكامل صورة شبه متكاملة عن المقنع . وقد اعتمد كل من ابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) وابن خلدون (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠٦ م) على رواية الكامل فرووها في كتبهم بعد اختصارها .

بداية الحركة :

تتناقض الروايات حين تشير الى بدء حركة المقنع ولعل أصدق الروايات هي ما يذكره تاريخي بخاري بأن الثورة بدات سنة ١٥٩ هـ / سنة ٧٧٦م ويؤيد ذلك ابن الاثير وابن خلدون (٤) . ومما يزيد في صحة

---

(3) G. H. Sadighi, Les mouvements religieux Iraniens du IIe IIIe Siecles de L'Hegire, Paris, 1938.

(٤) تاريخ بخارى ، ص ٦٣ . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٥ . — ابن الطقطقي الفخري ، ص ٢١٣ .

هذه الرواية اشارتها الى أن المقنع بدأ حركته في ولاية حميد بن قحطبة الطائي . وكان هذا واليا على خراسان حتى سنة ١٥٩ هـ حيث أعقبه ابو عون عبد الملك بن يزيد الازدي .

وعلى هذا فان ما يقوله اليعقوبي بأن الحركة بدات سنة ١٦٠ هـ او الطبري سنة ١٦١ هـ مخالف لسير الواقع (٥) .

سيرة المقنع الاولى :

ان أغلب مصادرنا التاريخية تشير الى ان اسم المقنع كان (هاشما (٦)) . بينما تعطيه روايات اخرى اسم (حكيم (٧)) أو عطاء (٨) وقد عاش هاشم هذا في احدى قرى مدينة مرو ، واشتغل لفترة من الزمن في تنظيف الصوف وغسله . ولكن احوال ابيه المعاشية تحسنت بعد الثورة العباسية فأصبح أحد موظفي الديوان في خراسان فاهتم بتثقيف ولده هاشم الذي استطاع ان يحصل على ثقافة جيدة متنقلا بين مرو وبلخ .

وحين كبر هاشم انضم الى أتباع أبي مسلم الرزامية . وثار ضد العباسيين بعد مقتل أبي مسلم مع الوالي الجديد عبد الجبار الازدي ووقع عبد الجبار وهاشم مع عدد من الثوار في الاسر ، وقتلت السلطات العباسية

---

(٥) اليعقوبي ، التاريخ ، ٢ج ، ص ٤٧٨ . ـ idem البلدان ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ . ـ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، ص ٤٥٩ .

(٦) تاريخ بخارى ، ص ٦٣ وما يليها . ـ البيروني ، كتاب الاثار الباقية ، ص ٢١١ . ـ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٣ . ـ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ١١٥ . ـ المقريزي ، الخطط ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٧) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ . ـ الطبري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص٤٧٠، ٤٨٤ . ـ ابن الاثير الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ص ٧٠ . ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

الازدي وحكمت على هاشم بالسجن ثم اطلق سراحه وعاد الى مرو (٩) .

ولم يكن مظهر المقنع الشخصي ـ حسب ما تذكره الروايات (١٠) ـ على ما يرام ، فقد كان اعورا ، قصيرا ، اصلع ، يتلجج في كلامه . ولعل هذه الصفات هي التي جعلته يفكر بالقناع الذي غطى به وجهه والذي كان من الذهب (١١) . ومن هنا جاءت تسميته بالنبي المقنع والاصح الاله المقنع لانه ادعى الربوبية .

وقد استطاع هاشم المقنع ان يسبغ صفة الغموض والقدسية على شخصيته محققا ذلك بالخطوات التالية (١٢) :

١ ـ اتخاذ القناع : يؤكد كتاب الفرق الاسلامية ان المقنع اتخذ القناع ليغطي به عيوبه ولعل ذلك صحيح ولكن هدف المقنع كان يرمي الى ابعد من ذلك وهو اضفاء الغموض والسرية على شخصه مما سيزيد من تعلق الناس واعجابهم به وبالتالي كثرة اتباعه .

٢ ـ استعمال السحر والتنجيم : حيث اشيع بانه استطاع ان يظهر قمرا في السماء وقد ظن الكثير من العوام بان هذا دليل على قدرة المقنع وبراعته في السحر فانجذبت قلوبهم نحوه .

٣ ـ لقد سلط على اتباعه الذين اصروا على رؤية وجهه رغم تحذيره لهم انهم لا يطيقون تحمل نوره الذي سيحرقهم ، سلط عليهم المرايا التي عكست اشعة الشمس البراقة فخروا له ساجدين .

٤ ـ لم يظهر لرسول قائد الجيش العباسي وانما ناداه من وراء الحجاب مؤكدا انه فوق البشر .

---

(٩) النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ٦٣ وما بعدها . ـ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٤٧٨ .

(١٠) الطبري ، ج٣ ، ص ٤٨٤ . ـ ابن الاثير ، ج٦ ، ص ٢٥ وما بعدها . ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٣٦ .

(١١) ـ القزويني ، تاريخ كزيدة ، ص ٣١٢ . ـ نظام الملك ، سياسة نامة ، ص ١٩٨ وما بعدها . انظر كذلك Moscati, Studi storici

(١٢) البغدادي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ . ـ ابن حزم ، ص ٣٦ وما بعدها . ـ تاريخي بخاري ، ص ٦٢ ـ ٧٤ . ـ القزويني ، اثار البلاد ، ص ٣١٢ . ـ ابن الاثير ، الكامل ، حـ ٦ ، ص ٢٥ وما بعدها .

تعاليم المقنع :

يرى الشهرستاني بان المقنع كان في اول أمره على مذهب الرزامية . ونحن نعرف بان الرزامية فرقة من فرق الراوندية المتطرفة قدست أبا مسلم ونادت بامامته واعتقدت بحلول روح الهية فيه . كما وان الرزامية كانت جزءا من الخرمية التي نادت بترك الفرائض (١٣) .

ولما كانت الخرمية ذات صلة وثيقة بالمزدكية كما يؤكد ذلك الشهرستاني والبيروني وابن النديم ونظام الملك (١٤) ، لذلك فان فرقة المقنع تبنت الكثير من مبادىء مزدك . والواقع فان الكثير من المصادر (١٥) تتفق بأن المقنع أباح لاتباعه الاموال والنساء واسقط عنهم الصلاة والصوم وسائر العبادات واباح لهم كل ما جاء به مزدك .

وقد اختلفت آراء المؤرخين المحدثين في طبيعة هذه التعاليم : يقول الدكتور عبد العزيز الدوري « كانت مبادىء المقنع في اساسها خرمية فارسية وصبغتها قومية لان الرزامية لا تعترف بامامة العباسيين او بسلطتهم » بينما ترى الاستاذة سميرة الليثي بان هدف الحركة كان ضرب الاسلام والعروبة في وقت واحد . اما الدكتور صديقي فيلاحظ محاولة المقنعية التوفيق بين الديانة الايرانية القديمة وبين المبادىء الاسلامية (خاصة الغلاة) . ويرى المستشرق براون بأنها حركة شيعية غالية تأثرت بالبيئة التي ظهرت فيها « اما البروفسور برنارد لويس فيؤكد على طبيعتها الايرانية الواضحة فيها . ويخصص البروفسور سبولر لحركة المقنع وما شابهها من الحركات فصلا خاصا تحت عنوان « تأثير الزرادشتية والمزدكية على تكوين الفرق الجديدة » بعد دخول ايران ضمن الدولة الاسلامية . وهو هنا لا يستبعد كذلك اثر الروح الايرانية (القومية) في هذه الحركات . اما البروفسور موسكتي فيقول « لقد اختلطت في حركة

---

(١٣) الشهرستاني ، حـ ١ ، ص ١١٥ ، ١٣٢ . ــ البغدادي ، ص ٢٤٣ .

(١٤) الشهرستاني ، ص ٨٧ ، ص ١٤٧ . ــ البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٢١١ . ــ الفهرست ص ٤٧٩ وما يليها . ــ سياسة نامة ، ص ١٩٨ ــ ١٩٩ .

(١٥) البغدادي ، ص ٢٤٤ . ابن خلكان ، حـ ٢ ، ص ١٣٦ ــ ١٣٧ . ــ ابن الاثير ، جـ ٦ ، ص ٢٥ وما بعدها ، ص ٣٤ ــ ٣٥ .

المقنع التقاليد الايرانية ومباديء غلاة الشيعة ، وقد استطاع المقنع ان يثير جوا من الحماس الديني لدى أتباعه لم يخمد حتى بعد وفاته » . وهكذا أكد هذا المستشرق على فكرة التوفيق الآنفة الذكر (١٦) .

لقد بشر المقنع بتعاليم كثيرة ورفع شعارات متنوعة تناسب كل جماعة من الجماعات التي انضمت اليه ولعلنا نستطيع ان نجملها بالتالي : (١٧) .

أولا ـ نادى المقنع بأنه سيعود الى الدنيا لينشر العدل وليجعل أتباعه المتنفذين فيها . وحين وفاته رمى نفسه في النار فاحترق ولم يترك اثرا فظن اتباعه بانه غاب وسيعود حتما ليزيل الجور وينشر العدل .

ثانية ـ نادى المقنع بأنه اله وادعى ان كلّ صفات الربوبية موجودة فيه.

ثالثا ـ بشر المقنع بفكرة الحلول والتناسخ فقال ان الصفات الالهية انتقلت في الانبياء من واحد الى اخر حتى وصلت الى النبي محمد (ص) ثم انتقلت الى أبي مسلم الخراساني ثم اليه . ولذلك طلب من أتباعه السجود له .

رابعا ـ قدس المقنع ذكرى ابي مسلم الخراساني وتطرف فنادى

---

(١٦) الدكتور الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ١١٧ . ـ idem الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٤١ وما بعدها ، الليثي ، الزندقة والشعوبية ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ . ـ Sadighi, op. Cit, P. 162 ff براون ، تاريخ الادبة الفارسي (بالانكليزية) حـ ١ ، ص ٣١٨ . ـ برنارد لويس ، اصول الاسماعيلية ، بالانكليزية ، ص ٧ . ـ
Moscati, ou. Cit, 345.
B. Spuler, Iran in fruh-Islamisher zeit, 1952, pp, 49ff, 196ff.
انظر كذلك : حسن ابراهيم حسن ، حـ ٢ ، ص ١٠٦ ـ احمد شبلي ، حـ ٢ ، ص ١٩٢ . ـ حسن محمود العالم الاسلامي فى العصر العباسي ، ص ٨١ . ـ محمد حلمي احمد ، الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ٧٢ . ـ بارتولد ، تركستان (بالانكليزية) ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ . ـ ويل ، تاريخ الخلافة ، حـ ٢ ص ١٠٣ .

(١٧) تاريخي بخاري ، ص ٦٣ ـ ٧٤ . ـ الطبري ، حـ ٣ ، ص ٤٨٤ ، ٤٩٤ . ـ العيون والحدائق ص ٢٧٣ . ـ ابن الاثير ، حـ ٦ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ، ص ٣٤ . ـ ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ . ـ البغدادي ، ص ٢٤٣ . ـ الشهرستاني ، حـ ١ ، ص ١١٥ ، ١٢٢ . ـ النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٢٨ ، ٤١ .

بأفضليته على الرسل . فيؤكد النوبختي مثلا ان الرزامية ادعوا حلول روح الاله في ابي مسلم وانكروا وفاته .

خامسا - طالب المقنع بالثأر لمقتل يحيى بن زيد بن علي زين العابدين ، الا انه يظهر بأن المقنع لم يكن مخلصا في رفع هذا الشعار ولم يستمر في رفعه طويلا .

سادسا - أسقط المقنع الفرائض الدينية من صوم وصلاة وزكاة الخ

سابعا - اتبع المقنع تعاليم مزدك فيما يخص اباحة نساء وأموال اتباعه بعضهم لبعض .

ثامنا - أعطى المقنع الحق لاتباعه بقتل كل من يخالفهم في العقيدة وان يسبوا نساءهم وأطفالهم وممتلكاتهم . وقد نادت فرق غالية وكذلك فرق خارجية متطرفة بنفس هذا المبدأ في هذه الفترة كذلك (١٨) .

ومهما يقال بشأن تطرف هذه التعاليم ومخالفتها للاسلام فاننا نرى بأن المصادر التي يعتمد عليها الباحث هي مصادر اسلامية معادية لهذه الحركات التي كانت ضد السلطة العباسية ولذلك فربما كان هناك بعض المبالغة في تصوير هذه المبادىء . فقد يكون هناك بعض التساهل في العلاقة مع النساء والاشتراك في الاموال ولكن لا الى الحد الذي تصوره لنا مصادرنا الاسلامية . ثم ان هذه المبادىء لم تكن جديدة او مبتدعة بل كانت معروفة لدى بعض الجماعات المزدكية في مناطق ايرانية مختلفة .

تطور حركة المقنع وموقف العباسيين منه :

حين بشر المقنع بآرائه انضم اليه الايرانيون فكونوا معظم اتباعه . ولكن بعض العرب المتذمرين انضموا اليه كذلك ، فكان عبدالله بن عمر احد العرب الخراسانية من اهالي مرو المتحمسين الى دعوة المقنع حيث زوج ابنته الى المقنع وكان من دعاته الذين بشروا بمذهبه في بلاد ما وراء النهر . وحين طلبت السلطة العباسية المقنع هرب الى بلاد ما وراء النهر

---

(١٨) انظر عن الجناحية وهي فرقة عبد الله بن معاوية مثلا .
Sadighi, op. cit, P. 181.

واستقر في كش في حصن سنام (١٩) .

وهناك وجد حلفاء كثيرون له . فقد تحالفت معه المبيضة في بلاد ما وراء النهر (٢٠) . والمبيضة من فرق الخرمية التي تنادي بترك الفرائض الدينية وتوالي أبا مسلم الخراساني . وقد اختارت اللون الابيض لانه كان يعني العداء للعباسيين (المسودة) . ولكن اصطلاح المبيضة كان يقصد به في خراسان وما وراء النهر أتباع أبي مسلم من الخرمية . ويعتبر البغدادي المبيضة هم المقنعية فليس هناك فرق بين الاثنتين .

كما انضم اليه ابن امير بخارى وتقبل تعاليمه وترك الاسلام . كما واستطاع المقنع ان يتحالف مع الاتراك تاركا لهم حرية الهجوم على القرى الاسلامية ونهبها وسبي نسائها . وحين تعاظم أمره حالفه أمير بخارى وخاقان الترك وخاصة الخلجية منهم (٢١) .

وبعد ان باءت الحملات العباسية التي أرسلت للقضاء عليه بالفشل ، أحس المهدي الخليفة العباسي بخطورة الموقف فأعطى القيادة الى جبريل ابن يحيى فحقق هذا اول نصر ضد المقنعية .

ولكن حدوث ثورة يوسف البرم الخارجي سنة ١٦٠ هـ / سنة ٧٧٧م اجبر العباسيين على ايقاف العمليات العسكرية موقتا ضد المقنع وتركيز الجهود للقضاء على يوسف البرم في بخارى . وما ان قضي على الثورة الخارجية حتى عاد الجيش العباسي سنة ١٦١ هـ / سنة ٧٧٨ م بقيادة معاذ بن مسلم ثم سعيد الحرشي فركز هجماته ضد المقنعية مما اضطرهم الى الانسحاب الى حصن سنام وتحصنوا فيه (٢٢) .

وكان المقنع قد استعد لحصار طويل الامد ففشلت كل المحاولات

---

(١٩) تاريخي بخارى ، ص ٦٢ - ٧٤ . - ابن الاثير ، حـ ٦ ، ص ٢٥، ٣٤ - ٣٥ .

(٢٠) البغدادي ، ص ٢٥٧ . - البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٢١١ . ابن الاثير ، حـ ٦ ، ص ١٢ .

(٢١) Sadighi, op. cit, PP. 162ff. Moscati, op. cit, PP. 334ff.

العدوى ، المجتمع العربي ومناهضة الشعوبية ، ص ١١١ وما بعدها .

(٢٢) الطبري ، حـ ٣ ، ص ٤٧٦ . - ابن الاثير ، حـ ٦ ص ٣١ . - ابن خلكان ، حـ٢، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

لاقناع المقنع بالتسليم ، على ان انضمام ٣٠ الفا من المقنعية الى الجيش العباسي اوهن من قوة المقنع ولكنه لم يستسلم .

نهايـة المقنـع :

لم يبق مع المقنع في لحظاته الحرجة حين بدا الجيش العباسي يدخل من منافذ القلعة الا ٢٫٠٠٠ مقاتل وحينئذ جمع المقنع أتباعه واخبرهم بأنه مختف وسيعود حتما ليمكنهم من الارض . ثم سقى اصحابه ونساءه وأطفاله شرابا مسموما ، ثم ألقى بنفسه في التنور فاحترق عن آخره ولم يكشف له عن أثر على حد قول أغلب الروايات التاريخية الآنفة الذكر .

وهكذا انتهت حركة المقنع سنة ١٦٣ هـ / سنة ٧٨٠ م وسمع بها الخليفة المهدي وكان حينذاك في حلب . ولذلك فان صاحب (كتاب تاريخي بخارى) يخطىء حين يظن ان الحركة انتهت سنة ١٦٧ هـ / سنة ٧٨٣ — ٧٨٤ م (٢٣) .

استمرار المقنعيـة :

وتشير بعض المصادر الى استمرار وجود أتباع المقنع في مناطق مختلفة من ايران وخاصة بين العوام والضعفاء من الناس . ويقول البيروني « بانهم يدينون بدين المقنع مستخفين منتحلين في الظاهر للاسلام » . ولعل أهم مناطق انتشارهم بلاد ما وراء النهر حيث كانوا موجودين في القرن الثالث عشر الميلادي (٢٤) .

---

(٢٣) تاريخي بخارى ، ص ٧٤ .

(٢٤) البغدادي ، ص ٢٥٩ . — المقدسي ، احسن التقاسيم ص ٣٢٣ . — البيروني، ص٢١١.

الخاتمـــة :

ان حركة المقنع هي واحدة من سلسلة الحركات الايرانية التي قامت في العصر العباسي الاول . فقد انضم الايرانيون الى بهانريد واستاذ سيس وسنباذ واسحق الترك قبل ان تظهر حركة المقنع . كما انضم الايرانيون الى حركات الخوارج في سجستان وخراسان والى حركات العلويين فـــي خراسان والديلم والى ثورات الولاة والقواد العرب في ايران مثل جهور العجلي وعبد الجبار الازدي ورافع بن الليث . ويمكننا ان نلاحظ قاعدة عامة وهي انضمام الايرانيين الى كل ثورة تحمل شعار مضاد للعباسيين سواء كان قادة هذه الثورات ايرانيين ام عربا . وهذا مما يدل عـــلى رد الفعل العنيف الذي كان حصيلة البون الواسع بين ما كان يتوقعه الناس من العباسيين وبين ما استطاع العباسيون ان يطبقوه فعلا في مجـــالات السياسة الادارية والدينية والمالية .

على أن أهم ما امتازت به حركة المقنع الخراساني هي (نزعة التوفيق) حيث حاول المقنع ـ لاسباب سياسية مصلحية ـ أن يجمع بين تعاليـــم ايرانية قديمة (مجوسية) وبين تعاليم اسلامية (غالية) لكي يضـــم اليـــه أكبر عدد من الاتباع . فكان يلوح لكل كتلة بشعارات معينة تستهوي تلك الكتلة بالذات . ولذلك يقول ابن الاثير (٢٥) بان حلقة صغيرة مـــن أتباع المقنع المخلصين كانوا وحدهم يعرفون حقيقة مبادىء المقنع واهدافه . اما البقية فكانت تجتذبهم الشعارات البراقة التي كان يطرحها المقنع .

ولا شك فان المبادىء الدينية والسياسية التي نادى بها المقنـــع الخراساني كانت تمثل خطرا على ديانة الدولة العباسية (الاسلاميــــة) وعلى كيانها السياسي . فمن وجهة النظر الدينية كانت تشكل سلسلة من الحركات (الهرطقية) المنشقة تلك الحركات التي تبرقعت بالاسلام وتبنت بعض آرائه في الظاهر ولكنها في الواقع لم تكن حركات هرطقية منشقـــة بالمفهوم المعروف للاصطلاح لانها كانت تهدف الى احيـــاء ديانة فارسيـــة قديمة وتقاليد ايرانية عفى عليها الاسلام . ولكنها كانت من وجهة النظـــر السياسية تشكل خطرا عسكريا وسياسيا يهدد الدولة العباسية ونفوذهـــا في المشرق الاسلامي .

---

(٢٥) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، حـ ٦ ، ص ٢٥ وما بعدها ، ص ٣٤ وما بعدها .

البَابُ الثَانِي

في المظاهر الحضارية

حول العلاقات العباسية ـ الكارولنجية

مقدمـــــة :

لعل موضوع هذا البحث ـ الذي يعتبر في جوهره بحثا في العلاقات بين الشرق والغرب في حقبة مهمة وحساسة من العصور الوسطى ـ يكشف لنا مرة اخرى مدى الحاجة الى العمل الدؤوب المتواصل لابراز العوامل المادية والروحية التي كانت تتحكم في طبيعة الصلات بين الشرق والغرب . ذلك لان المشاكل والصعوبات التي اعتورت هـذه العلاقـات في العصـور الوسطى بكل ما فيها من مظاهر ، تواجهنا اليوم في القرن العشرين رغـم اختلاف المفاهيم وتطور الاطر وتعقدها (١) . ومن هنا تأتي قيمة هـذا الموضوع في الكشف عن الجذور التاريخية لطبيعة هذه العلاقات .

على ان هناك عقبات عديدة تعترض عمل المؤرخ . يقـول البروفسور هاملتون كب (٢) :

---

(١) Braudel, La Mediterranée et le Monde Mediterraneen ,,, Paris, 1949, P. 637.

(٢) هاملتون كب ، دراسات في حضارة الاسلام ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٦٢ .

« على المؤرخ الذي يرغب في تقديم صورة تاريخية عن القرون الوسطى ، أن يقوم بجمع النبذ المتناثرة من المعلومات ثم يسد الثغرات المتبقية بالاستنتاج المنطقي » .

ولكن المشكلة التي تواجهنا عند البحث في طبيعة العلاقات الدولية بين الشرق والغرب اعقد من ذلك بكثير ، فالنصوص التي لدينا غامضة ومقتضبة وقد حملها المؤرخون اكثر من طاقتها ولم يعد بعض ما استنتجوه يدخل في باب الاستنتاج المنطقي الذي اشار اليه البروفسور كب .

ثم هناك التحيز ... فقد اعتادت اوربا الغربية خاصة بعد منتصف القرن السادس عشر الميلادي على مستوى حضاري امتاز بتفوقه المادي والثقافي . وقد نسي مفكرو اوربا وكتابها او تناسوا المستوى الحضاري الواطىء الذي عاشته مجتمعاتهم في العصور الوسطى (٣) . بل انهم لم يتحملوا حتى التفكير في حضارات لم تكن في يوم ما منافسة لهم ماديا وروحيا فحسب بل أرقى منهم درجات عديدة . وهذا ما اكد عليه المؤرخ الكبير البروفسور بارتولد حين قال :

« نجد أن أوربا الغربية في القرون الوسطى كانت بلدا متأخرا قياسا للشرق مسيحيا كان ام مسلما تماما كتأخر الشرق اليوم بالقياس الى اوربا الغربية ... ولكن نجد الاسس المتبعة في طرق البحث التاريخية تجد صعوبة في ازالة الخرافة التي تعتبر أوربا ، في كلّ العصور تحتل تلك الاهمية العالمية سياسيا وحضاريا كالتي تتمتع بها الآن » (٤) .

لقد تصور هؤلاء الكتاب والمؤرخون أن الغرب الذي استطاع أن يحصلَ على « الامتيازات » من الدولة العثمانية وحصلت دوله على حقوق لحماية الاقليات المختلفة في تلك الدولة كان بمقدوره ان يحصلَ على امتيازات وحقوق حماية من الدولة العربية في العصور الوسطى .

وهناك عقبة اخرى وهي « النظرة المسبقة » تلك النظرة التي نظر بها المجتمع الاوربي الغربي الى المجتمع الاسلامي . فلقد كانت الصورة التي

---

(٣) R. W. Southern, Western Views of Islam in the Middle ages, Cambridge, Mass. 1962, pp. 2. ff.

(٤) راجع مقدمة الناشر الروسي الاستاذ خاليدوف في (دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى) بغداد ١٩٧٣ .

يحملها الاوربيون عن العرب وعقيدتهم الاسلامية صورة مشوهة لا تمت الى الحقيقة بصلة ولم تتعدل هذه الصورة وتتعرض لمحاولات للتقويم واعادة التقييم الا في القرن الثالث عشر الميلادي (٥) . حين ازداد اتصال الاوربيين بالشرق بطرق شتى سلمية وحربية وتعرفوا على حضارته ونظمه حيث بدأ الطلبة يستمعون الى مناقشات اساتذتهم للعلوم التي نقلوها عن العرب وخاصة في الفلسفة والطبيعيات وبدأوا يستعملون الارقام العربية في حساباتهم علانية بعد ان كانت ممنوعة وتدارسوا بوصلة العرب « وظهر لهم أنها ليست من عمل الشيطان ولا تستخدم في تضليل البشر !! » كما كان يدعي رجال الكنيسة (٦) .

لقد كان أرنست رينان (٧) من المؤرخين الغربيين الرواد الذي تعرض بصورة جدية وعلمية للعلاقات بين الشرق العربي والغرب الاوربي في العصور الوسطى ، الا ان مؤرخي عصره لم يتمثلوا به . حتى جاءت الفترة بين الحربين العالميتين فشهدت جهودا محمودة لاظهار التاثير العربي على الغرب فكان ما كتبه مونيريه ونيري (٨) شاهدا على ذلك . ثم تعاقبت البحوث والمقالات تعالج العلاقات السياسية والحضارية والحربية في فترات مختلفة (٩) .

لقد كان قيام الدولة العربية يمثل مشكلة سياسية وحضارية عنيدة

---

(٥) Southern, op. cit., pp. 34 ff.

(٦) هارولد لامب ، شعلة الاسلام ، بغداد ، ص ٦١٧ فما بعد .

(٧) E. Renan Averroes et l'averroisme, 1852.

(٨) U. Monneret de Villard, lo studio dell Islam in Europa nell XII e nel XIII Se cola 1944.

G. Thery, Tolede, Grande Ville de la Renaissance. 1944.

(٩) N. Daniel. Islam and the West: The making of an Image 1952.

H. A. R. Gibband Bowen, Iseamic Society and the West London, I, 1950, II, 1954.

R. Frye, Islam and the West, Netherlands 1957.

F. Hitti, Islam and the West, London, 1962.

B. Lewis, The Middle East and the West, London 1964.

للغرب المسيحي . وكان على الغرب ان يجابهها عسكريا وعقائديا من جهة وأن يتعامل معها من جهة أخرى تجاريا وحضاريا . وفي الوقت الذي كان لدى الغرب الكثير لمجابهة اليهود والرد عليهم ، لم يكن لديه أي تراث فكري يعينه على مجابهة الاسلام كقوة سياسية وفكرية (١٠) . لقد كانت دولة العرب المسلمين دولة منتصرة قوية فاتحة . لم تقاوم الهجمات البيزنطية فحسب بل ردت عليها بهجمات موفقة وصلت بها الى ضواحي القسطنطينية . كما وان العرب المسلمين هاجموا آراء الكنيسة حول طبيعة المسيح وعبادة الصور المقدسة . وكان الفكر والثقافة الاسلاميين ارفع درجات عديدة من المستوى الاوربي . وليس هذا فحسب بل ان المجتمع الاوربي كان مجتمعا زراعيا اقطاعيا كنسيا بينما كان المجتمع العربي الاسلامي مجتمعا تجاريا بالدرجة الاولى يمتاز بمدنه الكبرى . ولم يكن في الاسلام ذلك النظام الكنسي بأديرته ورهبانه الذين يحتلون مكانا رئيسيا في البنية الاجتماعية . وبكلمة مختصرة فان الفارق كان كبيرا لانه فارق بين مجتمع متأخر بطيء ومجتمع ناضج متطور . على ان هذا الفارق لم يحل دون الاتصال والاحتكاك اللذين اتخذا اشكالا ومجالات مختلفة سنقتصر على ذكر مجالين اثنين منها هما : المجال العسكري والمجال الدبلوماسي ـ السياسي .

العلاقات الحربية :

لقد كان « الروم » أو البيزنطيون العدو الذي استطاعت الدولة العربية الاسلامية ازاحته من الشام ومصر وتعقبه الى الاناضول برا وبحرا في صوافي وشواتي سنوية مستمرة .

والمعلوم أن الحجاز والشام ارتبطتا بروابط جغرافية وبشرية وتجارية

---

(١٠) Southern, op. cit, p. 3 عن علاقات الدولة العربية الدولية من الناحية القانونية، راجع:
M. Khadduri, War and Peace in the Law of Islam Baltimore, 1955.

قبل الاسلام ولذلك فقد كان اتجاه العرب بعد تأسيس دولتهم في الحجاز الى تحرير الشام من سيطرة البيزنطيين ونجحوا في ذلك سنة ٦٣٨ م حيث زار الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس التي اشترط سكانها ان يسلموا مفاتيحها للخليفة بالذات (١١) . ويشير المؤرخ ثيوفانيس الى ان رجال الكنيسة لم يكونوا مرتاحين لتغير السلطة السياسية من بيزنطية الى عربية (١٢) . كما وان السلطة البيزنطية لم تكن لتستكين لهذا الانحدار الذي سلبها اقليما من اغنى اقاليمها ولذلك استمرت المعارك دون ان تؤثر في تغيير الوضع السياسي .

وكانت فلسطين في العهد البيزنطي منقسمة الى ثلاثة اقسام ادارية (١٣) :

فلسطين الاولى ومركزها قيصرية وتضم اورشليم (القدس) ونابلس ويافا وغزة وعسقلان وغيرها .

فلسطين الثانية ومركزها بيسان ومن مدنها جدرة وطبرية .

فلسطين الثالثة ومركزها البتراء .

وقد وجد العرب هذه التقسيمات الادارية البيزنطية امامهم فاهتدوا بها في تنظيم ادارة البلاد ، فقسم عمر بن الخطاب الشام الى (أجناد) اربعة : جند دمشق ، جند حمص ، جند الاردن ، جند فلسطين .

وكان جند فلسطين يشمل المنطقة من سهل عكا شمالا والبحر المتوسط غربا وصحراء التيه ومصر جنوبا والبحر الميت شرقا . وكانت الاجناد الشامية تشبه الى حد كبير (البنود البيزنطية) وقد لاحظ المؤرخ المسعودي هذا الشبه فقال : (١٤) .

« ارض الروم واسعة ... مقسومة في قديم الزمن الى اربعة عشر قسما أعمال مفردة تسمى البنود . كما يقال أجناد الشام كجند فلسطين والاردن ودمشق ، غير أن بنود الروم أوسع من هذه الاجناد وأطول » .

---

(١١) فيليب حتي ، تاريخ سوريا ، بيروت ١٩٥٩ ، جـ ٢ ص ١٥ .

(١٢) Ibid

(١٣) فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، القاهرة جـ ١ ص ٢٨٥ فما بعد .

(١٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ١٥٠ .

ويشير لي سترنج (١٥) الى ان اقليم (فلسطين الاولى Palestina Prima) بقيت على اسمها في العهد العربي الاسلامي اما فلسطين الثانية Palestina Secunda فقد ضمت الى جند الاردن . وقد ادخل قسم من فلسطين الثالثة Palestina Tertia الى جند دمشق والقسم الاخر الى جند فلسطين (الاولى) .

لقد حلت الدولة العربية محل الساسانيين في الحرب الطويلة الامد بين الشرق والغرب . واصبحت الدولة البيزنطية « دار الحرب » بالنسبة للعرب المجاهدين . ولكن جبال الاناضول الوعرة ووديانها العميقة وقفت حجر عثرة في سبيل تقدم الجيوش العربية على ان الحرب استمرت سجالا بين الطرفين تشتد مرة وتخف اخرى في صدر الاسلام والدولة الاموية (١٦) . وقد حوصرت القسطنطينية أثناء ذلك ثلاث مرات (٦٦٨–٦٧٠) و (٦٧٤–٦٨٠) و (٧١٥–٧١٧م) (١٧) .

وقد منعت الاضطرابات الداخلية في أوائل العصر العباسي (١٨) الخلفاء العباسيين من « الجهاد » ضد الروم ولكن الدولة حاولت جاهدة ان تبقي روح الجهاد ومظاهره مستمرة وذلك لسببين :

الاول – ان الجهاد من واجبات الخليفة الدينية الرئيسية حيث كان عليه ان يعمل لاضافة اقاليم جديدة من (دار الكفر) الى (دار الاسلام) .

الثاني – لقد استعملت بلاد الروم ملجأ لاعداء الدولة والثوار .

على ان اهم ما يميز الحرب العربية – البيزنطية في العصر العباسي هو اقتصارها على اشتباكات فصلية تتخللها هجمات تتفاوت في العمق داخل حدود الدولة المعادية . ولعل هذا الاختلاف في المجهود الحربي تجاه

---

(١٥) Le Strange, Palestine under the Moslems, p. TP.

(١٦) فتحي عثمان ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، القاهرة

E. W. Brooks, Byzantines and Arabs in the time of the early Abbasids EHR, XV, 1900. 1901,

(١٧) B. Lewis, Constantinople and the Arabs, pp. 12-17.

(١٨) فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، الجزء الثاني ، فصل السياسة الخارجية ، دمشق ١٩٧٣ .

البيزنطيين يعود الى ان وجهة الدولة العباسية وجهة شرقية لا غربية . رغم ان سياسة الاتجاه نحو الاقاليم الشرقية والاهتمام بها كانت سياسة اموية بداها هشام بن عبد الملك ولم تكن بدعة عباسية جديدة : ومهما يكن من امر فقد اهتم الخليفة ابو جعفر المنصور بمنطقة الحدود مع البيزنطيين وكان جل عمله دفاعيا لا هجوميا فقد اعاد تحصين المنطقة التي دمرها قسطنطين الخامس وبنى بها حصونا جديدة . وتعطينا مصادرنا التاريخية معلومات جيدة عن الجهود التي بذلها المنصور وعن الامكانات البشرية والمالية التي انفقها من اجل ان يضع أساسا جديدا لاقليم الثغور . واستعمل المنصور وسائل اغراء كثيرة لحث الجند والناس على العمل في الثغور منها : زيادة العطاء لكل مقاتل عشرة دنانير اضافية وتخصيص معونة قدرها ١٠٠ دينار لكل واحد منهم وبناء بيوت خاصة لاقامتهم مع عوائلهم .

واذا كان عهد المنصور مرحلة استكمال الدفاع والتحصينات فان عهد ابنه المهدي شهد تصاعد العمليات الحربية فقد « استتم [المهدي] ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها » ثم اخذ زمام المبادرة في عدة حملات هجومية كان اهمها حملة ٧٧٩ م و ٧٨٢ م . وكان الانتصار الذي تحقق سنة ٧٨٢ م كبيرا حيث حاصر الامير هارون بن المهدي القسطنطينية بعد ان قاد جيشه عبر الاناضول وحصل على جزية كبيرة وعاد الى بغداد حيث استقبل بمظاهر العظمة والتهليل ومنحه ابوه لقب « الرشيد » . الا ان هذه الحملة كانت آخر حملة وصلت الى اسوار القسطنطينية التي ظلت لقرون عديدة في مأمن من هجوم اسلامي جديد .

وقد عني الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦ ـ ٨٠٨ م) عناية كبيرة بتنظيم منطقة الحدود بينه وبين البيزنطيين . فقد عزل الثغور عن الجزيرة وقنسرين وجعلها منطقة واحدة سماها « العواصم » (١٩) . وقد نظمت الدولة خطين للدفاع على الحدود البيزنطية . الاول هو « الثغور » والى جنوبها الخط الثاني « العواصم » التي سميت بهذا الاسم لان المسلمين يعتصمون بها من الثغور فتعصمهم .

وكانت منطقة الثغور التي اهتم بها الرشيد تنقسم الى ثلاثة

---

(١٩) E. I. (2) Haroun Al-Rashid by F. Omar.

مناطق (٢٠) :

المنطقة الشرقية : وتشمل حصون قاليقلا وكمخ وقلوذية .

المنطقة الوسطى : وتشمل حصون الحدث وزبطرة وملطية .

المنطقة الغربية : وتشمل حصون المصيصة وطرسوس وآدنة .

اما الخط الفاصل بين الثغور والعواصم فقد حدده ابن الفقيه بانه خط منبج من جهة الى انطاكية من جهة اخرى فما كان الى شمال الخط فهو من الثغور وما كان الى جنوب الخط فهو من العواصم . ويمر هذا الخط بحصون الجومة وقورس وتيزين . وكان مركز العواصم منبج .

وزاد في تحصين الجبهة ببناء حصون جديدة وترميم الحصون القديمة فقد بنى كفربيا بجوار المصيصة وعمر طرسوس وشحنها باكثر من ٦٠٠٠ مقاتل . وبنى وحصن عين زربى وشحنها بالرجال . كما زاد في بناء الهارونية واعاد بناء حصن الكنيسة السوداء وعمر مدينة الحدث وبنى حصن زبطرة (٢١) .

واهتم الرشيد بارسال الحملات كل سنة للجهاد ضد البيزنطيين وكان يقود الحملات بنفسه كما في سنة ١٧٠ هـ وسنة ١٨١ هـ/٧٩٧م او يرسل قادة من البيت العباسي لقيادة الحملات . وليدلل على اهمية هذه الحملات ولاظهار سطوة الدولة العباسية عين الرشيد سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م لابنه القاسم بولاية العهد بعد اخويه الامين والمأمون وسماه المؤتمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم واشخصه الى منبج فأنزله اياها . ولعل اهم حملة قادها الرشيد بنفسه كانت سنة ٨٠٤ م حين نقض نقفور امبراطور الروم الصلح مع العباسيين وكتب الى الرشيد :

« من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب .. اما بعد فان الملكة التي كانت قبلي [يقصد ايريني] اقامتك مقام الرخ واقامت نفسها مقام البيدق . فحملت اليك من اموالها ما كنت حقيقا بحمل امثالها اليها ؛ لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن . فاذا قرات كتابي فاردد ما حصل قبلك من اموالها. وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك والا فالسيف بيننا

---

(٢٠) محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية عند جبال طوروس ١٤٧ ــ ١٤٨ .

(٢١) فتحي عثمان ، المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٥٨ ــ ١٦٣ .

وبينك » .

ولما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب وكتب على ظهر الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. من هارون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ان تسمعه » (٢٢) .

ولم يكن نقفور مهيأ للقتال لنشوب ثورة مفاجئة داخلية ، فهاجم الرشيد هرقلة ثم تقدمت جيوشه حتى وصلت ابواب انقرة فاتحة امامها حصون الصفصاف ودبسة . فعرض الامبراطور دفع الجزية ووافق الرشيد على ذلك . ولكن البيزنطيين عادوا فأغاروا على عين زربة والكنيسة السوداء سنة ٨٠٦م فجابههم الرشيد واستولى على عدد من القلاع الهامة مثل هرقلة وطوانة شمالي لؤلؤة ورضخ نقفور لطلب الرشيد بان يدفع ٣٠٠ الف دينار ويعمر بعض القلاع التي هدمت . واتخذ الرشيد قلنسوة مكتوب عليها « غاز حاج » وتعتبر هذه الحملة اقصى ما وصلت اليه الجيوش العباسية في ارض الروم (٢٣) . على ان كل هذه المعارك لم تكن تستهدف توسيع رقعة الدولة العربية او أقامة ادارة احتلال دائم في الاناضول بل سرعان ما كان الجيش العباسي يعود الى قواعده في مناطق الثغور والعواصم .

وفي مجال النشاط الحربي البحري فان التاريخ يسجل للعباسيين عنايتهم بتحصين الموانىء الشامية الا انهم نظروا اليها كقواعد دفاعية لا هجومية وكحدود لدولتهم ينبغي حمايتها والدفاع عنها .

ورغم استمرار حالة الحرب على الحدود العربية ـ البيزنطية الا ان الايام « المجيدة » للفتوحات كانت قد ذهبت وهذا ما دعا الناقد الاجتماعي الجاحظ الى تصوير المقاتلة وكأنهم قد انقلبوا الى قصاصين وشحاذين يروون للناس اخبارهم ويعيشون على ذكريات الماضي المجيد(٢٤) .

---

(٢٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١٠ ص ٩٤ فما بعد .

(٢٣) يقول ابن الداية في كتابه (المكافأة) : ان نقفور اعلن الاحتفال والسرور حين سمع بنبأ وفاة الرشيد ، ص ٨٠ ـ انظر كذلك

B. Lewis, An Arabic account ...., p. 383

(٢٤) البيهقي ، المحاسن ، جـ ٢ ص ٦٢٢ فما بعد .

العلاقـات الدبلوماسيـة :

لم تكن العلاقات بين الشرق والغرب مقصورة على العداء والحرب ، بل شملت صلات وديـة مع الامبراطوريتين البيزنطيـة والفرنجـة (الكارلونجية) .

لقد كانت تتخلل الحروب بين العرب والبيزنطيين فترات سلميـة يتبادل فيها الطرفان الاسرى والوفـود . كما ساعد امبراطـور الروم (البيزنطيين) الامويين في عملية اعادة بناء بعض المساجد في الحجـاز والشام . وكانت التجارة نشطة بين الدولتين برا وبحرا . وتشير رواية الى ان عبد الملك بن مروان استعان بخبرة البيزنطيين في مشروعه لتعريب السكة (النقود) (٢٥) . كما استقبل المنصور سفيرا بيزنطيا بعد انتقاله الى بغداد عاصمة العباسيين الجديدة الذي اشار على الخليفة ، كما تقول الرواية ، بألا يبني السوق داخل سور المدينة حفظا للامن من الشغـب والتجسس (٢٦) .

واذا كانت رواياتنا عن العلاقات العربيـة ــ البيزنطيـة الحربيـة والسلمية واضحة وصريحة لانها في الغالب تتصل بالجهاد ، فان الطابـع الاسطوري الغامض يغلب على الروايات القليلة الغامضة المتعلقة بالعلاقات العربية ــ الفرنجية (الكارولنجية) تلك العلاقات التي تلتزم المصادر العربية حولها جانب الصمت ولا تذكرها الا ثلاثة مصادر لاتينية هي (الاخبـار الملكية الفرنكية) (وسيرة الامبراطور شارل الكبير (شارلمان)) لاينهارد وما كتبه الراهب سنت كول ، S't Goll (٢٧) .

ان العلاقات العربية ــ الفرنجية (الكارولنجية) هي في الواقـع ما يعالجه الكتاب الذي بين ايدينا وسيجد القارىء ان المؤرخين اختلفوا ليس فقط حول طبيعة هذه العلاقات واهدافها بل على حقيقة وقوعها . تشـير بعض الروايات اللاتينية المضطربة الى ان شارلمان امبراطور الامبراطورية الكارولنجية بدأ بخطب ود الخليفة هارون الرشيد فارسل له وفدا رسميا

---

(٢٥) هاملتون كب ، دراسات في الحضارة الاسلامية ، الفصل الثالث ص ٦١ فما بعد .

(٢٦) فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، الجزء الثاني ، ص ١٨ دمشق ١٩٧٣ .

(٢٧) مجيد خدوري ، الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، بغداد ١٩٣٩ص٤

سنة ٧٩٧ م ، ثم ارسل رسولا الي بطريق القدس سنة ٧٩٩م، وقد رد الرشيد بارسال وفد سنة ٨٠١ م ، واعقبه شارلمان بارسال وفد ثاني سنة ٨٠٢ م فرد عليه الرشيد بوفد سنة ٨٠٧ م . وكانت الوفود تحمل الهدايا المختلفة الى كل من العاهلين . كما ارسل شارلمـــان هبات الى الاماكن المسيحية المقدسة في فلسطين مما دعا بطريق القدس الى ارسال وفـــد سنة ٨٠٠ م يحمل مفاتيح كنيسة القيامة ومدينة القدس ورايتـها الى شارلمان . وقد حمل بعض الباحثين الاوروبيين هــذه الروايات المفعمة بالخيال والغامضة في مصادرها الاصيلة اكثر مما يجب ، فابتدعوا اسطورة تاريخية جديدة فحواها ان شارلمان اصبح حاميا للاراضي المقدســة في فلسطين واميرا على القدس بموافقة الخليفة مقابل ان يحاول شارلمـــان الاستيلاء على الاندلس باسم العباسيين ويقف ضد البيزنطيين ليحول دون تهديدهم البري والبحري للدولة العباسية .

لقد كان دي ريان (٢٨) اول من ايد هذه الفرضية بدراسة مسهبــة مبنية على المصادر اللاتينية ولكن المؤرخ الروسي الشهير بارتــولد (٢٩) عارضها بمقالة سنة ١٩١٢ ، وهي المقالة التي يجدها القارىء في متن هذا الكتاب ، وقد انكر بارتولد ان يكون شارلمان قد فاوض الرشيد وان هذا الاخير لم يعطه اي حق في الحماية على فلسطين واستند بارتولد في رأيه هذا على سكوت المصادر العربية والمسيحية الاخرى عدا المصادر الثلاثة اللاتينية. ويرى بارتولد ان ما يسمى « بالوفود » لم يكن اكثر من تجار يهود لا سفراء رسميين . وقد رد فاسيلييف (٣٠) على مقالة بارتولد بمقالة سنة ١٩١٤ اكد فيها ان شارلمان اصبح حاميا لمسيحيي فلسطين وصار له حق انشاء

---

(٢٨) Conte de Rian, Inventaire Critique des lettres relatives au Premier Croisade, Paris, 1880.

(٢٩) بارتولد ، هارون الرشيد وشارلمان (بالروسية) في I. Khristainsky Vostok سنت بطرسبرغ ١٩١٢ .

(٣٠) فازيليف ، هارون الرشيد وشارلمان (بالروسية) XX, Vizantinsky Vremiennik سنت بطرسبرغ ١٩١٤ .

كنائس وخانات للحجاج الاوروبيين الى الاراضي المقدسة . وايده برييه(٣١) مشيرا الى ان ارسال مفاتيح الكنيسة المقدسة (القيامة) والراية معناه اعطاء شارلمان حق الحماية باذن الرشيد .

وقد تصدى كلينكلوز (٣٢) سنة ١٩٢٩ وجورانسون (٣٣) سنة ١٩٢٦ لفرضيات برييه ورد هذا الاخير على اقوال ناقديه سنة ١٩٢٨ (٣٤).

ثم جاء بكلر فكتب مقالة سنة ١٩٣١ حول الموضوع فاضاف عنصرا خياليا تصوريا (٣٥) للمناقشة الحادة مدعيا ان الدبلوماسية العباسية هدفت من وراء اعطاء شارلمان امتيازات سياسية في فلسطين وتعيينه اميرا عليها ان تستخدمه مقابل ذلك في الهجوم على الاندلس واعادتها الى حظيرة الدولة الاسلامية !! . ولا شك فان هذه الافتراضات لا تقف امام النقد الموضوعي ولا تنسجم مع سياسة هارون الرشيد وروح العصر الذي عاش فيه .

واخيرا اشترك المؤرخ رنسيمان (٣٦) في المشادة فدحض « اسطورة الحماية » مؤكدا انها من اختراعات الراهب سنت كول المستندة على روايات اينهارد الغامضة .

---

(٣١) Brehier : Les Origines des Rapports entre
Idem, La Situation des chretiens de Palestine ...,, in
Paris, 1919.
Idem, La Situation des chretiens de Palestine ...,, In
Croisades, Paris, 1919. 1928.

(٣٢) Kleinclausz, La Legende de la Protectorate de charlemagne
... Paris, 1926.

(٣٣) Joranson, The Alleged Frankish Protectirate in Palestine,
A. Historical Rev. XXXI, 1926-27,

(٣٤) Brehier, Charlemagne and la Palestine R. H. Paris 1928
pp, 277-91.

(٣٥) Buckler, Charles the Great and Harun al-Rachid Cambridge,
Mass, 1931,

(٣٦) S. Runciman, Charlemagne and Palestine in EHR, 1935.

اما المؤرخون العرب فقد ايد بعضهم فرضية الحماية حيث ناقشها جميل نخلة المدور الا ان كتابه مفعم بالخيال وهـو اقرب الى الروايـة القصصية منها الى التاريخ المحقق فهو لا يذكر مصادره او يحمل نصوصه اكثر من طاقتها ، كما ناقشها الاستاذ محمد عبد الله عنان ولم يخرج منها بنتيجة محققة بل انه خلط بين الوفود الرسمية ووفود بطريق القدس (٣٧). اما الدكتور مجيد خدوري فقد ناقشها مناقشة موضوعية مسهبة معتمدة على المصادر فكانت دراستـه احسن دراسة علمية حديثة للموضوع وهو يرى :

« بان المصادر اللاتينية المعاصرة بالغت كثيرا في خطورة هذه الصلات وفي شأنها السياسي فنسجت حول البعثات الدبلوماطيقية ما شاءت اهـا مخيلات مؤلفيها ان تنسجه من الاراء تعظيما لمركز الامبراطور شارلمان في الغرب » (٣٨) .

صحيح ان المصلحة السياسية كانـت تدعو الدولتين العباسيـة والكارلونجية (الفرنجية) الى التقارب لان عدوهما المشترك كان واحـدا الا وهو البيزنطيين والامويين في الاندلس . فكانت الدولة العباسية في نزاع حربي مستمر مع البيزنطيين بينما كانت الدولة الكارلونجية في حـروب مستمرة مع العرب الامويين في الاندلس (٣٩) من جهة ، ومن جهة اخرى كان العباسيون يعتبرون الامويين متمردين وقاموا بعدة محاولات لاستعادة الاندلس . وكان النزاع على اشده بين البيزنطيين والكارولنجيين حيث كان كل منهما يعتبر نفسه الوريث للمجد السياسي للامبراطورية الرومانيـة القديمة . وزادت البابوية في توتر الصلات بين الطرفين فقد ناصر البابـا

---

(٣٧) المدور ، حضارة الاسلام في دار السلام ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ٢٦٦ فما بعد . ـ عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ، القاهرة سنة ١٩٢٩ ، ص ٣٢ فما بعد . انظر كذلك الدوري ، العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ . ص ١٤٩ ـ ١٥٦ . ـ زهدي الداية ، هارون الرشيد وشارلمان مجلة الهلال سنة ١٩٣٢ ص ٩٦٨ فما بعد . ـ فاروق عمر ، هارون الرشيد في (دائرة المعارف الاسلامية) الطبعة الجديدة . ـ عبد المنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٢ ـ ٧٨ .

(٣٨) مجيد خدوري ، الصلات الدبلوماطيقية بين الرشيد وشارلمان بغداد ١٩٣٩، ص ٦١ .

(٣٩) راجع : عبد المنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٥-٧٢.

الكارولنجيين وعارض بشدة سياسة البيزنطيين الدينية (الايقونية) وهي عبادة الصور المقدسة للمسيح والعذراء والقديسين وقدم الدعم المعنوي للاباطرة الفرنج الكارولنجيين وساند طموحهم السياسي للسيادة على اوربا.

ويبدو ان هناك سفارات متبادلة بين البيزنطيين والامويين في الاندلس بسبب عداء الدولتين للفرنج والعباسيين الا ان هذه العلاقات الدبلوماسية جاءت متأخرة قليلا عن الفترة موضوع البحث في هذا الكتاب حيث وقعت في بداية القرن التاسع الميلادي (٤٠) .

ان كل هذه المصالح المشتركة بين الاطراف المعنية كان من الممكن ان تؤدي الى صلات سياسية وعسكرية قوية الا ان مصادرنا لا تذكر عنها الا القليل الغامض . ورغم ان الدولة العباسية تركت السياسة الهجومية الا انها كانت تمثل الجانب الاقوى في النزاع مع البيزنطيين طيلة العصر العباسي الاول . ثم ان الرشيد عرف بسياسته الدينية المتشددة تلك السياسة التي لا تسمح له بان يعطي شارلمان حقا او امتيازا في الاراضي المقدسة بفلسطين او يسمح لبطارقة الكنيسة بالاتصال بعاهل اجنبي . وكانت الدولة العباسية في عهد الرشيد تمر بمرحلة التفكك الاداري وانفصال الولايات وقد حاول الرشيد كاجراء اصلاحي ان يقسم الدولة بين ابنائه الثلاثة . فقد انفصلت المغرب وتونس عن جسم الدولة رغم اعترافها بسلطة الخليفة . فكيف يفكر الرشيد باستعادة الاندلس وقد فقد شمالي افريقيا ؟؟.

واخيرا وليس آخرا فقد كانت الاراضي المقدسة في فلسطين وخاصة مدينة القدس ذات اهمية دينية وسياسية في وقت واحد ، حتى ان بعض الخلفاء الامويين كانوا يختارون اعلان بيعتهم فيها . كما بنى عبد الملك بن مروان فيها قبة الصخرة والمسجد الاقصى . واهتم بها الخلفاء العباسيون الاوائل حيث زاروها واصلحوا مساجدها . فكيف يحق للرشيد بعد ذلك ان يعطي امبراطور الفرنج امتيازات مهمة في فلسطين ؟

وبسبب سكوت مصادرنا العربية عن ذكر اية علاقة سياسية ـ عسكرية بين العباسيين والفرنج فلا يسعنا الا القول بانه اذا كانت هناك علاقات بين الطرفين فلا بد ان تكون ودية لعب فيها التجار ـ بعضهم من

---

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٧٨ ـ ٨٢ .

اليهود ـ دورا رئيسيا بنقل الهدايا والرسائل (٤١) . وحتى يتم اكتشاف مصادر جديدة موثوق بها تاريخيا تحتوي معلومات جديدة عن ماهية تلك الصلات الدبلوماسية فاننا نؤيد وجهة نظر بارتولد التي سيطلع عليها القارىء في متن هذا الكتاب ونقول بان ما ذكر عن هذه الصلات هو محض خيال .

الخاتمـــــة :

ان الموضوع يتعلق بالعلاقات الدولية بين الشرق والغرب وبمعنى ادق بين الدولة العباسية اعظم قوة سياسية وعسكرية وحضارية في العصـــور الوسطى وبين دولتي الغرب الاوربي (الدولة البيزنطية ودولة الفرنـــج الكارولنجية) ، والدور الذي لعبته الاراضي المقدسة في فلسطين في تطور هذه العلاقات .

لقد تعاونت حقائق التاريخ مع « روايات الف ليلة وليلة » والاساطير الفولكلورية الاخرى لتجعل من شخصية هارون الرشيد شخصية اسطورية نسجت حولها القصص الخيالية واخفت وراءها حقائق التاريخ . وهذا ما جعل اسمه معروفا وخطب وده حكام عصره من الصين الى اوروبا . مـــن هذا المنطلق يمكن ان ندرك هدف اينهارد (٤٢) مؤرخ البلاط الكارولنجي

---

(٤١) من الهدايا المتبادلة : فيلا وساعة مائية واواني نحاسية نفيسة وصيوان ملون وعطور واقمشة حريرية ومفتاح القدس ورايتها . كما ارسل شارلمان هبات ومبرات للكنيســة في القدس . انظر :

H. R. Bitterman, Harun ar-Rashid gift of an organ to charlemagne, pp. 215-217,

(٤٢) ان L, Halpnen نفســه محقق كتاب اينهارد يشكك في بعض رواياته وتحيزه الى شارلمان ، انظر

Etudes Critiques sur l'Histoire de Charlemagne, Paris (Felx Aclam) 1921, p. 81.

كما وان بارتولد يقول بان هذا الكتاب منسوب لاينهارد .

حين بالغ في رواياته عن حقيقة الصلات بين البلاط العباسي والبـــلاط الكارولنجي الا وهو تفخيم اسم سيده شارلمان عن طريق ربطه باسم هارون الرشيد وبالاماكن المقدسة في فلسطين. حيث اشار هذا المؤرخ الى ان العاهلين تبادلا السفراء والهدايا واسفرت مفاوضاتهما عن اعطاء شارلمان امتيازات معينة في فلسطين . وانقسم مؤرخو الغرب بين مؤيد لوقوع هذه الصلات والامتيازات ومعارض لها .

ان الصلات بين الشرق والغرب لم تنقطع منذ اقدم العصور حتى الان ولكنها مرت بفترات من المد والجزر وتباينت بين صلات سلمية وحربية . وتشير بعض الكتابات ان الاسكندر المقدوني حين فتح بعض اقاليم الشرق اشترط على اهلها ان يؤوا الاغريق المهاجرين والمستوطنين في اراضيهم ويعفوهم من الضرائب . واشارت بعض الروايات الاسطورية الاوروبية ان شارلمان قام بحملة صليبية لتحرير الاراضي المقدسة في فلسطين وارخت الحملة بعد قرن من وفاة شارلمان !!

وكما ترك هارون الرشيد اثرا على الخيال الاوروبي المعاصر لتلك الفترة كذلك ترك « الحشيشية » نفس الاثر . فقد زخرت الكتابات الاوروبية بالقصص حول الجنان الارضية لهذه الفرقة الدينية ـ السياسية ومجدت شجاعة « الحشيشية » ومهارتهم في التخفي ودقتهم في اقتناص الضحيــة واغتيالها . ونسجت الاساطير حول شخصية زعيم « الحشيشية » الغامضة المسمى شيخ الجبــل The old man of the mountain . كل ذلك كان له صداه في التاريخ والرحلات والشعر والادب والاسطورة في اوروبا . بل اكثر من هذا فقد ظهر في اوروبا من يعتقد بان « الحشيشية » لعبوا دورا في السياسة الاوروبية . زعمت بعض الروايات ان احدهم حاول اغتيـــال فردريك برباروسا سنة ١١٥٨ م حينما كان يحاصر ميلان وقد القي القبض عليه . وفي سنة ١١٩٥ م القى ريتشارد قلب الاسد القبض على خمســة عشر منهم كانوا قد ارسلوا لاغتياله من قبل ملـك فرنسا . وقد تعددت الروايات الخيالية حول استخدام « الحشيشية » من قبل حكام اوروبــا للتخلص من اعدائهم السياسيين . وليس هناك من شك بان كل هـــذه الروايات لا اساس لها من الصحة فليس « للحشيشية » القاطنين في الشام وفارس اية مصلحة لادخال انفسهم في الصراعات السياسية الاوروبية .

ولم يكن الاوروبيون في حاجة الى احد ليعلمهم فن الاغتيال السياسي (٤٣).

وبعد ... فان هذه الفرضية الاستشراقية حول العلاقات بين شارلمان وهارون الرشيد وما ترتب عليها من حماية شارلمان للاراضي المقدسة في فلسطين واعطائه لقب امير بيت المقدس بموافقة هارون الرشيد ان هذه الفرضية خدمت الاستعمار الحديث الذي كان في اواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين يحاول اقتسام املاك « الرجل المريض » الدولة العثمانية ... فاذا كانت اوربا في العصور الوسطى قد حصلت على امتيازات من الدولة العربية في العصر العباسي فان اوربا في العصر الحديث تستطيع الحصول على امتيازات جديدة من الدولة العثمانية ومن الكيانات السياسية الاخرى التي ظهرت بعد انهيار العثمانيين ، وبمعنى اخر فان هذه الفرضية الموضوعة اعتبرت بمثابة « سابقة » مهمة يمكن الاقتداء بها في تثبيت اقدام الاستعمار الحديث في المنطقة العربية .

كما وان هذه الفرضية تنسجم مع النظرة الاستعلائية المتحيزة التي نظر من خلالها بعض المستشرقين الى الشرق « المتخلف » الذي يحتاج الى « وصاية » . ألم يرفع الاستعمار شعار « عبء الرجل الابيض » مؤكدا ان من واجبه ان يتواجد في الشرق لكي يرفع من مستوى شعبه ويساعد على تمدينه ؟؟ الم تدع الصهيونية ، وهي فكرة اوروبية ، انها جاءت الى الشرق العربي الجاهل المتخلف لكي تبني كيانا اوربيا متحضرا يحتذى به في هذه المنطقة !!؟

---

(٤٣) B. Lewis, The Assassins, London, 1967, p. 9.

ألقاب الخلفاء العباسيين ودلالتها الدينية ـ السياسية

مقدمـــة :

لم تلق ظاهرة الالقاب الرسمية والنعوت الشخصية عناية كبيرة من قبل المؤرخين المحدثين فلم يكتب فيها الا عدد قليل منهم حيث كتب جولد تسهير عن « مغزى لقب ظل الله وخليفة الله » ، وكتب ماركوليوث عـن معنى « لقب خليفة » وتطرق فان فلوتن في مقالته « في التاريخ العباسي » الى ألقاب الخلفاء العباسيين الاوائل . كما حاول كل من دي خويه وامندروز ان يفسرا لقب « السفاح » . ثم كتب البروفسور برنارد لويس مقالة قيمة عن الالقاب الرسمية للخلفاء العباسيين الاوائل (١) .

---

(١) عن هذه المقالات انظر :
Goldziher " Ombre de Dieu..., R. H. E., 35, 1897 - Margolioth "The sence of the title Khalifah". Idem " On Mahdi Mahdism" P. B. A. 1915. Van Vloten, " zur Abbesiden Geschichte" z. d. m. g. 52, 1898. Amendroz, "On the meaning of the Laqab Al-Saffah" J. R. A. S. 1907.

اما المؤرخون العرب فربما مروا مسرعين علـى هذه الالقاب دون الاهتمام بتفسير دلالاتها او قد يتوقـف بعضهم قليلا ليكتـب شيـئا بسيطا عنها . اما كتاب حسن الباشا عن (الالقاب الاسلامية) فهو كتاب عام شامل ولهذا فهو لا يتعمق في هذه الالقاب ولا يشبعها نقدا وتحليلا (٢) .

ولعل سبب عدم الاهتمام بهذه الظواهر الحضارية والمظاهر الرسمية التي تتصل بالاصول والمراسيم هو قلة معلوماتنا عنها وخاصة في بدايات القرن العشرين . اما الان فان المصادر الاصيلة ذات الاهتمامات الحضارية بدات بالظهور مثل كتب ابن خلدون والقلقشندي والصابيء والجاحظ وغيرها حيث زاد اهتمـام المؤرخين بمـا فيها من معلومات عـن النظـم والحضارة .

كانت الحياة الاجتماعيـة والسياسيـة في القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) بسيطة غير معقدة ولذلك لم يشعر الخلفـاء الراشدون او الامويون بحاجة الى اتخاذ الالقاب ، رغم ان بعض المؤرخين يشير الى القاب ونعوت لعدد من خلفاء بني أمية . يقول القلقشندي (٣) « فذكر القضاعي في عيون الاخبار أن بني أمية لم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة وانما ابتدأ ذلك في الدولة العباسية . وحكي عن ابن حزم ان قسما منهم تلقب بألقاب الخلافة . فكان لقب معاوية الناصر لحق الله ... وكان لقب مروان بن محمد القائم بحـق الله » كما وتشـير بعض الروايات الى ان عمر بن عبد العزيز كان يلقب بالمهدي . ويؤكد ابن دحيـة نفس نظـرة القلقشندي فيقول عن المنصور أنه « أول خليفة لقب نفسه وهو أبـو الخلفاء » (٤) . وفي رسوم دار الخلافة يقول الصابي « لم يتلقب احد من بني أمية فلما انقضت أيامهم وعاد الحق الى اربابه وظهرت الدولة العباسية

B. Lewis, The Regnal Titles of the First Abbasid Caliphs. I have been able to consult this article by the Kindness of the author.

(٢) عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ . ـ ميخائيل عواد ، لقب السفاح ، المعلم الجديد ١٩٤٦ ص ٤١ ـ ٤٢ . ـ حسن الباشا الالقـاب الاسلامية .. ، القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) القلقشندي ، مآثر الانافة فى معالم الخلافة ص ٢١ ، ص ١٩٦٢ .

(٤) ابن دحية النبراس ص ٢٤ .

ثبت الله اركانها واخذت البيعة لابراهيم بن محمد قيل الامام وتلقب الخلفاء الراشدون منذ لدن ابي العباس ... » (٥) ويقول ابن عذارى نقلا عن ابن حزم متأسفا على دولة الامويين مهاجما العباسيين : « وانقطعت دولة بني امية وكانت على علاتها دولة عربية لم يتخذوا قاعدة ولا قصبة انما كان سكنى كل امير منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل خلافته ولا كلفوا المسلمين أن يخاطبوهم بالعبودية والملك ولا تقبيل يد ولا رجل » (٦) .

نستنتج من كل ذلك بان اتخاذ العباسيين لالقاب رسمية سلطانية خاصة كان ظاهرة جديدة لم يسبقها اليهم الخلفاء الامويون او الراشدون . ورغم ان أغلب الظواهر التي ابتدعها العباسيون في الادارة والحكم والمجتمع يمكن ارجاعها الى أصولها الاسلامية او غير الاسلامية في المجتمع العربي او الفارسي او البيزنطي فان ظاهرة الالقاب الخاصة هذه بدعة جديدة لم يكن لها سابقة لدى الخلفاء المسلمين او الشاهنشاه الفارسي أو الامبراطور البيزنطي .

وعلى ذلك فان تفسيرنا لهذه الالقاب يجب ان يأخذ منعطفات اخرى تتصل بالظروف السياسية والدينية للثورة العباسية والدولة العباسية وخاصة في عصرها الاول .

ويمكن تقسيم الالقاب والنعوت التي شاعت في تلك الفترة العباسية المبكرة والخاصة بالخلفاء العباسيين كالتالي :

(١) ألقاب رسمية عامة مثل امير المؤمنين ــ خليفة الله ــ ملك .

(٢) القاب رسمية خاصة مثل : الامام ، القائم ، المرتضى ، المنصور ، المهدي ، الرشيد . المعتصم بالله والخ .

(٣) ألقاب شخصية : مثل الاحول وهو لقب هشام ، والحمار والجعدي وهما لقبا مروان بن محمد والدوانيقي وهو لقب المنصور . والناقص وهو لقب يزيد الثالث الاموي . ولقب موسى بن الامين (بالشديد) (٧) ولقب ابن الهادي (الناطق بالحق) (٨) واراده ابوه ان

---

(٥) الصابىء ، رسوم دار الخلافة ، ص ١٢٩ .

(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب .. ، ص ٦٣ .

(٧) المقريزي ، خطط ، حـ ١ ص ٢٨٧ .

(٨) مخطوطة تاريخي دولة عباسية ، ص ٢٠ ب (استانبول ٢٢٦٠) .

يكون وليا لعهده بدل هارون الرشيد .

وليس يهمنا في هذا المقام الالقاب الشخصية والالقاب العامة وانما سنتكلم عن الالقاب الرسمية والخاصة ذات الصفة التنبؤية المهدوية :

الالقـــاب الخاصـــة

لا بد لنا من القول ، قبل البدء بذكر الالقـــاب الخاصة ، ان النصف الاول من القرن الثاني الهجري / الثـامن الميلادي كـان فترة مشحونـة بالتنبؤات عن قرب ظهور (المهدي المنتظر) الذي سيملأ الدنيا عدلا بعـد ان ملئت جورا وكانت هذه النبوءات تحفل بها كتب الجفر والملاحم والفتن . وكان من المألوف ان تتبنى كل ثورة على النظام القائم بعض هذه الشعارات والنبوءات وتروجها بين الناس لكسبهم الى صفها . وكان من هذه الثورات الثورة العباسية التي بدأ تنظيمها حوالي سنة ٩٨ هـ وفجرت سنة ١٢٩ م وحققت النصر النهائي سنة ١٣٢ هـ .

على أن الثورة العباسية لم تكن اول حركة تبنت هذه النبوءات كما انها لم تكن آخرها في تاريخ الاسلام السياسي .

لقـب السفـــاح :

وهو اللقب الذي يطلقه اغلب المؤرخين المحدثين على الخليفة العباسي الاول عبدالله بن محمد . وقد اختلف المؤرخون المحدثون فـي تقديـر هذا اللقب من ناحيتين الاولى من هو صاحب اللقب ؟ والثانية ما هي اهميته الحقيقية وما هو مغزاه ؟ ويعبر المستشرق امندروز عن حيرته في معرفـة السبب وراء اعطاء ابي العباس هذا اللقب ولكنه يؤكد بان هذا اللقب كان معروفا في ايام الخليفة وكان من جملة القابه (٩) . ويؤكد الاستاذ الدوري

(٩) امندروز ، المصدر السابق ، ص ٦٦٣ .

ان هذا اللقب ليس من القاب ابي العباس بل ان المؤرخين التبسوا بين عبدالله بن محمد وعبدالله بن علي فأعطوا لقب الاخير الى الاول . ويتفق البروفسور برنارد لويس مع الاستاذ الدوري في هذا الشأن . اما الاستاذ حسن الباشا فيرى بأنها من ألقاب الخليفة العباسي الاول ويرجح أنها صفة مدح تتصل بالكرم والبذل والعطاء (١٠) .

ولقد اختلف المؤرخون الاوائل كذلك حول هذا اللقب ، ومما هو جدير بالذكر ان المؤرخين الرواد كالجهشياري وابن حبيب والطبري واليعقوبي والدينوري لا يشيرون بصورة عامة الى هذا اللقب بل انهم حين يتكلمون عن الخليفة العباسي الاول يشيرون اليه بكنيته « أبو العباس » .

ولعل المسعودي (١١) يعتبر من أوائل من اطلق لقب السفاح على ابي العباس ومن ثم تبعه المؤرخون المتأخرون . على ان هؤلاء المؤرخين يختلفون كذلك في معنى هذا اللقب . اهو يعني الكرم والسخاء أو انه كان يعني التقتيل والمجازر . اما الكوفي (١٢) فيظهر أبا العباس وكأنه الشخص الثائر المطالب بدماء آل البيت من الامويين . وهنا يجدر بنا ان نذكر بأن الخليفة ابا العباس نفسه استعمله في خطبته الافتتاحية في الكوفة حين أعلن نفسه خليفة حيث قال لاهل الكوفة « ... فاسعدوا فأنا السفاح المبيح ...» ويؤكد دي خويه بأن ابا العباس كان يعد الناس بالعطاء الكثير والسخاء الوفير ولم يكن يتوعدهم بالقتل والتشريد (١٣) . ونحن نؤكد هذا الراي ذلك لان الخليفة اتبع قوله آنف الذكر بأن قال « ... والثائر المبير » وهنا دون شك يكمن الانذار والوعيد .

ان هذا اللقب « السفاح » بمعنى الجزار يناسب عبدالله بن علي عم الخليفة ابي العباس اكثر مما يناسب الخليفة . فقد كان عبدالله بن علي والي الشام ولذلك نلاحظ بأن ابن قتيبة والزبيري وصاحب مخطوط اخبار

---

(١٠) الدوري ، المصدر السابق ، ــ لويس ، المصدر السابق . ــ حسن الباشا ، الالقاب .. ص ٦٠ .

(١١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٩٢ . ــ الدوري المصدر السابق ، ص ٦٥ فما بعد .

(١٢) ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، (مخطوطة) .

(١٣) انظر تعليق البروفسور امندروز على كلام خويه في مقاله الاول آنف الذكر ص ٦٦٠ فما بعد .

العباس واليعقوبي يسمونه (بالسفاح) . وبعد ان يذكر المقدسي مجازره في الشام يقول بأنه كان يسمى (بالسفاح) ، كما وان المقدسي يشير الى الابيات التي يذكرها الكوفي ويعزوها الى ابي العباس على انها ابيات قيلت في حق عبدالله بن علي وليس في حق عبدالله بن محمد ، وهذا في راينا اكثر قبولا (١٤) .

وعلى هذا فان الاقرب الى الصواب القول بأن عبدالله بن علي كان يلقب بالسفاح بمعنى الجزار ولكن المؤرخين المتأخرين ومن بينهم المسعودي وبعض روايات اخبار العباس حين كتبوا عن الدولة العباسية صعب عليهم الا يكون للخليفة الاول لقب مثل غيره من الخلفاء العباسيين فاتخذوا لقب (السفاح) خاصة وان الخليفة نفسه كان قد نعت بـه نفسه بمعنى المعطاء وليس الجزار .

واستمر المؤرخون في اعطاء هذا اللقب الى ابي العباس وحاول بعضهم ان يبرره فقال ابن الجوزي والعيني مثلا بأن هذا اللقب أطلق على ابي العباس لانه كان يحب سفك الدماء وكان ذلك بليغا في كلامه (١٥) . والواقع ان الخليفة الاول كان معروفا بصورة عامة بمرونته وحبه للتوفيق والتساهل ويقول عنه المقدسي انه كان يكره الدماء ، وأنه امر عمه عبدالله الا يقتل أحداً الا باذنه .

وقد اضر هذا اللقب من الناحية التاريخية بالخليفة العباسي الاول ذلك لانه قاد الكثير من المؤرخين الى المبالغة في عزو المجازر والقتول التي قام بها الولاة الى أوامر الخليفة .

اننا نعتقد بأن لقب السفاح لم يكن لقبا رسميا للخليفة أبي العباس في فترة حياته وانما ابتدعه المؤرخون من بعده . وان الخليفة حين اطلق على نفسه صفة السفاح كان يعني بها المعطاء لا الجزار . وكان الخليفة ابي العباس القاب اخرى في حياته أطلقها عليه الشيعة العباسية فكان غالبا ما يسمى (الامام) وأحيانا (المهدي) والقائم والمهتدي والمرتضى . ويشير

---

(١٤) ابن قتيبة ، الامامة والسياسة (منسوب اليه) . ـ الزبيري ، نسب قريش ، ص ٢٩ . ـ مخطوطة اخبار العباس وولده ص ٦٦ أ . ـ اليعقوبي ، التاريخ حـ ٢ ، ص . ـ المقدسي ، حـ ٦ ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(١٥) ابن الجوزي ، مخطوطة تنسب اليه في B. M. . العيني ، دولة بني العباس والطولونيين والفاطميين (مخطوطة) .

القلقشندي (١٦) الى ذلك فيقول « لقد اختلف في لقب ابي العباس فقيل القائم والمهتدي والمرتضى وغلب عليه السفاح لكثرة ما سفح من دماء بني امية » ويؤيد هذا الراي هلال الصابيء (١٧) . على اننا ندرك بأن كل هؤلاء المؤرخين متأخرون . بينما نلاحظ روايات في اخبار العباس والنبذة تشير الى ابي العباس فتقول « هذا المجلي عن بني هاشم القائم المهدي ... » . ويشير المسعودي الى أن ابا العباس « لقب اولا بالمهدي » حين بويع بالخلافة . ويؤكد صاحب كتاب اخبار الدول المنقطعة بأن لقب ابي العباس هو « المرتضى » ويشير الى ان السفاح هو عبدالله بن علي عم الخليفة بسبب مجازره في الشام وتتبعه الامويين وقد قال فيه الشاعر : (١٨)

وكانت امية في ملكها تجور وتظهر طغيانها
فلما رأى الله ان قد طغت ولم تطق الارض عدوانها
رماهم بسفاح آل الرسول فحز بكفيه اذقانها

وهكذا فان صاحب كتاب اخبار الدول المنقطعة يؤيد المقدسي في نسبة هذه الابيات الى عبدالله بن علي ويعارض رواية الكوفي .

ولا يخفى ما لهذه الالقاب من خصائص دينية تتصل بنبوءات الملاحم والجفر . وقد استغل العباسيون كثرة سقوط السدم والكواكب في السنوات الاولى من حكمهم وربطوها بالنبوءات والروايات عن مجيء المنقذ المنتظر الذي سيملأ الارض عدلا مؤكدين ان هذا المنقذ هو عباسي النسب . وظهرت أحاديث كثيرة نسبت الى الرسول (ص) وكلها ذات دلالات دينية سياسية تشير الى المنقذ المنتظر ومن هذه الاحاديث عن الرسول (ص) : « يخرج رجل من اهلَ بيتي عند انقطاع من الزمن وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حسيبا » . وفي حديث آخر « منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي ... » وفي حديث آخر عن عبدالله بن عباس « منا اهلَ البيت اربعة : منا السفاح ومنا المنذر ومنا

---

(١٦) القلقشندي ، مآثر الانافة ... ص ١٧٠ .

(١٧) هلال الصابيء ، ص ١٢٩ .

(١٨) نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول من القرن الحادي عشر ، ص ٢٥٦ أ . ـ المسعودي ، التنبيه ، ٣٣٧ . ـ اخبار الدول المنقطعة .. ص ١٠٣ ب ـ ١٠٥ أ .

المنصور ومنا المهدي (١٩) .

والمعروف في تاريخ العصور الوسطى سواء في اوربا المسيحيـة او الشرق الاسلامي أن اسطورة المنقذ المنتظر الذي سيرسله الله ليقضي على الجور كانت وعدا اكيدا متوقعا لا يختلف عليــه الراي . وان النبوءات التي عبرت عن هذه الامال والتوقعات كانت متداولة فـي كتب الملاحـم والجفر التي استغلها الحكام والاحزاب المعارضة في التأثير على العامة من الناس . وفي كتابه عن الملاحم الاوربية في العصور الوسطى يقول نورمان كوهن (٢٠) كانت الرعية تحاول ان ترى في كل حاكم جديد ذلك الامبراطور المنتظر الاخير الذي سيكون عصره « العصر الذهبي » المتوقع ... وفي كل مرة تنتهي التجربة بالخيبة التي لا بـد منها وعندئـذ يحاول الناس ان يتصوروا الحاكم الجديد منقذا حقيقيا وهكذا ... ولم يكن هناك علـى الاطلاق اي نقص في الحكام الذين يستغلون هذه التنبؤات والامال مـن قبل الرعية مـع اختلاف فيما بينهم في درجات الاخلاص او الاستهزاء والتهكم .

ولم يكن تاريخ الشرق الاسلامي ليختلف عن تاريخ أوربا المسيحية في هذه الظاهرة . فلقد ظهر الكثير ممن ادعوا دعوة المنقذ المنتظر او المهدي الذي جاءت به النبوءات في الملاحم والجفر والاحاديث . ولم تقتصر هـذه الدعوى على حكام أو خلفاء بل شملت رجال دين وثوار معارضين للحكم القائم . وليس يهمنا هنـا ان نتطرق الى المهـدي والمهدية والسفيـاني والسفيانية ولا الى التميمي او القحطاني او الخ ولكننا نقول بأن هـذه الفكرة كانت شائعة منذ القرن الاول الهجري تبناها النظام الاموي القـائم وكذلك أحزاب المعارضة وخاصة الشيعة العلوية . فكان عمر بن عبد العزيز مهديا بالنسبة الى انصار الامويين بينما دعا المختار الثقفي الى المهـدي العلوي (محمد بن الحنفية) . وقامت الثورة العباسية فاستغلت النبوءات وفكرة المهدية ووجهت انتباه الناس الى الرايات السود التـي ستخرج من المشرق يقودها المنقذ (ابن الحارثية) الذي لا ترد له راية . وقامت المعارضة العلوية والاموية ضد العباسيين فنادت الاولى بالمهديـة ونادت

---

(١٩) عن هذه الاحاديث وغيرها انظر احمد امين ضحى الاسلام ج ٣ ، ص ٢٤٠ .

(٢٠) N. Cohn, The pursuit of the Mielennium, London 1962, p.20.

الثانية بالسفيانية . وظهر مهديون علويون عديدون وسفيانيون أمويون كثيرون خلال العصر العباسي الاول . ولقد كانت فكرة المنقذ المنتظر هذه خطرا كبيرا على العباسيين ذلك لانها جذبت الناس المعدمين والضعفاء سواء كانوا ذوي ميول علوية أم غير علوية حول الثوار الذين ادعوا المهدية او السفيانية باعتبارهم سينقذون هؤلاء المعدمين من حالتهم التعسة . ولقد كانت هذه المحاولة بارعة من قبل الثوار ذلك لان الطبقات الفقيرة في المجتمع الاسلامي فقدت رجاءها في الثورة العباسية والمنقذ العباسي بصورة عامة وأخذت تنظر الى حركة جديدة ومنقذ جديد لتنقل أملها الموعود اليه فكان محمد النفس الزكية ذلك المنقذ العلوي الجديد وكان أبو محمد السفياني ذلك المنقذ الاموي الجديد . وعلى ذلك فاننا يجب أن ندرك بان الكثير ممن انخرطوا في صفوف محمد او السفياني نظروا اليهما كمنقذين جديدين أكثر من نظرتهم اليهما كعلوي او اموي احق من العباسيين بالخلافة .

وكان على العباسيين بطبيعة الحال أن يجابهوا هذه الدعاوى بدعاوى مثلها من الناحية الفكرية وبقوة السلاح من الناحية العملية . ففي المجال النظري ابتدعوا القاب المنصور والمهدي العباسي والهادي وكلها القاب ذات مغازي دينية ـ سياسية كما سنرى قريبا (٢١) .

لقب المنصور :

وهو اللقب الذي اتخذه الخليفة العباسي الثاني عبدالله بن محمد . ولم يتخذ الخليفة هذا اللقب الا بعد ان قضى على اخطر ثورتين علويتين في الحجاز بقيادة محمد النفس الزكية (المهدي العلوي) وفي البصرة بقيادة ابراهيم بن عبد الله المحض .

ولا يعني هذا اللقب ما يذكره فان فلوتن « الشخص المنتصر دوما »

---

(٢١) ان الدولة الفاطمية التي نشأت في افريقيا ومصر ونافست الخلافة العباسية كان لخلفائها القاب ذات مغازي مهدوية فكان لقب الخليفة الاول (المهدي) والثاني (القائم) والثالث (المنصور) .

فحسب بل ان له دلالات دينية وسياسية مهدوية وتنبؤية والقصد منه بالضبط « الشخص الذي أعانه الله تعالى على احراز النصر » ولذلك فهو على نفس نمط الالقاب المهدوية الاخرى كالسفاح والامام المهدي والهادي .

وقد اعتبر الخليفة المنصور دون شك المؤسس الحقيقي للدولة العباسية وأصبح بعض الرواة يشيرون الى بني المنصور بدلا من بني العباس وكان من الامتيازات المهمة للخليفة ان ينحدر في حسبه ونسبه من المنصور الباني (٢٢) . ويوصف المنصور بانه اوجد اشياء كثيرة في الدولة لم تكن موجودة قبله (٢٣) . ويشير ابن دحية في النبراس « المنصور اول خليفة لقب نفسه وهو أبو الخلفاء الى اليوم » (٢٤) . ويؤيد الاستاذ حسن الباشا طبيعة هذا اللقب آنفة الذكر فيقول « انه ورد ضمن القاب المنصور في نص تشييد قرب أذربيجان وهو يشير الى أن صاحبه مؤيد من الله لان النصر من عند الله » (٢٥) .

وللقب المنصور اهمية كبيرة كما وان له جذورا تاريخية عريقة تعود الى صدر الاسلام والجاهلية . ذلك لان هذا اللقب كان معروفا في جنوبي الجزيرة العربية منذ القدم وتذكره الروايات والملاحم بانه المنقذ الاسطوري الذي ينتظره الناس والمسمى « القائم المنتظر » ، الذي سيخرج لينشر العدل . ويستطرد نشوان الحميري (٢٦) في كلامه عن المنقذ فيقول بأن لكل جماعة مهديها فلليهود منقذها من آل داود وللمسيحيين منقذهم وهو عيسى بن مريم وللمجوس منقذها من أبناء بهرام كور الذي سيعيد الدين الفارسي القديم وللشيعة فرق متعددة كل يدعي ان له مهديا خاصا به . وللحميريين منقذهم الحميري الذي « سيعيد مملكة حمير بالعدل » ويذكر الهمداني (٢٧) بأن « منصور حمير » يسكن في جبل دامغ

---

(٢٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ ٣ ص ٣٢٧ . ـ دينوري ، الاخبار الطوال ، ص٣٨٩ .

(٢٣) اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢٤) ابن دحية ، ص ٢٤ .

(٢٥) حسن الباشا ، ص ٥١٢ . — Repertoin 1. 43

(٢٦) نشوان الحميري ، شمس العلوم ـ ليدن ١٩١٦ ص ١٠٣ فما بعد .

(٢٧) الهمداني ، الاكليل ، بغداد ١٩٣١ ، ص ٧١ فما بعد .

وسيخرج في وقته المناسب له .

ورغم ان هذه المصادر متأخرة الا انها تعتمد على روايات قديمة وملاحم شعبية شائعة ومنها يتبين بأن لقب المنصور ذو دلالات دينية تنبؤية تشير الى المنقذ المنتظر في الاساطير العربية القديمة وهذا المنقذ يظهر بأسماء مختلفة مثل : منصور اليمن ـ منصور حمير ـ والقحطاني المنتظر الذي سيعيد مجد جنوب اليمن المندثر .

اما في الفترة الاسلامية فقد استعمل هذا اللقب في ثورات كثيرة ضد الامويين ففي ثورة المختار الثقفي في الكوفة سنة ٦٦ هـ / سنة ٦٨٥ م كان شعار الاتباع اثناء القتال « يا منصور أمت » أي اقتل . وفي ثورة عبد الرحمن بن الاشعث ٨١ هـ / ٧٠٠ م الذي كان من القابه الشائعة « القحطاني » و « المنصور عبد الرحمن » .

وفي سنة ١٢١هـ / سنة ٧٣٩م حث شيعة العلويين زيد بن علي على الثورة قائلين له انهم يأملون ان يكون (المنصور) وان الوقت قد حان لتكون على يديه نهاية الامويين (٢٨) .

واهم من هذا كله فان احد شعارات ثورة رمضان العباسية ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م كانت « يا محمد يا منصور » . ومحمد هذا هو محمد بن علي بن عبدالله بن العباس (٢٩) .

وهكذا فان اتخاذ الخليفة أبي جعفر اللقب المنصور كان في محله من حيث طبيعته التنبؤية المهدوية التي تمس احاسيس الجماهير وخاصة القبائل اليمانية وتجعلها تتوهم بأنه هو المنصور حقا الذي سينشر العدل ويعيد الامن والرفاهية وان ما ادعاه محمد النفس الزكية من انه المهدي باطل من أساسه والا لما استطاع المنصور أن يقضي على المهدي (٣٠) .

---

(٢٨) B. Lewis, op. cit., p. 7

(٢٩) انظر الدكتور فاروق عمر الخلافة العباسية ١٣٢ ـ ١٧٠ (بالانكليزية) . الفصل الثاني . بغداد ١٩٦٩ ولنفس المؤلف . طبيعة الدعوة العباسية ، الفصل الثاني والثالث. بيروت ١٩٧٠ ولنفس المؤلف . ابراهيم الامام (دائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية والفرنسية) الطبعة الجديدة .

(٣٠) لقد اتخذ بعض الثوار لقب المنصور بعد اعلانهم الثورة على السلطان حتى فترة متأخرة من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ومنهم الداعي ابن حوشب الذي اتخذ لقب « منصور اليمن » حين ارسل الى اليمن في سنة ٢٦٨ هـ . انظر
B, Lewis op. cit. p. 8

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان ادعاء أبي جعفر بأنه المنصور او اتخاذه هذا اللقب يعطي برهانا مهما على الطبيعة العربية للثورة العباسية وعلى اعتماد الدعاة العباسيين على القبائل العربية وخاصة اليمانية من اهل خراسان. فلو ان الدعاة العباسيين لم يدركوا اهمية العرب الخراسانية لما استعملوا شعار يا محمد يا منصور الذي له علاقة كبيرة بالقبائل اليمانية (٣١) ، كما وان اختيار الخليفة لهذا اللقب بالذات يدل على ادراك خلفاء العصر العباسي الاول لاهمية العرب وخاصة اليمانيين منهم واعتمادهم عليهم وربما تفضيلهم على القيسية في احيان كثيرة كما تدل على ذلك رواية فريدة في تاريخ الموصل (٣٢) . وليس من شك فان هذا يدحض آراء بعض المؤرخين القائلة بان العصر العباسي الاول كان عصر النفوذ الفارسي الذي زال فيه تأثير العرب .

واخيرا فان شعر ابي دلامة في المنصور حيث يقول : (٣٣)

وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والانف والآذان في الراس

وكذلك شعر الحميري في المنصور حيث يشير اليه قائلا : (٣٤)

يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة
ان سوار بن عبدالله من شر القضاة

هذه الاشعار تؤكد الصبغة الدينية المهدوية للقب المنصور ولا تترك مجالا للشك فيها .

كما ظهرت احاديث منسوبة الى الرسول (ص) تشير الى المنصور منها : « منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي ... وأما المنصور فلا ترد له راية ...» (٣٥) .

---

(٣١) انظر الدكتور فاروق عمر تقييم جديد للدعوة العباسية مجلة العرب ١٩٧٠ لنفس المؤلف
The Composition of the early Abbasid support B. C. A., 1968.

(٣٢) انظر الازدي ، تاريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٢١٤ .

(٣٣) الاصفهاني ، الاغاني حـ ٩ ص ١٢٣ .

(٣٤) op. cit. ، حـ ٧ ، ص ١٧ .

(٣٥) احمد امين ، ضحى الاسلام ، حـ ٢ ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦ .

لقب المهدي :

وهو اللقب الذي اتخذه محمد بن عبدالله الخليفة العباسي الثالث. وقد لقبه بهذا اللقب أبوه الخليفة المنصور . وكان اطلاق هذا اللقب على محمد احد الاساليب التي اتبعها المنصور لاعلاء شأن ابنه كولي للعهد .

وقد لعب لقب المهدي دورا كبيرا في تاريخ الاسلام الديني ـ السياسي (٣٦) منذ بداياته الاولى فقد اطلقه حسان بن ثابت على الرسول (ص) حين رثاه قائلا :

ما بال عينك لا تنام كأنما — كحلت مآقيها بكحل الارمد
جزعا على المهدي أصبح ثاويا — يا خير من وطىء الحصى لاتبعد

كما أطلق على الامام علي بن أبي طالب لقب « الهادي المهدي » (٣٧). وحين مدح الفرزدق سليمان الاموي قال :

سليمان المبارك قد علمتم — هو المهدي قد وضح السبيل

وكان عمر بن عبد العزيز يلقب « بالمهدي » . كما نعت هشام الاموي بهذا اللقب في الشعر :

فقلت له الخليفة غير شك — هو المهدي والحكم الرشيد

وليس هنا محل بحث تطور المهدية تاريخيا وعقائديا على اننا نود القول بان المهدية بمعناها الديني التنبؤي ظهرت لاول مرة عندالشيعةالعلوية في ثورة المختار الثقفي الذي ادعى ان محمد بن الحنفية هو المهدي وانه لم يمت بل اختفى في جبل رضوى في الحجاز وسيعود ليقضي على أعدائه

---

(٣٦) عن المهدية انظر : احمد امين ، المهدي والمهدوية ، القاهرة . ـ محمد سعد ، المهدية في الاسلام ، القاهرة . محمد بدير متولي ، من ادب الحركات الفكرية في الاسلام . ـ احسان النص الخطابة السياسية في العصر الاموي . ـ علي الوردي ، وعاظ السلاطين. ـ الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع . ـ علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام .

(٣٧) تصف روايات عديدة معاوية بن ابي سفيان « بالمهدي » .. انظر ابن العربي ، العواصم من القواصم . ١٣٨٧ جدة .ص ٢٠٤ ـ ٢٠٨ .

ويملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ولذلك سمي « بالمهدي المنتظر » وفي هذا يقول كثير عزة عن ابن الحنفية :

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا ... برضوى عنده عسل وماء

وهذه هي عقيدة الكيسانية من فرق الشيعة . على ان المهدية لم تكن مقتصرة على فرق الشيعة العلوية الحسينية والحسنية والكيسانية الهاشمية بل شملت الكثير من الكتل السياسية والجماعات في المجتمع الاسلامي فكان للعباسيين والامويين والطالبيين والفاطميين والفرس منقذهم الذي سيعيد مجدهم ويقر الحق وينشر العدل (٣٨) .

اما اصل كلمة المهدي فهي تعني الشخص الذي هداه الله الى الطريق الحق . او هداه الله الى الايمان هدى . ويقول ابن الاثير وابن منظور « المهدي الذي هداه الله الى الحق وقد استعمل في الاسماء حتى صار كالاسماء الغالبة وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله (ص) انه يجيء اخر الزمان » (٣٩) . وهذا يدل دلالة واضحة على مغزاها الديني التنبؤي .

ويشير الدكتور الوردي الى ان كلمة المهدي هي في الواقع تقريب للفظة المسيح الموجودة في التوراة . فالمسيح معناه الممسوح اي انه ذلك البطل المنقذ الذي يمسحه الاله ، والمسح في التوراة معناها الهداية والارسال والتأييد الرباني . وتشير التوراة الى ان النبي الياس الذي رفع الى السماء والذي لا بد ان يعود الى الارض في اخر الزمان لاقامة دعائم الحق . وهذا القول يشبه الى حد كبير فكرة المهدية في الاسلام (٤٠) .

---

(٣٨) ادب الشيعة ، ص ١١٠ — ١١٨ . — علي الخربوطلي ، المهدي العباسي ص ١ — ١١ . احمد امين ، المهدية ص ٤٥ فما بعد . — كامل الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ص ١١٠ . — علي الوردي وعاظ السلاطين ص ٣٨٧ .

(٣٩) ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، ١٣١١ حـ ٤ ص ٢٤٤ . — ابن منظور لسان العرب بيروت ١٩٥٥ ، (مادة المهدي) حـ ٣ ، ص ٢١٥ .

(٤٠) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، حـ ٢ : ص ١٨٠ . — الدكتور عرفان عبد الحميد دراسات في العقائد والفرق ص ٢٣ — ٣١ .

ويتفق اغلب المؤرخين المحدثين مع هذه النظرة في أصل المهدية .

ومما يتصل بفكرة المهدية او المنقذ المنتظر هو تطلعها نحو المستقبل وتظهر رواياتنا التاريخية عن الشرق الاسلامي او اوروبا في العصور الوسطى أن بدايات القرون او الحقب كان لها دائما سحر خاص يغري بالتطلع وينبىء بحدوث تبدل . فكان الناس يحاولون في هذه الفترات ان يتنبؤوا او يتصوروا تغير الاحوال الى الطريق الاحسن الذي يجب ان تكون عليه وكان هناك دوما من يستغل هذه المشاعر لدى الناس فيكسب ولاءهم . الى حين يحقق اغراضه سواء كان هذا المستغل الطموح حاكما ام ثائرا على الحكم او رجل دين او مغامرا او مصلحا . والمثل الذي سنبحثه في دراستنا هذه هي محاولة الخليفة المنصور ضمان ولاء الرعية الى ابنه وولي عهده محمد بعد ان تصير الخلافة اليه وكان هذا هو السبب الحقيقي وراء تلقيبه « بالمهدي » ذلك اللقب الديني الذي يجذب الناس ويغريهم بالتطلع الى خلافة المهدي باعتبارها الامل المنشود والحكم الافضل (٤١) .

ولم يكن لقب المهدي هذا جديدا حتى بالنسبة للعباسيين فقد كان ، كما رأينا ، أحد ألقاب أبي العباس وكذلك اشار أحد الشعراء الى ابي جعفر المنصور على انه المهدي حين هجا ابا مسلم قائلا (٤٢) :

أفي دولة المهدي حاولت غدره ... الا ان اهل الغدر اباؤك الكرد

على ان هذا اللقب لم يكن شائعا بين ألقاب كلا الخليفتين السابقين .

وتشير أحاديث كثيرة ان توقع ظهور المهدي ازداد بعد انتصار الخراسانية اصحاب الرايات السود حيث سيخرج ليملأ الارض عدلا بعد كثرة الظلم والجور . ولا شك فان هذه الاحاديث كانت من وضع العباسيين أنفسهم . على ان عهد أبي العباس كان قصيرا بحيث لم يكن بالامكان انجاز الكثير ، كما وان الرعية لم تر في الخليفة .. المنصور بسياسته الحازمة العنيفة وبعهده الحافل بالثورات ذلك المهدي المنتظر بل على

---

(٤١) احمد امين المهدية ص ٦ . ــ سعد ، المهدية ص ٤٨ . ــ دونالدسون عقيدة الشيعة ص ٢٣١ . ــ الشيبي ، الصلة .. ص ١١٠ . الوردي ، وعاظ السلاطين ، ٢٨٧ ، ادب الشيعة ص ١١٣ .

(٤٢) الاصفهاني ، الاغاني ، حـ ١٢ ص ٨٥ .

العكس فان جماعات كثيرة انضمت الى محمد النفس الزكية املا منها في ان يكون المنقذ الذي طال انتظاره وانخرط قسم اخر في الحركات الدينية ـ السياسية الفارسية التي رفعت نفس شعار المنقذ في شخص أبي مسلم الخراساني او غيره .

ولعل الخليفة المنصور ادرك ذلك فنظم حملة دعائية واسعة النطاق تدعو الى ان ابنه محمد هو المهدي المنتظر . ويشير الاصفهاني الى ان المنصور حث مطيع بن اياس على ان يبتدع حديثا في مهدية ابنه وحين جلس المنصور ليأخذ البيعة لابنه قال مطيع « حدثنا فلان عن النبي (ص) قال المهدي منا محمد بن عبدالله وامه من غيرنا يملؤها عدلا كما ملئت جورا . ثم اقبل مطيع على العباس بن محمد فقال له انشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال نعم مخافة المنصور » . وقابل العلويون هذه الادعاءات بمثلها وحين سمع المنصور بأن محمد النفس الزكية يدعي المهدية قال « كذب عدو الله بل هو ابني » (٤٣) ويظهر ان المنصور كان يعلم في قرارة نفسه بان ما ادعاه لابنه هو سلاح سياسي ففي رواية للاصفهاني « انه ارسل المنصور الى سلم بن قتيبة وقال له خرج محمد بن عبدالله وتسمى بالمهدي والله ما هو به واخرى أقولها لك لم أقلها لاحد قبلك ولا أقولها لاحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ولكنني تيمنت به وتفاءلت به » هذا اذا اعتقدنا بصحة هذه الرواية ولعل هذه الرواية من وضع الشيعة العلوية .

وقد استمرت دعاية المنصور لابنه المهدي وقد وضعت احدى الروايات في فم احد اعضاء وفد الروم الذي قدم بغداد حيث قال :

« انا نجد في كتبنا ان الثالث من أهل بيت النبي يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا » (٤٥) وتشير احاديث كثيرة يوردها السيوطي والترمذي

---

(٤٣) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص ١٦٦ .

(٤٤) op. cit. ، ص ١٧١ . ـ انظر كذلك الجهشياري ، الوزراء .. ص ١٢٧ .
« حين اراد المنصور ان يحاسب كاتب المهدي ابي عبيد الله قال له المهدي : انك ترشحني لهذا الامر وتروي انني المهدي ثم تكشف كاتبي عما أجريته على يده ونفذه بأمري ، فلعلك تنكر شيئا فيقول الناس أنه كشف عن خيانة » جهشياري ص ١٢٧ .

(٤٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد حـ ١ ص ٩٢ .

وابي داود وابن خلدون الى ان المهدي هذا سيكون عباسيا (٤٦) .

وفي رواية للطبري (٤٧) ان المنصور لما احكم امر العهد كتب الى عيسى بن موسى يطلب منه التنازل عن ولاية العهد الى محمد المهدي بن الخليفة وقد استعمل نفس التكتيك وأكد على نفس النغمة فقال عن ابنه :

« فوهب الله امير المؤمنين وليا ثم جعله تقيا مباركا مهديا وللنبي سميا وسلب من انتحل هذا الاسم ودعا الى تلك الشبهة .. » وطالبه ان يقر بالامر الواقع ويتنازل للمهدي وحذره بأهل خراسان (انصار الدولة) اذا هو لم يذعن .

ولقد كانت سني المهدي سني خصب (٤٨) وخاصة السنة الاولى منها فاستبشر الناس خيرا وقالوا ابن عم رسول الله (ص) ونظير اسمه . والظاهر ان المهدي حاول جاهدا ان يبين للرعية بانه المنقذ المنتظر فأعاد الاموال التي صادرها المنصور واعفى السجناء السياسيين وزاد من العطاء والارزاق لاهل الحجاز والمرضى وعمر الحرمين الشريفين وطارد الزنادقة واهتم بأمر الجهاد ضد الروم ، وفصم ما كان من علاقة بين زياد بن أبيه وبين الامويين واتخذ ٥٠٠ شخص من الانصار كحرس خاص له .

ولم تدخر الروايات التاريخية وخاصة العباسية منها وكذلك شعراء البلاط في اظهار مهدية الخليفة العباسي الثالث . ففي رواية للازدي (٤٩) ان احد صحابة المنصور سأل اسماعيل بن عبدالله القسري البجلي قائلا : متى يظهر قحطانيكم يا اسماعيل ؟ فقال له : « قد ظهر واني لانتظر ان يركب عنقك واعناق نظرائك غدا فهو المهدي ولي عهد المسلمين ابن امير المؤمنين ابن اختنا وقد قال رسول الله (ص) ابن اخت القوم منهم » وقد بلغ هذا المنصور فأعجبه جوابه وعينه على الموصل . وفي الشعر أبيات

---

(٤٦) يقول احمد أمين ان الاحاديث عن المهدي موضوعة بدليل اغفال البخاري ومسلم لها وانما ذكرها الترمذي وابن ماجة وابو داود وغيرهم. احمد امين ، ضحى الاسلام ، حـ ٣ ص ٢٣٧ .

(٤٧) الطبري ، حـ ٣ ص ٣٣٨ — ٣٤١ .

(٤٨) الجاحظ ، رسائل ص ٧٧ . — الاصفهاني ، الاغاني ، حـ ٣ ص ٩٤ . — اليعقوبي ، مشاكلة الناس لزمانهم ص ٥٥ — ٥٦ .

(٤٩) الازدي ، تاريخ الموصل ، ص ٢١٤ .

كثيرة في حق محمد المهدي . فقد قال الشاعر بشار بن برد (٥٠) :

الله اصلح بالمهدي فاسدنا سرنا اليه وكان الناس قد فسدوا

ويقول :

يا ايها القائم المهدي ملككمو لا يشركنكمو في حلوه احد

ويقول :

فرج المهدي من كرب الضيـ ـق خناقا قاسيته حقبا
مهدي آل الصلاة يقرؤه القـ س كتابا دثرا جلا ريبا
اذا اتيت المهدي تسأله لاقيت جودا ومحتسبا
ترى عليه سيما النبي وان حارب قوما اذكى لهم لهبا

وقال فيه الشاعر ابن المولى : (٥١)

اغنى قريشا وانصار النبي ومن بالمسجدين باسعاد واحفاد
كانت منافعه في الارض شائعة تترا وسيرته كالماء الصدي
خليفة الله عبدالله والده وامه حرة تنمي بامجاد
من خير ذي يمن في خير رابية من القبول اليها معقل الناد

وقال أبو العتاهية : (٥٢)

اتته الخلافة منقادة اليه تجرر اذيالها
ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله اعمالها

وقال بشار ايضا : (٥٣)

---

(٥٠) ديوان بشار حـ ٢ ص ٢٨٦ فما بعد .
(٥١) الاصفهاني ، الاغاني حـ ٣ ص ٩٤ — ٩٥ .
(٥٢) op. cit. حـ ٣ ص ١٤٣ .
(٥٣) ديوان بشار حـ ١ ص ٢٣٠ وهجا بشار بن برد المهدي العلوي محمد النفس الزكية

قـد سطع الامن فـي ولايتـه وقـال فيـه من يقرأ الكتبـا

وقـال :

شركـت لمهـدي الانـام وصالهـا وراعيت عهدا بيننا ليس بالخذ(٥٤)

وقال سلم الخاسر : (٥٥)

ومهـدي امتنا والذي حماها وادرك اوتارهـا

وقال مروان بن ابي حفصة (٥٦) :

احيـا امـير المؤمنين محمـد سنن النبي حرامهـا وحلالهـا
ملـك تفرع نبعـة مـن هاشم مـد الاله على الانـام ظلالهـا

وقد هجا السيد الحميري المهدي العباسي فقال : (٥٧)

وسماه الدعي فقال :

ان الدعي يعادينـا لنلحمـه بالمدعـين ويلقانا بالحـساد

(ديوان بشار ص ٣٠٠) .

(٥٤) ولكن بشار هذا نفسه نقل ولاءه الى النفس الزكية بعدئذ وهجا المنصور فقال :

ابا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سـالم عما قليـل بسـالم
على الملك الجبار يقتحم الردى ويصرعـه في المـأزق المتلاحـم

ولما خاف من بطش المنصور بعد فشل ثورة النفس الزكية غير اسم « ابا جعفر » في القصيدة الى « ابا مسلم » وغير اسم « سلامة » ام المنصور الى « وشيكة » ام ابي مسلم .

(٥٥) op. cit. حـ ٢١ ص ١٢٥ .

(٥٦) احمد فريد رفاعي ، عصر المأمون ص ٢٩٤ .

(٥٧) العاملي ، اعيان الشيعة حـ ١٢ ص ١٧٨ . ـ اما ابو نؤاس فالظاهر ان الفكرة لم تكن تعجبه فقد قال :

وعلامـات ستأتي قبلـه حمـة اولهـا سكر النهـر
ويليهـم رجـل من هـاشم اقتص النـاس جميعـا للحمر

وقال : فاتبعـوه حيثما صار بكم ايها الناس وان طـال السفـر

(البيان والتبيين حـ ٢ ص ٢٢٨) .

تظنـــا انــه المهـدي حقــا ولا تقــع الامــور كمــا تظنــا
ولا والله مــــ المهـــدي الا امامـــا فضـله اعلى واسنى

وقد تلقب ثالث الخلفاء العباسين بألقاب أخرى ، لم تكن شائعة منها « السفاح » فقد ظهرت أحاديث تشير الى ذلك منها عن الرسول (ص) « منــا القائم ومنا المنصور ومنــا السفــاح .. اما السفـــاح فهـــو يسفح المال والدم .. » (٥٨) ، وعن الرســـول (ص) « يخرج رجـــل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يقال لـــه السفاح يكون عطاؤه حسيبا » (٥٩) ولعل هذه الاحاديث ظهرت في عهـــد المهدي بالذات او بعده بقليل وهي دون شك انعكاس لطبيعة المهدي الكريمـــة المعطاءة ولشدته على الزنادقة والشكاك وقتله اياهم فهو سفـــاح للمـــال والدم . ويصفه اليعقوبي قائلا :

« كان المهدي سمحا سخيا كريما جوادا بالاموال وكان الناس فـــي عصره على مذهبه واتسع الناس في أيام المهدي في معايشهم وكان اذا ركب حملت معه البدر فلا يسأله أحد الا أعطاه بيده فتشبه الناس به . فكان قصده قتل الزنادقة وذلك انهم كانوا قد كثروا .. وكثرت الزنادقة وفشت كتبهم بين الناس . وكان اول خليفة امر المتكلمين ان يضعوا الكتب على أهل الالحاد » (٦٠) .

وفي رواية للمسعودي (٦١) ان المهدي صرف كل ما ترك له والـــده المنصور ومقداره حوالى ١٢٠ مليونا من الدراهم . ويشير الجهشياري ان رئيس بيت المال اشتكى له عجز الخزينة لكثرة النفقات دون مبرر .

ويعطي الثعالبي (٦٢) لقبا اخر لثالث الخلفـــاء العباسيين وهـــو (المصطفى المهدي) ولم نعثر على توارد هذا اللقب في رواية أخرى .

---

(٥٨) احمد امين ضحى الاسلام حـ ٢ ص ١٢٥ .

(٥٩) المقريزي ، خطط حـ ٢ ص ١٥ .

(٦٠) اليعقوبي ، مشاكلة الناس ص ٥٥ ــ ٥٦ . ــ اما القلقشندي فيقول عنه « انه كان عادلا في خلافته حتى يقال في بني العباس كعمر بن عبد العزيز في بني امية » ... مآثر الانافة ص ١٨٥ .

(٦١) المسعودي ، التنبيه والاشراف ص ٢٤٢ .

(٦٢) الثعالبي ، كاشف المعارف ص ٧٢ .

ورغم العداوة البارزة بين الفاطميين والعباسيين فان الفاطميين حذوا حذو العباسيين في اتخاذ القاب ذات صفة دينية وكان أول خلفائهم يلقب بالمهـدي .

لقب الهـادي :

وهو اللقب الذي أطلق على رابع الخلفاء العباسيين موسى بن محمد المهدي . ومعناه القائـد الى الطريق الصحيح طريـق الهدى بتوجيه مـن الله تعالى .

ولم يكن هذا اللقب جديدا فقد كـان الامـام علي (رض) يلقب بالهادي او امام الهدى (٦٣) . وقد جاءت كلمة الهادي في الشعر قبل عهد موسى العباسي حيث قال الشاعر :

نفسي الفداء لاهل البيت ان لهم   عهـد النبي وسمت القائم الهادي

وقد عين المهدي ابنيه موسى وهارون لولاية العهد من بعده واجبـر عيسى بن موسى على التنازل . ومن الواضح من تسميتهما بأسماء الانبياء انه كان يهدف الى ترشيحهما لولاية العهد . وكالعادة حين قـارب عهد المهدي على الانتهاء وحين رشح المهدي ابنه موسى اطلق عليه لقب الهادي وبذلك ليعده لكي يلعب دور المنقذ المنتظر في اعين الناس كما لعب هو ذلك الدور قبله .

وقد وضعت الاحاديث لتخدم هذه السياسة وتبث الاشاعة بـين الناس ولتكسبهم نحو الهادي الجديد . ومن هذه الاحاديث يظهر اسم المهدي على انه الرابع في الترتيب الزمني . ويرتبهم ابن خلدون كالاتي : السفاح ـ المنصور ـ المهدي ، في حديث موضوع اخر . وفي المقريزي « ان النبي قال للعباس انه لا يكون نبوة الا كانت بعدها خلافة وسيلي من ولدك في اخر الزمان سبعة عشر منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي

---

(٦٣) الاصفهاني ، الاغاني جـ ٧ ص ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ .

وليس بمهدي ومنهم الجموح ومنهم العاقر ومنهم الواهن وويل لامتي كيف يعقرها ويهلكها ويذهب بأمرها (٦٤) . ان هذا الحديث الاخير يشير الى ان المهدي ليس هو المهدي الحق ولعله وضع خصيصا ليهيىء الاذهان ويحول عواطف الناس وآمالهم نحو الهادي وهو المهدي الجديد الذي وعد بأن يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . ولعل هذين البيتين يوضحان طبيعة لقب الهادي :

يا ابن الخليفة ان امة احمد	تاقت اليك بطاعة اهواؤها
ولتملأن الارض عدلا كالذي	كانت تحدث امة علماؤها

وحين بايع المهدي لموسى وهارون انشد السيد الحميري : (٦٥)

آليت الا امدح ذا نائل	من معشر غير بني هاشم
اوليتهم عندي يد المصطفى	ذي الفضل والمن ابي القاسم
فانها بيضاء محمودة	جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ ابي جعفر	خليفة الرحمن والقائم(٦٦)
وطاعة المهدي ثم ابنه	موسى على ذي الاربة الحزم
وللرشيد الرابع المرتضى	مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودة	برغم انف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم	في هذه الامة من حاكم
حتى يردوها الى هابط	عليه عيسى منهم ناجم

---

(٦٤) السيوطي ، اخبار الخلفاء حـ ٢ ص ١٠١ . ــ فان فلوتن السيادة العربية ص ٢٢٣ فما بعد . ــ احمد امين ، ضحى الاسلام حـ ٢ ص ١٢٥ فما بعد .

(٦٥) الاصفهاني في الاغاني حـ ٧ ص ١٤ .

(٦٦) لقد اطلق بعض الشعراء لقب (القائم) على الخليفة المنصور وغيره من العباسيين ، الا ان هذا اللقب لم يكن شائعا بين الخلفاء العباسيين الذين لم يعرفوا به ، وقد شاع هذا اللقب بين الشيعة العلوية حيث وعد الامام جعفر الصادق اتباعه بالامامة والخلافة العلوية على يد الامام السابع (القائم) . وكان لقب القائم من الالقاب الشائعة لدى الاسماعيلية . انظر :

Ivanow, Isma'ili Tradition London 1942.

وقال منصور النميري : (٦٧)

موسى وهارون هما اللذان   في كتب الاخبار يوجدان
من ولد المهدي مهديان   مد عنانين على عنان
قد اطلق المهدي لي لساني   وشد ازري ما به حباني

وقال بشار في المهدي (٦٨) :

قد سطع الامن في ولايته   وقال فيه من يقرأ الكتبا
محمد مورث خلافته   موسى وهارون يتبعان ابا

وقال أشجع السلمي في هارون الرشيد : (٦٩)

الي ملك يستغرق المال جوده   مكارمه نثر ومصروفه سكب
وما زال هارون الرضى ابن محمد   له من مياه النصر مشربها العذب

ولما ذهب جعفر البرمكي ليصلح امر الشام قال اشجع السلمي : (٧٠)

فئتان باغية وطاغية   جلت امورهما عن الخطب
قد جاءكم بالخيل شاربه   ينقلن نحوكم رحى الحرب
لم يبق الا ان تدور بكم   قد قام هاديها على القطب

وقال ابو العتاهية في الرشيد : (٧١)

امام الهدى اصبحت بالدين معنيا   واصبحت تسقي كلمستمطر ريا
لكاسمان شقا منرشاد ومنهدى   فانت الذي تدعى رشيدا ومهديا

ويقول :

بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا   فاوسعت شرقيا واوسعت غربيا

---

(٦٧) الاغاني حـ ١٢ ص ١٧ .
(٦٨) ديوان بشار حـ ١ ص ٣٣٠ .
(٦٩) الاغاني حـ ١٧ ص ٣١ .
(٧٠) الاغاني حـ ١٧ ص ٣٤ .
(٧١) الاغاني حـ ١٧ ص ٤٤ .

ويقـول :

قضى الله ان يبقى لهرون ملكه ... وكان قضاء الله في الخلق مقضيا
تجللت الدنيا لهارون ذي الرضا ... واصبح نقفور لهارون ذميا

ويقول عن امبراطور الروم :

اعطاك جزيته وطأطأ خده ... حذر الصوارم والردى محذور

من كل هذا ندرك بان لقب الهادي وكذلك الرشيد كانا من الالقاب ذات المسحة الدينية التنبؤية المهدوية . على ان الجهد الذي بذله المهدي الدعاية لابنيه لم يكن كالجهد الذي بذله المنصور ذلك لان الدولة في عهد المنصور كانت في فترة التأسيس تعتورها الثورات من كل جهة ولذلك كان من الطبيعي ان يكون رد الفعل العباسي أقوى وأعنف . أما في عهد المهدي فكانت الدولة قد استقرت وانتعشت . كما وان شخصية المهدي المرنة وضعفه امام الخيزران اثر في تذبذب الاراء وفتور الدعاية .

ولم يعدم هذا العهد شعراء هاجموا أسلوب ولاية العهد واساليب العباسيين في كسب عواطف الناس وولائهم ومن هؤلاء ابو الجنوب بن مروان بن سليمان بن أبي حفصة الذي قال في موسى وهارون : (٧٢)

امير المؤمنين اليوم موسى ... وانت غدا امير المؤمنينا
سنختار الخلافة بعد موسى ... وان رغمت انوف الحاسدينا
رأيت اباك اورثها بنيه ... وانت غدا تورثها البنينا

وقد طلبه موسى الهادي فهرب واختفى في البادية . وهجا دعبل الخزاعي بني العباس فقال : (٧٣)

وعاشت بنو العباس في الدين عيشة ... تحكم فيه ظالم وخؤون
وسموا رشيدا ليس فيهم لرشده ... وها ذاك مأمون وذاك امين
فما قبلت بالرشد منهم رعاية ... ولا لولي بالامانة دين
رشيدهم غاو وطفلاه بعده ... بهذا غوى جد وذاك مجون

---

(٧٢) الثعالبي ، كاشف المعارف ص ٧٢ .

(٧٣) ديوان بشار ص ١١٣ .

لقب الامام :

وهو اللقب الذي عرف به ابراهيم بن محمد العباسي مفجر الثورة العباسية حيث كان يدبر أمر الدعوة من الحميمة في حين أرسل أبا سلمة الخلال الى الكوفة وأبا مسلم الخراساني وسليمان الخزاعي الى خراسان. ولهذا اللقب دون شك مغزى ديني وتنبؤي ذلك لان معنى الامام هو الهادي الى الطريق القويم وفي القرآن تقول الآية « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا ».

ولم يعرف عن احد قبل ابراهيم الامام انه تلقب بهذا اللقب (٧٤) . الا ان هذا اللقب اطلق على المهدي العباسي وهو ولي عهد وخليفة كما ورد في سكة سنة ١٥١ هـ من بخارى ولكنه لم يكن (٧٥) معروفا بهذا اللقب . ولعل اول خليفة عباسي استعمل هذا اللقب بصورة رسمية هو المأمون (٧٦) . ثم استعمله الخلفاء العباسيون بعد المأمون . ومهما يكن من أمر فالواقع ان الناس ومنهم الشعراء اطلقوا هذا اللقب على كل الخلفاء العباسيين ابتداء من عهد ابي العباس ، بل ان الشعراء اطلقوا ألقابا أخرى مثل (القائم) وغيره على الخلفاء العباسيين ولكن هذه الالقاب لم تنتشر أو تشيع ولذلك لم يعرفوا بها .

قال غيلان الخزاعي لابي العباس : « اشهد انك امير المؤمنين وانك حبل الله المتين وانك أمام المتقين » .

وقال السيد الحميري في المنصور : (٧٧)

قل للامام الذي ينجي بطاعته ... يوم القيامة من بحبوحة النار

وحين اجاب أبو العباس طلب السيد الحميري بان رضي عن سليمان المهلبي ذهب اليه وانشده : (٧٨،٧٩) :

---

(٧٤) عدا الامام علي بن ابي طالب خاصة والخلفاء الراشدين عامة (رض) حيث جرى العرف على اطلاقه عليهم . (ديوان دعبل ، ص ١٠٢) .

(٧٥) الالقاب الاسلامية ، ص ١٦٨ .

(٧٦) المسعودي مروج الذهب حـ ٣ ص ٢٣٩ .

(٧٧) الطبري ، حـ ٣ ، ص ٦٤ .

(٧٨) الاصفهاني ، الاغاني حـ ٩ ، ص ١٢٣ . حـ ٧ ص ١٤ . ـ حيث يوصف المنصوربالقائم.

(٧٩) العاملي ، اعيان الشيعة حـ ١٢ ص ١٧٣ .

اتيتك يا قزم اهل العراق بخير كتاب من القائم

وقال السيد في المهدي العباسي في قصيدة طويلة : (٨٠)

جزاؤها حفظ ابي جعفر خليفة الرحمن والقائم

ومدح سلم الخاسر الهادي فقال : (٨١)

يممت موسى الامام مرتقبا أرجو نداه والخير مطلب

وقال ابو نؤاس يهجو جعفر البرمكي : (٨٢)

عجبت لهارون الامام وما الذي يرجى ويبغى منك يا خلقة السلق

ومدح ابراهيم الموصلي الرشيد : (٨٣)

اذا ظلم البلاء تجللتنا فهرون الامام لها ضياء
بهرون استقام العدل فينا وغاض الجور وانفسح الرجاء
رأيت الناس قد سكنوا اليه كما سكنت الى الحرم الضياء
تبعت من الرسول سبيل حق فشأنك في الامور به اقتداء

وهجا دعبل الخزاعي المعتصم فقال : (٨٤)

بكى لشتات الدين مكتئب صب وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام امام لم يكن ذا هداية فليس له دين وليس له لب

وقال ابو الشيص يرثي الرشيد ومهنئا الامين : (٨٥)

العين تبكي والسن ضاحكة فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكنا القائم الامين وتبكينا وفاة الامام بالامس

---

(٨٠) الاغاني حـ ٧ ص ١٤ .

(٨١) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٧٢ .

(٨٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ص ٥١٦ .

(٨٣) الاغاني حـ ٥ ص ٢٤ — ٢٥ .

(٨٤) ديوان دعبل ص ١٢٩ — ١٣٠ . — ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٥٤٠ . الاغاني حـ ١٨ ص ٤٠ ، ٤٦ .

(٨٥) الاغاني حـ ١٥ ص ١٠٨ . — الشعر والشعراء ص ٥٣٥ .

وقال أبو العتاهية في الرشيد : (٨٦)

امام الهدى أصبحت بالدين معنيا   وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا

وقال منصور النميري في الرشيد : (٨٧)

ما استودع الدين من امام   حامي عليه كما تحامي

وقال اخر : (٨٨)

الله قلد هارونا سياستنا   لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا

أما ألقاب الخلفاء العباسيين من الخليفة الثامن فصاعدا فكانت على نسق واحد وتتكون من صفة يعقبها اسم الله مثل المعتصم بالله والمتوكل على الله والمستعين بالله والخ .. ولم يكن لهذه الالقاب طبيعة مهدوية واضحة وذلك لان الدولة قد استقرت ومرت بفترة شبابها . ومع ذلك فكان الرواة والشعراء يحاولون اضفاء صفة المهدوية التنبؤية الى بعضهم فأطلق على المعتصم مثلاً « معصوم امته خليفة الله » (٨٩) .

الخاتمة :

ان الالقاب الرسمية الخاصة لمفجر الثورة العباسية وللخلفاء الخمسة الاوائل في الدولة العباسية كانت ذات طبيعة مهدوية تنبؤية . وقد اختارها العباسيون عن قصد ومن أجل هدف . ذلك لان هذه الالقاب كانت تمس أكثر النقاط حساسية في مشاعر الجماهير وخاصة الضعفاء من الناس الذين كانوا يأملون في وضع افضل . وكان المهدي او المنقذ المنتظر بالنسبة لهؤلاء الناس بداية النهاية لحالة الظلم والشقاء وعلامة « للعصر الذهبي » عصر العدالة والرفاهية .

---

(٨٦) الاغاني حـ ١٧ ص ٤٥ .

(٨٧) الشعر والشعراء ص ٥٤٨ .

(٨٨) الطبري ، حـ ٣ ، ٦٥٣ طبعة ليدن .

(٨٩) لطائف المعارف ص ٧٢ .

لقد كانت محاولة بارعة من قبل الخلفاء العباسيين لكسب الجماهير المتشبثة بفكرة المهدي وجذب تأييدها للدولة الجديدة وذلك بتبني هذه الالقاب البراقة . وقد ساعد ذلك الى حد كبير على نجاح ثورتهم من جهة وتثبيت أركان دولتهم الفتية من جهة أخرى . وفي كل مرة كان الخليفة الحاكم ينقل ولاء الجماهير ويحول آمالهم وامانيهم الى ولي عهده وخليفته الذي يعقبه وذلك باختيار لقب جديد له ليكون المنقذ الجديد . حتى قويت الدولة واستقرت أمورها ولم يعد تكتيك الالقاب ضروريا او لازما فقل التأكيد عليه . بل ان العباسيين نسوا او تناسوا شعاراتهم الثورية القديمة وتبنوا شعارات جديدة أكثر اعتدالا وأضمن لاستمرار الحكم واستقراره . ولعل هذا أحد الاسباب التي تفسر خيبة أمل الشيعة العباسية وخاصة المتطرفين منهم الذين ثاروا ضد الدولة العباسية . وراح آخرون يبحثون عن منقذ جديد غير عباسي عله يحقق لهم املهم المنشود . وكيَّف اخرون أنفسهم مثلما أرادت الدولة وانخرطوا يخدمون في اداراتها المختلفة .

من القاب الخلفاء العباسيين
« خليفة الله » و « ظل الله »

من الالقاب العامة التي تداولها الخلفاء في الدولة الاسلامية ، امير المؤمنين ، والملك والخليفة او خليفة الله ، وهذا اللقب الاخير شاع بصورة خاصة في العصر العباسي ، وانبثقت منه ألقاب اخرى مثل : ظل الله وسلطان الله وخليفة الرحمن وامين الله وحجة الله والخ .

والمعروف ان الاسلام جعل السيادة العليا لله تعالى ومعنى ذلك انه الحامي لكل المصالح العامة فكان يقال مال الله وجند الله وخيل الله . وبما ان الله لا يمارس سلطاته شخصيا فقد اودع الامور الدنيوية بيد الخليفة ولذلك ظهر هذا المفهوم او الصبغة الثيوقراطية للخليفة المتمثلة بهذه الالقاب التي يضاف اليها كلمة «الله» (١)

ولم تكن هذه الالقاب بدعة عباسية كما هو الشائع عند اغلب المؤرخين فقد ظهرت في صدر الاسلام والعصر الاموي بالذات الا انها شاعت وكثر

---

(١) الدكتور صالح العلي ، التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية .. ص ٨٧ فما بعد .

استعمالها بصورة رسمية في عهد العباسيين ذلك لان العباسيين اكدوا على الصفة الدينية لخلافتهم مستفيدين من ذلك لتقويـــة نفوذهم السياسي وجذب الاتباع اليهم ولذلك اشار ابن الطقطقي (٢) الى ان سياسة العباسيين كانت سياسة ممزوجة بالدين والملك ، واتهم العباسيون العهد الاموي بانه كان « ملكا عضوضا » (٣) اي فيه عسف وعنف وجور وتسلط .

ومهما قال العباسيون ومن جاراهم عن الدولة الاموية ، فانالامويين في فترة حكمهم مع مراعاتهم للتقاليد القبلية العربية ، اعتبروا الخلافـــة مؤسسة مقدسة مصونة بحفظ الله وحماية رسوله (ص) وانها وســـيلة لاحقاق الحق واقرار العدل وتطبيق الشريعة ورعاية المصالح العامة للناس. ويتبع هذا ان طاعة الخليفة الاموي معناها طاعة الله ورسوله وان الثورة عليه معناها معصية الله ورسوله . وكان الامويون يعتقدون بان خلافتهم ملجأ المسلمين وحصنهم المنيع وانهم هم وحدهم الذين يمثلون الجماعة . ان هذه النظرة تظهر بوضوح في رسالة هشام بن عبد الملك الى واليه على العراق يوسف بن عمر وكذلك في رسالة الوليـــد الثاني الى واليه على خراسان نصر بن سيار وفي خطبة زياد بن ابيه في العراق (٤) . وعلى ذلك فليس من المستغرب ان يشار الى الخليفة الاموي بلقب (خليفة الله) او (ظل الله) ، طالما بدات بوادر الصبغة الشيوقراطية تظهر في العصر الاموي(٥). وقد اشير الى ان معاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاويـــة وهشام بن عبدالملك ويزيد بن الوليد بلقب (خليفة الله) . كما اشير الى معاوية الاول والوليد الاول بلقب (امين الله) وقد رفض هذا الاخير اللقب معتبرا ذلك تملقا وضيعا . وحين خطب عبد الملك بن مروان في الكوفة عظم على الناس

---

(٢) ابن الطقطقي ، الفخري ... ص ١١١ .

(٣) المقريزي ، السلوك ... ، جـ ١ ، ص ١٢ .

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر ، الطبري ، تاريخ الرسل ، جـ ٩ ، ص ١٧٥٦–١٧٦٤

(٥) وربما قبل ذلك .. فحين طلب الثوار من عثمان بن عفان (رض) التنازل رفض ذلك قائلا « هذا قميص البسنيه الله » . انظر الطبري جـ ٢ ، ص ٢٠٨ ، ١٨٤٢ – . الجاحظ ، البيان .. جـ٢ ، ص ١٠٣ . الاصفهاني ، الاغاني ، جـ١٠ ، ص ١٧٢ .. الاخطل ، ديوان ، بيروت ص ١٨٥ .

حق السلطان وقال: «هو ظل الله في الارض وحثهم على الطاعة والجماعة»(٦)

اما العباسيون فقد تقلدوا السلطة بعد ثورة عارمة ذات طبيعة دينية سياسية وذات شعارات تنبؤية مهدوية قوية ولذلك فقد مثلوا حكمهم بانه العودة الى الدين الصحيح والرجوع الى كتاب الله وسنة نبيه (ص) بعد الانحراف الدنيوي الاموي . ولعل هذه النبرة تمثلت في الكثير من اقوال الخلفاء العباسيين (٧) وولاتهم .

وفي دعوى العباسيين بالخلافة اعلنوا بان الله اختارهم وفضلهم على غيرهم . فالمنصور يقول « ولو علمت مكان من هو احق بهذا الامر مني لاتيته حتى ادفعه اليه » (٨) . ويقول نفس الخليفة حين يخاطب اهل خراسان « ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو احسن منا » . وحين يشير ابو العباس الى انتصار الثورة العباسية يقول « ثم رد الله الحق لاهله اخيرا » . وحين خطب داود بن علي اكد بان سبب الثورة كان « الانفة من ابتزازهم [الامويون] حقنا والغضب لبني عمنا وما كرثنا من أموركم ولقد كانت ترمضنا .. » .

واكد العباسيون ان دعواهم تستند على العباس عم النبي (ص) واهملوا وصية ابي هاشم التي استغلوها في فترة الثورة اما بعد تأسيس الدولة وخاصة على عهد المهدي حيث ساد نوع من الاستقرار فادعوا ان العباس هو عم الرسول (ص) ووصيه الذي وعده بالخلافة ، فأكدوا على العمومة فقال السيد الحميري في المهدي :

---

(٦) البلاذري ، انساب ، جـ ٥ ص ٣٥٤ .. ارنولد ، الخلافة .. ص ٤٤ فما بعد .. العلي ، المصدر السابق ص ٨٧ فما بعد . وقال مسكين الدارمي في يزيد الاول (الاغاني) جـ ١٨ ، ص ٦٨ .. مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ .

الا ليت شعري ما يقول ابن عامر	ومروان ام ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلا فانما	يبوئها الرحمن حيث يريد
اذا المنبر الغربي خلاه ربه	فان امير المؤمنين يزيد

(٧) البلاذري ، انساب ، مخطوطة ، ص ١٧٥١ ، ٧٨٤ أ ، ٧٨٤ ب ... الطبري ، جـ٣ ، ص ٤٣٠ ـ ٤٣٢ ، المسعودي ، مروج ، جـ ٦ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٨) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٤٢٠ .

وعلى عدوك يا ابـن عـم محمد رصدان ضوء الصبح والاظلام (٩)

وقال في المنصور : (١٠)

انتـم بني عـم النبي عليـــكم من ذي الجـلال تحية وســلام
وورثتمـوه وكنتــم اولى بـــه ان الولاء تحــوزه الارحــام

وقال البحتري في المتوكل :

يتقيـــل العبـــاس عـم محمد ووصيـه فيما يقـول ويفعــل

ويقول كذلك :

عرفتنـــا سنن النبي وهديـــه وقضيت فينـا بالكتـاب المنـزل
حقا ورثـت عن النبي وانمـــا ورث الهدى مستخلف عن مرسل

وقال علي بن جبلة الانباري (العكوك) في المأمون : « انتم اهل بيت لا يقاس بكل احد والله فضلكم واختاركم لنفسه » (١١) .

كما ادعى العباسيون معرفتهم بالعلم السري ذلك العلم الذي جاءهم عن طريق (الصحيفة الصفراء) (١٢) التي تسلمها محمد بن علي العباسي عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية او العلم السري الذي جاءهم عن طريق الكتب التي توارثوها عن العباس عم النبي (ص) كما يشير الى ذلك المنصور في وصيته للمهدي (١٣) .

من ذلك نستدل بان اتخاذ هذه الالقاب كان نتيجة طبيعية للمظاهر التي اكد عليها العباسيون بعد مجيئهم الى السلطة بل اكثر من هذا فان ارادة الخليفة اصبحت من ارادة الله حيث يقول ابن هرمة للمنصور :

---

(٩) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ ١ ، ص ٢٦٦ .

(١٠) العاملي ـ اعيان الشيعة ـ جـ ١٢ ، ص ١٧٤ .

وقال اشجع السلمي في هارون الرشيد : (الاغاني جـ ١٧ ، ص ٤١) :

ادنتـك من ظـل النبي وصيـــة وقرابـة وشجت بهـا الارحـام

(١١) الاصفهاني ـ الاغاني ـ جـ ١٨ ، ص ١١٤ .

(١٢) مخطوطة اخبار العباس وولده « معهد الدراسات الاسلامية العليا ـ بغداد » .

(١٣) الدكتور فاروق عمر ، وصايا المنصور ـ مجلة الرسالة ـ بغداد ، العدد السابع والثامن

فأم الذي آمنت آمنـــه الردى   وام الذي اوعدت بالثكل ثاكل(١٤)

وقال آخر : (١٥)

قل للامـــام الذي ينجى بطاعتـــه   يوم القيامـــة من بحبوحة النـــار

وقال مروان بن ابي حفصة في المهدي : (١٦)

فان طليـــق الله من انت مطلـــق   وان قتيـــل الله من انت قاتلـــه

وقال ابو العتاهية في المهدي :

ولـــو رامهـــا احـــد غـــيره   لزلزلـــت الارض زلزالهـــــا

ولو لـم تطعـه بنـات القـلوب   لمـــا قبـــل الله اعمالهـــــا

لقب خليفة الله :

ولعل اصل اللقب يعود الى ما ورد في القرآن الكريم من آيات منها: « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة » .

وكان اتخاذ العباسيين لهذا اللقب مرده دعايتهم التي روجوها بـــين الناس من انهم ليسوا كالبشر العاديين :

« ايها الناس لا يغرنكم صغر السن فانها الشجرة المباركة اصلها ثابت وفرعها في السماء (١٧) وان الله انتقاهم باعتبارهم النخبة من اولي الفضل من آل البيت المطهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس واوجب لهم حـــق

---

(١٤) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ـ جـ ١ ، ص ٢٩٤ ، وقال الشاعر في المنصـــور ايضـــا (ضحى ، جـ ٢ ، ص ٣٥) .

وما الناس احتبـوك بها ولكـــن   حبـاك بذلـك الملـــك الجليل

تـراث محمـــد لـكم وكنتـــم   اصول الحق اذ نفي الاصـــول

(١٥) ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ـ ص ٥١٦ . ـ ديوان مسلم بن الوليد ـ ص ١٧٠ ، الاغاني جـ ٧ ، ص ١٤ جـ ٩ ص ١٤٠ .

الاغاني ، جـ ٣ ، ص ١٤٣ . جـ ٩ ، ص ٤٦ .

(١٧) اليعقوبي ، التاريخ ، جـ٢ ، ص ١٠٤ .

الحكم. وفرض على الرعية طاعتهم . ولذلك فهم خلفاء الله .
قال ابو نخيلة للمنصور يحثه على بيعة المهدي : (١٨)

خليفة الله وانت ذاكا   اسند الى محمد عصاكا

وقال :

دونك عبد الله اهل ذاكا   خلافة الله الذي اعطاكا
فاحفظ الناس لها أدناكا   وابنك ما استكفيته كفاكا
لو قلت هاتوا قلنا هاكا هاكا

وحين ولى أبو جعفر المنصور خالد الذهلي الشيباني كتب خالد الى ابي مسلم « انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله واهل بيت نبيه (ص) فلا تخالفن امامك ولا ترجعن الا باذنه » (١٩) .

وقال مروان بن ابي حفصة في ذكرى يوم الهاشمية يمجد شجاعة معن بن زائدة : (٢٠)

ما زلت يوم الهاشمية معلنا   بالسيف دون خليفة الرحمن

ودخل عبد الله بن عمرو يعزي المهدي بوفاة ابيه : (٢١)
« ولا مصيبة اعظم من فقد امام والد ولا عقبى اجل من خلافة الله على اوليائه فاقبل يا امير المؤمنين من الله افضل العطية واحتسب عنده افضل الرزية » .

وحين افضت الخلافة الى الرشيد قال الموصلي : (٢٢)

بيمن يمين الله هارون ذي الندى   فهارون واليها ويحيى وزيرها

---

(١٨) الاغاني ، جـ١٨ ، ص ١٥٢، ابن عساكر ـ تاريخ دمشق ـ جـ٢ ، ص ٣٢٠ .
(١٩) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٠٧ .
(٢٠) المسعودي ، مروج الذهب ، جـ ٦ ، ص ١٦٨ ـ ١٧٠ .
(٢١) Op. Cit. جـ ٦ ، ص ٢٤٠
(٢٢) Op. Cit. جـ ٦ ، ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

وقال هارون الرشيد : (٢٣) « انا من قوم عظمت رزيتهم وحسنت هيئتهم ورثنا رسول الله (ص) وبقيت فينا خلافة الله » .

وخاطب منصور النميري الخليفة المنصور قائلا : (٢٤) يا امين الله يا منصور يا خير الولاة ...

ووصف السيد الحميري الخليفة المنصور قائلا : (٢٥) خليفة الرحمن والقائم ...

وقال ابن المولى الشاعر في المهدي (٢٦) :

خليفة الله عبد الله والده　　وامه حرة تنمى لامجاد
من خير ذي يمن من خير رابية　　من القبول اليها معقل الناد

وقال ابو نؤاس في الامين : (٢٧)

أنت امين الله سيفك نقمة　　اذا ماق يوما في خلافك مائق

وقال مسلم بن الوليد في الامين : (٢٨)

خليفة الله قد زلت بطاعته　　صعر الخدود برغم من مراقيها
كم من يد لامين الله لو شكرت　　لقصر النفس ادنى ادانيها

وقال الحسين بن الضحاك في المأمون : (٢٩)

وانت خليفة الرحمن فينا　　جمعت سماحة وجمعت دينا

---

(٢٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢١٧ . وقد وصل الحد باشجع السلمي ان اعتبر موت هاشمي نقصا من الدين وضعفا له فقال يرثي ابنا للرشيد (اغاني ، جـ ١٧ ، ص ٣٦) .

نقص من الدين ومن اهله　　نقص المنايا من بني هاشم

(٢٤) رفاعي ، عصر المأمون ، ص ٢٤٤ .

(٢٥) الاغاني ، جـ ٧ ، ص ١٤ .

(٢٦) Op. Cit. جـ ٣ ، ص ٩٤ .

(٢٧) ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ـ ص ٥١٦ .

(٢٨) العقد الفريد ، ص ١٧٠ .

(٢٩) الاغاني ، جـ ٦ ، ص ١٧٢ . ابن عساكر ، جـ ٤ ، ص ٢٩٨ .

وقال سلم الخاسر في الهادي : (٣٠)

لمـــا اتـــت خـــير بني هاشم   خلافـــة اللـــه بجرجـــان

اما بشار بن برد فقد هجا المهدي ووصفه بخليفة الله في نفس القصيدة وقد وصف المتوكل بانه « حبل ممدود بين الله وخلقه » .

وقال احدهم للرشيد :

يا امـين اللـه انـي قـــائل   قـــول ذي فهم وعـــلم وادب
عبـــد شمس كان يتـلو هاشما   وهمـــا بعـــد لام ولاب (٣١)

وظهر لقب (خليفة الله) على سكة بتاريخ ٢٠٣ هـ بالمحمدية على عهد المأمون (٣٢) .

هذا فيما يتعلق بلقب (خليفة الله) و (امين الله) و (خليفةالرحمن)، على ان العباسيين استعملوا القابا اخرى من هذا النوع منها : (سلطان الله) . فقد قال المنصور في مكة (٣٣) « ايها الناس انما انا سلطان الله في ارضه اسوسكم بتوفيقه وتسديده وانا خازنه على فيئه اعمل بمشيئته واقسمه بارادته واعطيه باذنه قد جعلني الله عليه قفلا اذا شاء ان يفتحني لاعطياتكم وقسم فيئكم وارزاقكم فتحني واذا شاء ان يقفلني اقفلني فارغبوا الى الله ايها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف ان يوفقني للصـــواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرافة بكم والاحسان اليكم ويفتحني لاعطياتكم» .

وفي وصية الخليفة المنصور لابنه المهدي يشبه سلطة الخليفة بسلطة الله تعالى ويذكر ولي عهده بان السلطان حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القيم ومن اجل ذلك يجب حمايته وتقويته بالقضاء على اعدائه وبالعمل بكتاب الله وسنة نبيه (ص) .

وفي الامان الذي اعطاه المنصور لعمه عبد الله بن علي الثائر في الشام يقول الخليفة :

---

(٣٠) الاغاني ، جـ ٢١ ، ص ١٢٨ .

(٣١) العقد الفريد ، جـ ٣ ، ص ٣١٦ .

(٣٢) حسن الباشا ، الالقاب الاسلامية ، ص ١٨١ .

(٣٣) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ . الطبري ، جـ ٣ ، ص ٤٢٦ ــ ٤٢٧. العقد الفريد ، جـ ٤ ، ص ٩٩ . جـ ١ ، ص ٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن عبد الله بن محمد بن علي ... خليفة الله على من ولاه امره من المسلمين والمعاهدين لعبد الله بن علي ... انه قد آمنه واخلص في ذلك النية واشهد الله .. » (٣٤) .

وفي الرسالة التي وجهها الثائر الخارجي عبد السلام اليشكري الى المهدي يتهمه فيها باجتناب الحق وعدم اتباع الهدى والانشغال بالاماء والصيد ثم يقول متعجبا :

« فيمين الله ما افحش هذا [السلوك] ممن يدعي خلافة الله . قد كانت الاعاجم تنقم مما دون هذا ..!! » (٣٥) .

ومما قيل في هذا الباب « ما مشى قوم قط الى سلطان الله في الارض ليذلوه الا اذلهم الله قبل موتهم » (٣٦) .

ومما يلاحظ هنا انه رغم اشارة المنصور الى نفسه وقوله انه سلطان الله فان المعنى الشائع هو المعنى الاصطلاحي ـ كما سنرى بعد قليل ـ والذي يعني السلطة والحكومة لا الفرد او الحاكم بالذات .

لقب ظل الله :

ولعله يعني الظل او الملجأ الذي يحتمي فيه كل المظلومين والتعساء من الناس . وقد استعمله الخلفاء العباسيون كما استعمله السلاطين السلاجقة والسلاطين المماليك. بل انه في العصر العباسي لم يقتصر استعماله على الخليفة الحاكم ولكنه تعدى ذلك الى الاسرة العباسية . قال البحتري « القوم [العباسيون] ظل الله اسكن دينه فيهم » (٣٧) .

واذا حاولنا ان نتتبع اصول هذا اللقب في العصر العباسي فاننا نلاحظ ان للثورة العباسية لواءين اولهما يسمى الظل والثاني السحاب . ومعنى

---

(٣٤) ان هذا الامان موجود بنصه في تاريخ الموصل للازدي ويحتوي كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري وانساب الاشراف للبلاذري على قسم منه .

(٣٥) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق الاستاذ اكرم العمري .

(٣٦) العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ٩ .

(٣٧) ديوان البحتري ، بيروت ص ١٥٤ .

ذلك ان الدولة العباسية ستدوم ما دام هناك ظلّ في الارض اي حتى قيام الساعة اما السحاب فهي دلالة على عالمية الثورة العباسية وانها ستنتشر في كلّ العالم وتسيطر عليه فالسحاب منتشر في كلّ العالم وكذلك ستنتشر الدعوة العباسية (٣٨) وعلى هذا القياس فان ظلّ الخليفة من ظل الله وبما ان الله دائم فان الخلافة العباسية دائمة .

ويشير المستشرق كولدزيهر الى ان هذا اللقب يجب الا يؤخذ بمعناه الحرفي (فظل الله) لا يعني ان لله تعالى جسما ماديا كجسم الانسان وان لهذا الجسم ظلا . بل ان الذي يستفاد من هذا اللقب هو المعنى الاصطلاحي (٣٩) . فالرواية التاريخية تقول : « السلطان ظلّ الله في الارض » او « السلطان ظل الله في أرضه يحتمي فيه كلّ مظلوم من عباده » . والسلطان هنا يعني السلطة او الحكومة وبذلك يمكن تفسير النص بان الدولة العباسية تشبه في ظلها ظل الله فهي تحمي وترعى وتعين الضعفاء من الناس وتسير في سلوكها سيرة يرتضيها الله تعالى . ومن هنا جاء القول « ظل السلطان كظل الله » . أما الهدف من وراء هذا اللقب فهو كالالقاب السابقة التأكيد على قدسية مؤسسة الخلافة وانها مستمدة قوتها من الله ومؤيدة منه .

ان الروايات التاريخية والشعر المتوفر لدينا عن الفترة العباسية يشير الى نقطتين اثنتين :

١ — ان لقب ظلّ الله لا يشير في الاصل الى شخص الخليفة بعينه بل

---

(٣٨) الطبري ، جـ ٢ ، ص ١٩٥٤ .

(٣٩) I, Goldziher, Ombee de Dieu, R, H, E, 35, 1897.

وفي هذا المعنى الاصطلاحي يقول اشجع السلمي في ابراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد :

فى سيف ابراهيم خوف واقع	لذوي النفاق وفيه أمن المسلم
لا يصلح السلطان الا شدة	تغشى البريء بفضل ذنب المجرم
ونهجت فى سبل السياسة مسلكا	ففهمت مذهبها الذي لم يفهم
منعت مهابتك النفوس حديثها	بالامر تكرهه وان لم تعلم

(الاغاني ، جـ ١٧ ، ص ٣٨ . الشعر والشعراء ص ٥٦٤) .

الى السلطة السياسية او الى مؤسسة الخلافة . وفي هذا المعنى نجـــد أبيات البحتري وأبي تمام في الخلافة العباسية .

٢ ـ ان لقب ظل الله يجب ان يؤخذ بمعناه المجازي ليعني الملجأ والحماية وفي هذا المعنى فهو يشبه اصطلاحات أخرى مشابهة مثل مـا يذكره ابو تمام حول اصطلاح « ستر من الله » او « ستر الله » (٤٠) . وحين يشير زياد بن أبيه الى الخليفة الاموي يقول انه « كهفكم الذي اليـه تأوون » (٤١) . وكما ذكرنا سابقا فقد وصف المتوكل بانه الحبـل الممدود بين الله وبين خلقه (٤٢) وبمعنى اخر ان المتوكل هو الذي يضمن الحماية والعون الذي يهبه الله لعباده . وبنفس هذا المعنى أشير الى معاوية بانه « امام وحبل للانام وثيق » (٤٣) . كما وصف الامام في احدى الروايات بأنه جنة تدافع عن الرعية وتحميها من التعدي (٤٤) .

كل هذه الاصطلاحات استعملت في معاني مجازية مشابهة لاصطلاح ظل الله آنف الذكر . على ان لقب ظل الله شـــاع استعماله في العصر العباسي ليدل على الخليفة اضافة الى مؤسسة الخلافة ولكن بنفس المعنى المجازي المتعارف عليه (٤٥) .

واخيرا لا بد ان نذكر بان هذه الالقاب امثال خليفة الله وظل اللـه ظلت متداولة في الدولة العثمانية وغير الدولة العثمانية في القرن الثـامن عشر الميلادي (٤٦) . وقد رفض جمهور الفقهاء والعلماء تسميـة الخليفة « خليفة الله » ونسبوا قائله الى الفجور بينما سمح بعضهم اتخاذ هـذا اللقب (٤٧) .

---

(٤٠) ديوان ابي تمام ص ٢٣٨ . مسند احمد بن حنبل ، ج ٥ ، ص ٤٣ . كولدزيهر ، المصدر السابق .

(٤١) الطبري ، ج ٢ ، ص ٧٥١٦ .

(٤٢) الطبري ، ج ٣ ، ص ١٣٨٧ .

(٤٣) خرافة الادب ، ج ٢ ص ٥١٥ .

(٤٤) صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ .

(٤٥) من الالقاب التي استعملها الخلفاء العباسيون المتأخرون (حجة الله) وخاصة الناصر والمستنصر ، الالقاب الاسلامية ، ص ٢٥٧ .

(٤٦) كب ، دراسات اسلامية ، ص ١٩١ .

(٤٧) ابن خلدون ، مقدمة ، القاهرة ١٢٨٤ ، ص ١٠٩ . كب ـ دراسات ـ ص ٢٠٨ .

لقب الملك :

لقد فرق الفقهاء والاتقياء والمؤرخون المسلمون في القرنين الاول والثاني الهجريين بين الخلافة والملك ، فكانت الخلافة رمز العدالة والتقوى بينما كانت الملوكية رمز الطغيان والتسلط (٤٨) . ورويت الاحاديث المنسوبة الى الرسول (ص) في هذا الشأن . وقد وصف العهد الراشدي بالخلافة بينما وصفت الدولة الاموية بأنها ملك عضوض كسروي او قيصري . وكان معاوية والذين اتبعوه من بني أمية ملوكا عدا عمر بن عبد العزيز حيث يعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين .

لقد عارض الاتقياء والفقهاء أسلوب الامويين في السياسة والادارة وكانوا يفضلون ان يكون رئيس الدولة زعيما دينيا يحذو حذو السلف في كل أعماله وتشريعاته ، أما الامويون فرأوا بان الحال قد تبدل وان وجهة نظر هؤلاء الاتقياء والفقهاء لا تخدم مصلحتهم ولا مصلحة العرب والمسلمين، فقاموا بما قاموا بـه من تدابير ادارية ولذلك اتهمهم الاتقياء بانهم سلكوا سلوك الملوك . ولم يكذب معاوية الخبر بل بشير اليعقوبي انـه قـال « انا اول الملوك » (٤٩) .

ومن الطريف ان نذكر بان عبدالله بن المقفع حين يشير فـي الادب الكبير الى شخصية الحاكم يتكلم عن شخصية الحاكم المحببة فيستعمل كلمة « والي » ؛ وحين يتكلم عن شخصيـة الحاكم السيئة يستعمل كلمـة « ملك » .

وفي وصية المأمون للمعتصم حيث تنقسم الى ثلاثة أقسام : القسم السياسي وفيه نصائح حول السياسة العامة للسلطان ويستعمل المـأمون كلمة « ملك » بدلا من « الخلافة » التي يستعملها في القسم الثاني الديني. أما القسم الثالث فيتعلق بأمور خاصة . ونستدل من هذا ان كلمـة ملك

---

(٤٨) عن سلمان : ان عمر بن الخطاب قال له : املك انا ام خليفة ؟ فقال ان انت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ثم وضعته في غير حقه فانت ملك غـير خليفة . فاستعبر عمر .

(٤٩) ابن العربي ، العواصم من القواصم ، ص ٢٠٧ ــ ٢١٠ . عن الفرق بين الخلفـاء والملوك ، انظر نعيم بن حماد المروزي ، كتاب الفتن ، مخطوطة (المتحف البريطاني) .

اصبحت تستعمل في العصر العباسي بصورة تدريجية وفقدت معناها السيء الى حد استطاع المأمون ان يستعملها في وصيته (٥٠) . كما وان القاضي ابن العربي وهو من رجال القرن السادس الهجري في الاندلس دافع عن اصطلاح الملك مستندا على الآية « واتاه الله الملك والحكمة » وقال بان الله جعل النبوة ملكا « فلا تلتفتوا الى احاديث ضعف سندها ومتنها » (٥١) .

لقد شاع استعمال لقب « الملك » ليدل على الخلفاء العباسيين منذ بداية العصر العباسي الاول وخاصة بين الشعراء المعاصرين ، فهذا بشار يقول في المهدي :

وملك تسجد الملوك له   مدف على الناس يرزق العربا

وقال مروان في المهدي :

احيا امير المؤمنين محمد   سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعة من هاشم   مد الاله على الانام ظلالها (٥٢)

وقال السيد الحميري يخاطب المنصور : (٥٣)

ان الاله الذي لا شيء يشبهه   اعطاكم الملك للدنيا وللدين
اعطاكم الله ملكا لا زوال له   حتى يقاد اليكم صاحب الصين

وقال صريع الفواني (مسلم بن الوليد) : (٥٤)

الملك في قريش   لها شم منقاد

وحين هجا دعبل الخزاعي الخليفة المعتصم قال : (٥٥)

---

(٥٠) واذا صحت الرواية المنسوبة للمنصور فانه لم يتحرج من نعت نفسه بلقب ملك حين قال « الملوك ثلاثة معاوية وكفاه زياد وعبد الملك وكفاه الحجاج وانا ولا كافي لي » .

(٥١) ابن العربي ـ العواصم من القواصم ـ ص ٢١٠ .

(٥٢) رفاعي ـ عصر المأمون ـ ص ٢٩٢ .

(٥٣) الاغاني ، جـ ٧ ، ص ١٦ .

(٥٤) العقد الفريد ، جـ ١ ، ص ١٩١ .

(٥٥) الاغاني ، جـ ١٨ ، ص ٤٠ ـ ابن قتيبة ـ الشعر الشعراء ـ ص ٥٤٠ ، ديوان دعبل ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

بكى لشتــات الدين مكتئب صب وفاض بفرط الدمع من غيه غرب
وقــام امــام لم يكن ذا هدايــة فليس لــه دين وليس اه لــب
ومــا كانــت الابنــاء تأتي بمثله يملك يوما او تديـــن له العرب

ويقــول :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولــم تأتنــا عن ثــامن لهم كتب
لقدضاعملكالناس اذ ساسملكهم وصيف واشناسوقد عظم الكرب

وقال أشجع السلمي في الرشيد : (٥٦)

الى ملك يستغرق المــال جـوده مكارمــه نثر ومعروفــه سـكب

وحين قسم هارون الرشيد ولاية العهد والامبراطورية بين الثلاثة من اولاده قال بعض العامة : « قد احكم أمر الملك » (٥٧)

ومدح دعبل الخزاعي الفضل بن مروان فقال : (٥٨)

فانــك قد اصبحت للملــك قيما وصرتمكانالفضلوالفضلوالفضل

واستعمل اشجع السلمي لقب ملــك ليـدل على شخصيات برمكية فقال في جعفر البرمكي :

ذهبـــت مكارم جعفــر وفعــاله في الناس مثل مذاهــب الشمس
ملك تســوس له المعــالي نفســه والعقل خــير سياســـة النفس

وقال فيه :

يريـــد الملـــوك مــدى جعفــر ولا يصنعـــون كمــا يصنـــع
وليس باوسعـــــهم في الغـــنى ولكـــن معروفـــــه أوســـع
تلـــوذ الملـــوك بأبوابـــــه اذا نالها الحـــدث الافظع (٥٩)

---

(٥٦) الاغاني ، جـ ١٧ ، ص ٣٠ .
(٥٧) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٥٣ .
(٥٨) الاغاني ، جـ ١٨ ، ص ٣٨ .
(٥٩) Op, Cit, جـ ١٧ ، ص ٣٦ .

وقال علي بن الجهم : (٦٠)

وافنيــــة الملــــوك محجبــات | وبــاب ألله مبـــذول العطـــاء
تــوق النـــاس يا ابــن أبي وامي | فهم تبـــع المخافـــة والرخـــاء

وقال الحسين بن الضحاك في المأمون : (٦١)

راى الله عبد الله خـــير عبــاده | فملكــه والله اعلــــم بالعبـــد
الا انمــا المأمـــون للناس عصمة | مميــزة بــين الضلالة والرشــد

هذه هي بعض الالقاب العامة التي ميزت الخلافة العباسية منــذ عهدها المبكر وواضح منها الاثر الديني والتأكيد عليه باعتباره الاساس الذي بنوا عليه حقهم في الحكم والهدف الذي من اجل احيائه وانعاشه ثاروا ضد الامويين كما يدعون في كل خطبهم واشعار شعراء بلاطهم .

ومهما كان الامر فعلينا ان ندرك بان المجتمع الاسلامي كــان يتطور دائما ومع هذا التطور تظهر مفاهيم جديدة في السياسة والادارة والمجتمع بل وفي كل مناحي الحياة . وما الالقاب الجديدة الا مظهر من مظاهر هذا التطور . وحين يشير البروفسور كب الى الفتنة الكبرى يرى فيها نزاعــا بين حكم حاول الاعتماد على أهل اقليم بعينه وبين حكم حاول الاعتماد على كل العرب او على الاقل التخلص من الاقليمية . اما الثورة العباسية فيرى البروفسور كب فيها نزاعا بين الراي الذي يجعل العرب وحدهــم سادة في الدولة والرأي الذي ينادي باشتراك العرب وغير العرب من المسلمين في الحكم . ان هذه المنعطفات تؤكد الاتجاهات العريضة للمجتمع الاسلامــي المتطور . ومهما قيل في الاصول الاجنبية لهذه الالقاب او استعارة فكرتها من « الحق الالهي المقدس » للشاهنشاه الساساني او السلطة المطلقــة للامبراطور البيزنطي فانها في الواقع تعبر عن التطور التدريجي لمؤسســة الخلافة الاسلامية وللظروف التي نشأت ومرت بها في البيئة الاسلامية .

واختلف الناس في اجازة هذه الالقاب أو عدمها فاجاز البعض لقب (خليفة الله) ، رغم ان ابا بكر نهى عنه باعتبار الاستخلاف للغائب لا للحاضر، انطلاقا من الآية « اني جاعل في الارض خليفة » . وهكذا كان الموقــف

---

(٦٠) Op, Cit جـ ٩ ، ص ١٠٦ .

(٦١) Op. Cit. جـ ٦ ، ص ١٨٠ .

بالنسبة لسائر الالقاب الاخرى . ولعله من الطريف والمفيد ان نختم كلامنا بقول ابن عذاري (٦٢) نقلا عن ابن حزم الذي يهاجم العباسيين ويمتدح الامويين قائلا :

« ولا كلفوا (الامويين) المسلمين ان يخاطبوهم بالعبودية والملك ولا تقبيل يد ولا رجل .. وعاد الامر (على عهد العباسيين) ملكا عضوضا كسرويا ... »

---

(٦٢) ابن عذارى — البيان المغرب .. ص ٦٣ — ٦٤ .

الألوان ودلالتها السياسية
في العصر العباسي الأول

ان موضوع الرايات بالوانها المختلفة ، التي رفعتها الفرق والجماعات الاسلامية عبر التاريخ من المواضيع الشيقة والشاقة في آن واحد . فهو شيق وطريف لانه يعبر عن شخصية الفرقة ومطامح زعيمها ولعله احيانا يمدنا بدلالات عما يختلج في نفوس أتباع هذه الفرق من آمال يحلمون بتحقيقها في المستقبل . والموضوع من جهة اخرى شاق وشائك ولا يزال الغموض يكتنفه لقلة الروايات التاريخية التي تفسر سبب اختيار اللون او توضح مكامنه .

ولعل غموض الروايات وندرتها هي السبب في قلة استقصاء الباحثين في الموضوع من ناحية والى تضارب آراء من بحث منهم فيه من ناحية ثانية .

ولعلنا نبدأ مقالنا هذا بذكر ملاحظة عامة وهي أن الفرق والدعوات الاسلامية تبنت الوانا معينة لشعاراتها بحيث تميزها عن الفرق الاخرى ، ومن أجل ان تبرر اختيارها لهذا اللون او ذاك وضعت أحاديث أو اخترعت روايات فحواها ان الرسول (ص) استعمل هذا اللون راية له او فضل

ذلك اللون على غيره . فقد روي ان اللون الاسود واللون الابيض كانا من الوان رايات الرسول (ص) ، كما وذكر ان الرسول (ص) فضل كذلك الاصفر والاخضر .

وسيقتصر موضوع بحثنا هنا على فترة زمنية معينة هي العصر العباسي الاول وسوف لا نتعداها الا نادرا حين تدعو الضرورة التاريخية الى ايضاح فكرة مبهمة او ظاهرة غامضة بالرجوع الى جذورها او تعقب تطوراتها .

ان اهم الالوان التي شاعت في العصر العباسي هي :

السـواد :

لقد اتخذ العباسيون السواد شعارا لهم فكانت راياتهم سوداء ، كما وكان لباسهم الرسمي وقلنسوتهم سوداوين . وتختلف الروايات فيمن اختار السواد شعارا للعباسيين ولكن أوثق الروايات تظهر انه كان ابراهيم الامام (مفجر الدعوة العباسية) . يقول مؤلف مخطوطة أخبار العباس (١) : قال ابراهيم لابي هاشم « اذا شارفتم الثلاثين والماية نجم حقكم ثم لا يزال في نماء وظهور دعوتكم في البلاد كلها . والسواد يا ابا هاشم لباسنا ولباس انصارنا وفيه عزنا . . كانت راية رسول الله (ص) سوداء وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء فعليكم بالسواد فليكن لباسكم وليكن شعاركم يا محمد يا منصور » . وفي مناسبة أخرى امر ابراهيم ابا هاشم « ان يأمر الشيعة بتسويد الثياب والرايات السود ويعدوها الى وقت خروجهم » (٢) . وكان ابو سلمة الخلال اول من قدم خراسان بالرايات السود .

والظاهر ان الشيعة العباسية من عرب خراسان لم يتقبلوا هذا

---

(١) المؤلف مجهول ، مخطوطة اخبار العباس وولده (مكتبة الاوقاف ببغداد) ص ١١٧ أ .

(٢) Op. Cit. ص ١١٧ أ — ١١٧ ب — يقول الشاعر عن يوم صفين :

لمن راية سوداء يخفق ظلها ... اذا قيل قدم يا يزيد تقدما

اللون باديء ذي بدء (٣) ولذلك برر العباسيون اتخاذهم هذا اللون بأسباب منها (٤) :

(١) ان راية الرسول (ص) وعلي بن أبي طالب (رض) كانتا سوداوين وان الرسول عقد للعباس يوم حنين والفتح راية سوداء .

(٢) ان ما كان يليه داود واصحابه حين لقي جالوت وظفر به هو السواد.

(٣) ان سهم عبد المطلب جد النبي (ص) حين تنازع مع قريش على بئر زمزم كان اسود بينما كان سهم قريش ابيض وسهم الكعبة اصفر. كما وان الذي يميز بني عبد المطلب هو لبس السواد .

(٤) تذهب رواية الى ان الانصار لبسوا السواد بعد (معركة أحد) . وان أبا هاشم قال « لقد تتابعت على آل رسول الله (ص) مصائب لا ينكر معها لاشياعهم لباس السواد حتى يدركوا بثارهم » .

الا ان هذه الاسباب ثانوية اذا قيست بالسبب الاخير الا وهو وجود التنبؤات وانتشار الجفر والملاحم بين الناس والتي كانت تتنبأ بظهور الاعلام السود من قبل المشرق وان هذه الروايات هي المنتصرة . ويذكر ذلك مخطوط أخبار العباس (٥) حين يقول : « ومما قوى راي الائمة في السواد امور منها ما جاء من ظهور الرايات السود » . وفي الطبري (٦) ان أبا جعفر عيسى قال لنصر بن سيار والي خراسان « أيها الامير حسبك من هذه الامور والولاية فانه قد اطل امر عظيم سيقوم رجل مجهول النسب يظهر السواد ويدعو الى دولة تكون فيغلب على الامر وأنتم تنظرون وتضطربون » وقد أكد أبو هاشم بكير بن ماهان أهميته حين قال « ان عز هذه الدولة فيه ولا تزال دعوة بني هاشم عزيزة ما لبس السواد أهلها » (٧) .

---

(٣) اخبار العباس وولده ص ١١٨ أ . ـ يقول احد الشيعة العباسية عن الراية السوداء « فاستوحشنا منها » .

(٤) Op. Cit. ، ص ١١٧ ـ ١١٨ ب . ـ انظر كذلك القلقشندي مآثر الانافة .. حـ ٢، ص ٢٣٥ .

(٥) Op, Cit, ، ص ١١٧ ب .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ليدن ، القسم الثالث ، ص ١٩٣٠ .

(٧) اخبار العباس ... ، ص ١١٨ أ .

وكانت الملاحم والنبوءات ذات اثر كبير على الناس الذين شغلت اذهانهم بها . يقول اليعقوبي « ولما قتل زيد بن علي تحركت الشيعة بخراسان وظهر الدعاة ورويت المنامات وتدورست كتب الملاحم » (٨) . ولم تكن الرايات السود بدعة عباسية جديدة ، فقد رفعها الحارث بن سريج المرجىء حين ثار على بني امية سنة ١١٦ هـ في بلاد ما وراء النهر وخراسان . ولم يستغل العباسيون شعار الحارث الاسود فقط بل استغلوا كذلك اسمه بعد تعديل بسيط . فبعد ان كان المنقذ الذي سيظهر يدعى (الحارث) اصبح يدعى (ابن الحارثية) وهو عبدالله بن محمد بن علي ابو العباس (٩) . وقد استعمل الخوارج امثال بهلول الخارجي سنة ١١٩ هـ وابي حمزة الخارجي سنة ١٢٨ هـ السواد شعارا لهم قبل ظهور الدعوة العباسية كذلك (١٠) .

ويذهب بعض المؤرخين الرواد ويتبعهم في ذلك المحدثون (١١) الى ان السواد كان رمزا للحزن على قتلى أهل البيت ، وقد يصح ذلك بالنسبة الى الملابس اما الرايات فليس هناك ما يؤيد كونها علامة للحزن . ولكننا نعتقد بان اتخاذ السواد في العهد الاموي من قبل الفرق المعارضة كان مناسبا جدا لانه كان يتفق مع اللون الذي اتخذه الرسول في حروبه مع

---

(٨) اليعقوبي ، تاريخ حـ ٢ ، ص ٣٩٣ .

(٩) عن نبوءة الرجل ذي الاعلام السود الذي يخرج من المشرق ويزيل الامويين . انظر (مخطوطة الفتن المتحف البريطاني) الخزاعي ـ الكامل ـ للمبرد ص ٥٨٥ . الطبري ، ليدن ، القسم الثاني ص ١٩٢٩ فما بعد ـ عن خراسان : « خراسان كنانة الله اذا غضب على قوم رماهم بهم » « ما خرجت من خراسان راية فى جاهلية واسلام فردت حتى تبلغ منتهاها » . انظر : E. Herzfeld, Khorasan

قال الكميت مخاطبا الحارث المرجىء : (الطبري ، القسم الثاني ، ص ١٧٤) :

الا فارفعوا الرايات سودا   على اهل الضلالة والتعدي

(١٠) الطبري ، القسم الثاني ، ص ١٥٧٠ ، ١٦٢٤ ، ١٩٨١ . ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ، حـ ٥ ص ٢٨٥ .

(١١) ابن خلدون ، المقدمة ، انظر كذلك حاشية رقم (٤) .

De Sacy, chrestomathie arabe 2é ed, vol. 1, p. 48 ff.

فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات ، الترجمة العربية ، ص ١٢٤ .

قريش واهل الكفر (١٢) وكان يتناسب واللون الذي تتنبأ الملاحم بظهوره في المشرق وانه سوف لا ينخذل حتى يقضي على اهل الجور (الامويين) ، كما وانه رمز للاحتجاج على الطغيان والتحدي للضلالة والانحراف عن العدل ، واكثر من ذلك فان هذا اللون كان له مغزى اخر ينبيء بأن عهدا جديدا سيبدأ وان آمالا واماني طال انتظارها ستحقق واخيرا وليس آخرا فقد كان السواد في الجاهلية رمزا للثأر (١٣) ولعل في ذلك علاقة بالثأر لآل البيت من الامويين .

ولقد سميت الدولة العباسية « دولة المسودة » . يقول داينوسس التلمحري (١٤) بان ملابس العباسيين وقلانسهم كانت سودا . ولعل الخليفة المنصور كان أول من ابتدع عادة لبس القلنسوة السوداء الطويلة في البلاط ودواوين الدولة . وقد علق الشاعر ابو دلامة على ذلك قائلا :

وكنا نرجي في أمير زيادة فزاد لنا فيها بطول القلانس (١٥)

وتذكر بعض الروايات الى ان والي الجزيرة في أوائل عهد الدولة العباسية أصدر منشورا يقضي بان يلبس المسلمون ملابس سوداء تمييزا لهم عن غير المسلمين خاصة وأن هذه المنطقة يكثر فيها أهل الذمة . ولما كانت منطقة الجزيرة منطقة قريبة من الحدود البيزنطية فان اتخاذ هذا القرار كان من باب السيطرة على الامن ومراقبة الاعداء (١٦) . وقد أمر أبو مسلم الخراساني والي خراسان بقتل أحد الاشخاص الذين تعرضوا علانية للسواد وهزئوا به . وكان اللواء الاسود في عهد المتوكل هو (لواء العهد) الذي يعطى لولي العهد (١٧) .

---

(١٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١١٢ ، اليعقوبي ، التاريخ ، حـ ٢ ص ١٥١ . ـ الدينوري الاخبار الطوال ، ص ١٨٦ . ـ ابو يوسف ، الخراج ، ص ١١٩ .

(١٣) الاصفهاني ، الاغاني حـ ٨ ص ٧٥ ، ٢٠ . ـ انظر كذلك ولهاوزن ، الدولة العربية النسخة الانكليزية ، ص ٥٢٣ .

(١٤) التلمحري ، تاريخ ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .

(١٥) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد حـ ١٣ ص ١٤٢ . ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان حـ ٢ ص ١٣٠ .

(١٦) التلمحري ، Op, Cit ، ص ٤٦ .

(١٧) الطبري ، القسم الثالث ، ص ١٣٩٥ وما بعدها .

وقد ظل هذا التقليد متبعا في العهود العباسية المتأخرة فيذكر ابن العبري (١٨) ان الخليفة العباسي حين قابل السلطان طغرلبك كان يلبس رداء اسود وقلنسوة سوداء وكذلك كان السلطان يكتسي بالسواد في راسه وجسده .

اما بالنسبة لاعداء الدولة العباسية فقد كان السواد موضع سخرية وازدراء وهناك روايات قليلة متناثرة في المكافآت والبداية وتاريخ دمشق تشير الى موقف اهل الشام من اللون الاسود واستهزائهم به (١٩) .

وقد سمت الخرمية الدين الاسلامي (بالدين الاسود) باعتباره دين (المسودة) العباسيين ، اما دين هؤلاء الخرمية المجوس فقد سموه (بالدين الابيض) تمييزا له عن الاسلام . يقول الافشين للمازيار على عهد المعتصم (٢٠) .

« لم يكن ينصر هذا الدين الابيض (الخرمية) غيري وغيرك وغير بابك فانه بحمقه قتل نفسه » . ثم يدعوه الى التحالف والقضاء على جيش الخليفة العباسي واعادة « الدين الى ما لم يزل عليه ايام العجم » ومن رسوم الخلافة الفاطمية في مصر ان الخليفة يأمر الموظف المغضوب عليه او الذي اساء التصرف في عمله « بلبس السواد » رمزا لغضب الخلافة عليه وتحقيرا له (٢١) .

البياض :

لقد اعتبر البياض رمزا لحركة المعارضة على عهد العباسيين . فلقد رفع هذا الشعار معظم الثوار ليعبروا عن سخطهم وتمردهم ضد الدولة

---

(١٨) انظر : De Sacy, chrestomathic arabe .., pp. 49 ff

(١٩) ابن الداية ، المكافات ، ص ٧٠ . – ابن كثير البداية والنهاية حـ ١٠ ص ٥١ . وفي رواية للطبري القسم الثالث، ١٩٢٥ ان الخوارج استعملوا السواد .

(٢٠) الطبري ، القسم الثالث ، ص ١٣١١ .

(٢١) De Sacy, chrestomathic arabe ,., 2é ed. p, 49.

العباسية . ولعل اهم الجماعات التي رفعت هذا الشعار هم أهل الشام المعروفون بولائهم لبني امية . ثم العلويين الذين اعتبروا الخلافة حقهم المشروع الذي اغتصبه العباسيون ، ثم الفرس الذين خابت آمالهم التي عقدوها على مجيء العباسيين الى الحكم فثاروا ليحققوا مكاسب اكثر او ليعيدوا مجد ايران ودين المجوس . واخيرا فان الولاة والقادة العباسيين الذين ثاروا على الدولة العباسية ذاتها بعد ان اختلفوا مع الخليفة تبنوا البياض كذلك تعبيرا عن مخالفتهم للدولة .

لقد كان اللون الابيض ، كما ذكرنا من الوان رايات الرسول (ص) ، ويذكر بعض المؤرخين المحدثين (٢٢) ان اللون الابيض كان شعار الامويين اصلا أي قبل مجيء العباسيين وليس لدينا ما يؤكد ذلك في رواياتنا التاريخية سوى ما يذكره الاصفهاني من ان « الوليد كان يصلي في ثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة » (٢٣) . وهذا النص لا يدل بالطبع على ان راياتهم كانت بيضاء . ومما يزيد في ضعف الرواية هو استعمال الخوارج للبياض في احدى ثوراتهم ضد الامويين انفسهم . يقول الطبري : « وقد أمر (سعيد بن بهدل الخيبري) وهو احد قواد (الضحاك بن قيس الشيباني) كل واحد من اتباعه ان يكون معه ثوب أبيض يجلل به راسه ليعرف بعضهم بعضا (٢٤) .

ولكننا من جهة اخرى نعرف بان اللون الابيض كان شعار الدولة الفاطمية في مصر (٢٥) ، ولكن البياض كذلك راية لعمال الولايات في عهد ملوك البربر بالمغرب يقول ابن خلدون : « اما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرهم فلم يختصوا بلون واحد بلّ وشوها بالذهب واتخذوها من الحرير الخالص ملونة وكثروا من عددها . وأذنوا للعمال باتخاذ راية

---

(٢٢) فان فلوتن « Op, Cit ، ص ١٢٤ . —
C, Cahen, Points de Vue.. R. H. 1963 p, 332.

(٢٣) الاصفهاني ، الاغاني ، حـ ٦ ، ص ١٤١ . — وفي رواية للجهشياري ص ٢٥٦ ان البياض كان شعار العلويين دون ان يدلل على ذلك .

(٢٤) الطبري ، تاريخ ، القسم الثاني ، ص ١٨٩٨ .

(٢٥) Hamaker, Reflexions Critiques pour Servir de résponse..., 1829, p. q. - De Sacy, op. cit. II, p, 263, I, p. 49 f,

واحدة صغيرة من الكتان بيضاء » (٢٦) .

واذا تتبعنا الثورات السورية في العصر العباسي الاول فاننا نجدها تتخذ البياض شعاراً لها . فتحت عنوان « ذكر الخبر عن تبييض ابي الورد وما آل اليه أمره وامر من بيض معه » (٢٧) يتكلم الطبري عن ثورة مجزاة ابن الكوثر الكلابي الذي اظهر التبييض (أي الثورة) والخلع لعبدالله بن علي ودعا اهل قنسرين الى ذلك فبيضوا بأجمعهم سنة ١٣٢ هـ . وفي نفس السنة خلع حبيب بن مرة المري وبيض هو ومن معه من اهل الشام (٢٨) . كما بيض ايضا أهل الجزيرة وخلعوا ابا العباس واغلقوا ابواب مدنهم في وجه الولاة العباسيين (٢٩) . ولعل دنيس التلحمري يشير الى ذلك بوضوح في كتابه فيقول مدافعا عن اهل الجزيرة : ان ما قاساه هؤلاء الناس من ظلم ونهب من الجند الخراساني اجبرهم على التبييض والثورة ضد العباسيين (٣٠) .

وعلى ذلك فاننا نقول بان اللون الابيض كان رمزا لتحدي السلطة العباسية (سلطة المسودة) اكثر من كونه رمزا للولاء للامويين لاسباب منها :

(أ) ان مبيضة الجزيرة من القبائل العربية لم تكن كلها موالية للامويين بل انها كانت ضد اية سلطة لان السلطة تفرض عليها النظام وتقيد من حريتها .

(ب) لقد تحالف مبيضة الجزيرة مع الخوارج المعروفين بعدائهم الشديد للامويين . والمعروف عن الخوارج انهم تبنوا اللون الابيض في بعض حروبهم (٣١) .

---

(٢٦) ابن خلدون ، المقدمة . وكان شريف مكة في اواخر عهد الخلافة العباسية يلبس البياض (لباسهم البياض والعمائم البيض) .

(٢٧) الطبري ، القسم الثالث ، ص ٥٤ .

(٢٨) Op, Cit. ، ص ٥٥ .

(٢٩) Op. Cit. ، ص ٥٦ .

(٣٠) التلحمري ، Op. Cit. ، ص ٤٦ .

(٣١) الطبري ، القسم الثاني ، ص ١٨٩٨ .

(ج) استعمل البياض ثوار اخرون لا علاقة لهم بالامويين مثل عبد الجبار الازدي الذي بيض في خراسان بعد ان اختلف مع المنصور ودعا ظاهرا الى العلويين باعتبارهم رمز المعارضة للعباسيين وتحالف مع الايرانيين من اتباع اسحق الترك وكان ذلك سنة ١٤٠ هـ / سنة ٧٥٧ م (٣٢) . ويذكر الطبري رواية ثانية عن تمرد والي عباسي اخر : « لما بايع عمر بن حفص لمحمد بن عبدالله (النفس الزكية) واوى ابنه عبدالله عنده في السند قطع الاعلام البيض والاقبية البيض والقلانس البيض وهيأ لبسته من البياض يصعد فيها الى المنبر . وتهيأ لذلك يوم خميس ولكن جاءه الخبر بقتل محمد » .

وكان البياض كذلك هو اللون المفضل لدى الثوار من العلويين في العصر العباسي الاول . وقد استعمل المؤرخون اصطلاح « التبييض » نفسه ليدلوا على ثورة محمد النفس الزكية واخيه ابراهيم وغيرها من الثورات العلوية . يقول الطبري « لما ظهر محمد بن عبدالله بن الحسن وغلب على المدينة ومكة وسلم عليه بالخلافة وجه اخاه ابراهيم بن عبدالله الى البصرة فدخلها في أول يوم من شهر رمضان سنة ١٤٥ هـ فغلب عليها وبيض بها اهل البصرة معه » (٣٤) . ويقول صاحب كتاب العيون والحدائق « لما قدم عيسى بن موسى من الحجاز سرحه المنصور لحرب ابراهيم والمبيضة » (٣٥) . وحين يتكلم الطبري (٣٦) عن ثورة أبي السرايا العلوية يقول « ذكر الخبر عن تبييض اخي أبي السرايا وظهوره بالكوفة » . وحين يتكلم المسعودي عن ثورة الزنج التي ادعى قائدها بأصل علوي يقول « وقد ذكر صاحب الزنج في اخبار المبيضة وكتبهم وقد اتينا على جميع خبره ... بالبصرة في الكتاب الاوسط » (٣٧) . وفي رواية اخرى يقول

---

(٣٢) البلاذري ، انساب الاشراف (مخطوطة) ص ٥٤٢ . ـ الطبري ، القسم الثالث ، ص ١٣٦ . ـ اليعقوبي ، تاريخ ، القسم الثاني ، ص ٤٤٥ .

(٣٣) الطبري ، القسم الثالث ، ص ٣٦١ .

(٣٤) Op. Cit. ، ص ٢٩٨ .

(٣٥) كتاب العيون والحدائق ، ص ٢٥٢ .

(٣٦) الطبري ، القسم الثالث ، ص ١٠١٧ وما يليها .

(٣٧) المسعودي ، مروج الذهب ، ص ٢٣ .

المسعودي عن ثورة طبرستان العلوية سنة ٢٨٧ هـ :

« كان سير الداعي العلوي من طبرستان الى بلد جرجان في جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم فلقيته جيوش المسودة من قبل اسماعيل بن احمد وعليها محمد بن هرون . فكانت وقعة لم ير مثلها في ذلك العصر وصبر الفريقان جميعا وكانت للمبيضة على المسودة ثم كانت مكيدة من محمد بن هارون (٣٨) .

كما تبنت بعض الفرق الايرانية البياض شعارا لهـا ولذلك سميت (المبيضة) . ولكن المبيضة في خراسان والاقاليم الشرقية تختلـف عـن المبيضة في الشام والعراق والجزيرة ذلك لان اصطلاح المبيضة في خراسان كان يعني بصورة خاصة الخرمية من اتباع ابي مسلم الذين دانـوا بآراء متطرفة مجوسية واعترفوا بالولاء لابي مسلم لا للعباسيين وبقوا مخلصين لذكراه حتى بعد مقتله . ولا يفرق الشهرستاني بـين المبيضة والخرمية والمزدكية بل يعتبرها متشابهة في الاصل . ولعل اشهر الحركات الايرانية التي تبنت (المبيضة) الخرمية هي حركة المقنع الخراساني سنة ١٥٩ هـ / سنة ٧٧٥ م فيعتبر البغدادي المبيضة هي المقنعية فيما وراء النهر ، كما يؤكد ابن الاثير ان مبيضـة بخـارى والصغـد عـاونوا المقنـع وكـانوا انصـاره (٣٩) .

اما موقف العباسيين من البياض فمن الطبيعي الا يكون وديـا لانـه شعار اعدائهم على مختلف اتجاهاتهم ولذلك نرى ان الخلفاء كانوا يأمرون عمالهم أو ولاتهم بلبس البياض عقوبة لهم لسوء ادارتهم . تذكر احـدى الروايات التاريخية « ان المأمون سخط على عيسى بن منصور الرافقي وكان على امارة مصر وامر بحل لوائه واخذ بلباس البياض عقوبة لـه » ، وكذلك فعل ابن طاوون بأخيه موسى حيث « امره بلباس البياض » (٤٠)

---

(٣٨) Op, Cit ، ص ١٩٤ . — وحين سيطر ابو السرايا على الحجاز ازال كسـوة العباسيين عن الكعبة ووضع بدلها علمين من الحرير الاول ابيض والثاني اسود .

(٣٩) عن المبيضة انظر : Sadighi, Les mouvement,.., pp. 162 ff. ، سميرة الليثي الزندقة والشعوبية ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٢٤ وما يليها .

(٤٠) المقريزي ، الخطط حـ ٢ ص ٤٤ . — ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة . — انظر : De Sacy, op. cit. I p. 52

بعد ان سخط عليه . ولكننا يجب ان نستدرك على هذه القاعدة العامة فنذكر رواية استثنائية تشير الى عهد الخليفة العباسي المتوكل (سنة ٢٣٢ / سنة ٨٤٦ ـ ٢٤٧ / سنة ٨٦١) ومضمون الرواية :

« في سنة ٢٣٥ هـ عقد المتوكل البيعة بولاية العهد لابنه محمد المستنصر بالله ثم بعده لابنه المعتز بالله ثم بعده لابنه ابراهيم المؤيد بالله .. وعقد لكل واحد منهم لواءين احدهما اسود وهو لواء العهد والاخر ابيض وهو لواء العمل » (٤١) .

اللون الاخضر :

ينسب المستشرق هامر الى الرسول (ص) اتخاذه راية خضراء(٤٢). ويستند في ذلك الى ادعاء سلاطين العثمانيين بأنهم ورثوا عن بني العباس بعض شارات الخلافة ومنها الراية الخضراء . ويعلق الاستاذ هامكر على هذا الراي فيشير الى احتمال وجود راية خضراء على عهد الرسول (ص) ولكن ليس من المحتمل ان تبقى هذه الراية طوال هذه القرون العديدة حتى تصل الى سلاطين آل عثمان دون ان يعفي عليها الدهر وتبلى .

ومهما يكن من أمر فان عدم وجود نص تاريخي يدل دلالة صريحة على استعمال اللون الاخضر راية في صدر الاسلام يدعونا الى رفض رأي المستشرق هامر من اساسه .

ويؤيد بعض المؤرخين ان اللون الاخضر كان شعارا علويا معتمدين على روايات متأخرة (٤٣) . ونحن لا نستطيع ان نقبل هذا الراي حتى تؤيده روايات تاريخية قديمة . واعل سبب الجمع بين العلويين والشعار الاخضر هو ما قام به الخليفة المأمون حيث تبنى الخضرة شعارا للدولة

---

(٤١) الطبري القسم الثالث ، ص ١٣٩٥ وما يليها .

(٤٢) انظر : Hamker, op. cit, pp, 9-10.

(٤٣) De Sacy, op. cit. p. 49. - Gabrieli, Ma'cun. p. 37.

يعتمد كابريللي على نص فارسي يقول : « شعار سياه عباسيان بسبر علويان بدل كرد».

العباسية بدل السواد واعلن عن بيعته للرضا وليا للعهد سنة ٢٠٢ هـ / سنة ٨١٧ – ٨١٨ م . يقول ابن الطقطقي « ومن اختراعاته [أي المأمون] نقل الدولة من بني العباس الى بني علي (ع) وتغيير الناس السواد بلباس الخضرة وقالوا هو لباس أهل الجنة » (٤٤) .

ويقول ابن خلدون في مقدمته : « ولما نزع المأمون عن لبس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الخضرة فجعل راياته خضرا » . ولقد كانت سنة ٢٠٢ هـ الآنفة الذكر سنة مثيرة شهدت نزاعا عنيفا بين رايات ثلاث هي :

الاخضر ويمثل الدولة العباسية وخليفتها المأمون وولي عهده علي الرضا (ع) .

الاسود ويمثل الامراء العباسيين ومعهم شيعة العباسيين القدماء واهل بغداد .

الابيض ويمثل الثوار العلويين الذي ثاروا ضد الدولة وحاولوا دون جدوى اقناع العباس بن موسى ان يعلن الخلافة العلوية .

ولقد تحدى الشيعة العباسية في العراق قرار المأمون ودعوا الى ابراهيم بن المهدي ورفعوا شعار « يا ابراهيم يا منصور » واستمروا في اخلاصهم للون الاسود العباسي . ويظهر من روايات الطبري أن أهل بغداد ثاروا واخرجوا الحسن بن سهل وذهبوا الى صالح بن المنصور ليبايعوه وقالوا له :

« نحن انصار دولتكم وقد خشينا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس فهلم نبايعك فانا نخاف ان يخرج هذا الامر عنكم » . وقال بعضهم « لا نبايع [للمأمون] ولا نلبس الخضرة ولا نخرج هذا الامر من ولد العباس وانما هذا دسيس من الفضل بن سهل » . ولكن رفض صالح بن المنصور جعلهم يبايعون ابراهيم بن المهدي . وقد تحداهم العباس بن موسى الذي كان يمثل الدولة العباسية . واتخذ الخضرة وحارب اهل بغداد باسم المأمون والرضا الذي كان اخا العباس . كما وأن العباس لم يستمع الى أقوال الشيعة العلوية بأن يعلنها دولة علوية وينتهز فرصة الاضطرابات .

---

(٤٤) ابن الطقطقي ، الفخري ، ص ١٦٣ .

والطريف هنا ان اللون الاخضر أصبح يمثل الدولة العباسية والخليفة العباسي في الوقت الذي صار السواد يمثل الثوار . ولكن هؤلاء الثوار كانوا من نوع خاص ذلك لانهم يمثلون شيعة العباسيين المخلصين للتقاليد العباسية القديمة والذين احزنهم ما قام به المأمون من « بدع » ربما تؤدي في نهاية المطاف الى خروج الامر من يد العباسيين .

لقد ذكرنا سابقا بان اقتران اتخاذ المأمون للشعار الاخضر بتعيينه علي الرضا وليا للعهد قد يدعو الباحث الى القول بأن الخضرة كانت شعارا العلويين . ولكن مصادرنا القديمة لا تشير الى ذلك . فما الداعي اذن لاتخاذ الخليفة اللون الاخضر شعارا للدولة العباسية ؟؟. يقول هامكر(٤٧) بان اختيار المأمون للخضرة لكونها اللون الثالث الذي يفضله الرسول (ص) عدا الاسود والابيض ، وقد ظن الخليفة بان اختياره سوف يرضي أتباعه. اما المستشرق ويل (٤٨) فيعطي تفسيرا يستند على فرضيات في الالوان وتركيبها ويقول بان الاخضر (الذي يسمى رمادي عند بعض العرب) ينتج من اختلاط الابيض بالاسود وفي ذلك اشارة الى التحالف بين العباسيين ومعارضيهم من العلويين وعلى (سياسة التوفيق) التي اتبعها المأمون . حيث اعترف بان للعلويين كذلك الحق في الخلافة . وان تقلد منصب الخلافة لا يقتصر على العباسيين فقط من البيت الهاشمي . على ان هذا التفسير الذي يستند على (علم الالوان وتركيبها) لا يمكن قبوله . ان التفسير الاكثر قبولا والذي يعتمد على نصوص تاريخية قديمة هو تفسير البروفسور كبريللي وفحواه : « ان اللون الاخضر اختير لانه اللون المحبب لدى أهل الجنة ولدلالته على الوئام والوفاق . وكان هدف المأمون من ذلك هو اعلان بدء عهد جديد من الالتئام بين أهل البيت جميعا من عباسيين وعلويين الذين سيمارسون حقهم الشرعي بالخلافة بصورة

---

(٤٥) ابن خلدون ، المقدمة . يقول الطبري « انه [المأمون] نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد احدا هو افضل ولا اورع ولا اعلم منه وانه سماه الرضا من آل محمد » الطبعة المصرية حـ ١٠ ص ٢٤٣.

(٤٦) انظر Gabrieli, Fr. "Al-Ma'mun c gli "Alidi" M.T.F. Leipziq 1929.

(٤٧) Hamker, op, cit, p. 9.

(٤٨) Weil, Geschichte de Califen, Vol. II, pp. 216-17.

مشتركة » (٤٩) . وهذا الرأي له ما يؤكده حيث يقول البلعمي وابـــن الطقطقي عن اللون الاخضر « بانه لباس اهل الجنة » (٥٠) .

ولعل ما يؤيد هدف المأمون هذا في اختياره الخضرة هو عدوله عنها ورجوعه الى السواد بعد تأكده من فشل سياسته في التوفيـــق لمعارضة العباسيين والعلويين واشياعهم لهذه السياسة . ذكر الصولي قـــال ان الراضي ما كان السبب في لبس المأمون الخضرة ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك . قلت هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا الفلابي قـــال حدثنا يعقوب بن جعفر بـــن سليمان قال لما قدم المأمون بغـــداد اجتمـــع الهاشميون الى زينب بنت سليمان بن علي وكانت اقعد ولد العباس نسبا واكبرهم سنا فسألوها ان تكلم أمير المؤمنين في تغييره الخضرة فضمنت لهم ذلك وجازت الى المأمون فقالت يا أمير المؤمنين انك على بر اهلك من ولـــد علي بن ابي طالب اقدر منك على برهم لنا من غير ان تزيل سنـــة من مضى من آبائك فدع لباس الخضرة ولا تطمعن احدا فيما كان منـــك ... فرجع الى لبس السواد » . ويمكننا ان نضيف الى ذلك أسانيد أخرى تؤكد بأن اللون الاخضر مرتبط بالحياة الاخرة ، حيث تؤكد الروايات التي تعـــالج حركة بهافريد في خراسان بانه أدعى صعوده الى السماء ورجعته ومعه رداء أخضر جاء به من العالم العلوي . كما لبس المقنع الذي ادعى الالوهية في خراسان قناعا اخضر على وجهه على حد قول المصادر الفارسية (٥٢) .

ويروي السيوطي بأن الملك الاشرف شعبان احد سلاطين المماليـــك في مصر كان قد أشار على الاشراف (من بني هاشم) سنة ٧٧٣ هـ . بان

---

(٤٩) كبريللي ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٥٠) الفخري ، ص ٢٩٩ . ـ البلعمي ، ترجمالي تاريخي طبري ، ص ٧١٨ .

(٥١) المسعودي ، مروج الذهب ، ص ٣٣٣ .

(٥٢) عـــن هذه الحركات انظر Sadighi, op. cit. pp. 216 ff. وتشير رواية في مآثر الانافة « ان بني امية كان شعارهم الخضرة وقد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد صاحب اليمن المقدم ذكره انه حين تولى الخلافة وانه من بني امية لبس الخضرة وهذا صريح في ان شعارهم الخضرة » ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ . على اننا نرجح بان الخضرة لم تكن شعارا عربيا بل ان رواية في تاريـــخ الوزراء للجهشـــياري تشير بانه شعار الفرس (ص ٢٥٦) .

يميزوا انفسهم بلبس الخضرة . وقد أشار بعض الشعراء الى ذلك قائلا :

جعلوا لابنـــاء الرسول علامـــة ان العلامـــة شأن من لـــم يشهر

نـــور النبـــوة في وسيـــم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الاخضر (٥٣)

ولعل هذا الامر كان أول أمر رسمي من قبل السلطة الى الهاشميين بأن يميزوا انفسهم باللون الاخضر وكما نلاحظ فانه حصل فـــي فترة متأخرة جدا .

الحمـــرة :

ان الحمرة مرتبطة بصورة رئيسية بالامويين . ولعل أول ما نلاحظها في جيش مروان اخر خلفاء الامويين حيث توجد فرقة في جيشه تســمى (المحمرة) (٥٤) . ولكننا لا نعرف ماذا يقصد بها وهل ان اسمها جاء من الرايات الحمر التي كانت تميزها عن غيرها من الكتائب او انهـــا سميت كذلك نسبة الى قائدها او مكان ما .

وبعد تأسيس الدولة العباسية تبنى الثوار الامويون وخاصة مـــن الفرع السفياني اللون الاحمر شعارا لعصيانهم على العباسيين وخلافهم لهم . يقول البلاذري خرج ابو محمد السفياني سنة ١٣٣ هـ على العباسيين ولبس الحمرة . ويؤكد ذلك المقريزي ويقول بان شعار ابي محمد السفياني المفضل كان اللون الاحمر (٥٥) . ولكن الطبري ومن اتبعه من المؤرخين يصفون شعار الثورة السورية آنفة الذكر بالبياض (٥٦) . ولكن هـــذا الارتباك له ما يبرره اذا علمنا ان قيادة ثورة سنة ١٣٣ السورية كانت بيد اثنين أولهما ابو محمد السفياني وثانيهما ابو الورد الكلابي وكان الكلابي

---

(٥٣) انظـــر : De Sacy, op. cit. I, p. 49,

(٥٤) الطبري ، القسم الثالث ، ص ٤٠ .

(٥٥) البلاذري ، انساب مخطوطة ، ص ٨٠١ أ . ـ المقريزي منتخب التذكرة مخطوطة ص ١٢١ أ .

(٥٦) الطبري ، القسم الثالث ص ٥٢ ـ ٥٤ . المقدسي ، البدء والتاريخ حـ ٦ ص ٧٣ . ـ ابن العديم زبدة الحلب جـ ١ ص ٥٤ ـ ٥٥ .

يحاول ان يتزعم الحركة بنفسه ولكن السفياني لم يسمح بان يجعل من نفسه دمية في يد الكلابي . ان شعار الكلابي واتباعه من القيسية كان البياض بينما كان شعار السفياني وانصاره الكلبية هو اللون الاحمر . ولعل هذا يفسر كذلك التصادم بين الجماعتين منذ بدء الثورة مما ادى بالتالي الى فشلها .

يقول ابن العديم (٥٧) نقلا عن ابن الكلبي : ان العباس بن محمد بن عبدالله السفياني الذي ثار في حلب في خلافة ابي العباس رفع الحمرة شعارا له . وفي سنة ١٩٥ هـ/سنة ٨١٠ م تنازع القيسية بقيادة مسلمةبن يعقوب بن علي المرواني مع الكلبية بزعامة علي بن عبد الله بن خالد السفياني (ابو العميطر) (٥٨) وكان النصر حليف مسلمة المرواني الذي اخذ البيعة على الامويين ولبس الحمرة وجعل اعلامه حمرا كذلك . ولكن هذه النصوص القليلة لا تعيننا على اعطاء رأي نهائي وحتى نعثر على روايات جديدة فاننا نستطيع القول بان الامويين الذين ثاروا في الشام فضلوا اللون الاحمر للتعبير عن سخطهم من السلطة العباسية (٥٩) .

---

(٥٧) ابن العديم ، المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٥٦ .

(٥٨) محمد كرد علي خطط الشام ، ص ١٨٥ (نقلا من مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر).

(٥٩) ان ملحمة السفياني تدل على ان اهل الشام بعد سقوط دولتهم تعلقوا ببني سفيان وانصرفوا عن بني مروان على الاعم الاغلب . وكان ابو محمد السفياني يعتبر المنقذ المنتظر لدى اهل الشام حيث علقوا آمالهم السياسية على ظهوره .

كما وان اسطورة السفياني اصبحت لدى اليائسين من انصار الامويين احد مظاهر اقتراب يوم القيامة لانه سيظهر قبل ظهور المسيح الدجال . وتذكر احدى الملاحم انه سيظهر في الوادي اليابس من ارض الشام في غسان وقضاعة ولخم وجذام وسيحارب اهل الظلم . وسياتي الامويون من الاندلس الى بلاد الشام على ظهر خيول شهباء ومعهم رايات صفراء . ـ ويقول المقدسي في (البدء والتاريخ) .. « ان الروايات بشأن السفياني فيها حشو كثير ومقالات مردودة ومسألة السفياني تدبير للامويين حتى لا فيقطع الامل من رجوع دولتهم ويخيفوا اعداءهم على الدوام وربما كانت دعوة قرب ظهور السفياني ايضا واسطة لفتك العباسيين بكل من توهموا فيه شيئا من الرائحة السفيانية ولم تنقطع هذه النغمة من الشام الا سنة ٢٩٤هـ». ومن الثورات السفيانية في هذه الفترة ثورة العباس بن محمد ثم علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد ثم سعيد ابن خالد الاموي ثم ابي حرب المبرقع اليماني السفياني .

على ان الحمرة لم تكن شعارا امويا فقط حيث استعمله الخوارج ، كما ورفعه القائد العباسي يزيد بن مزيد الشيباني عند حربه مع الخوارج، حيث دعا الخوارج وهم يهربون بأن ينضموا الى الراية الحمراء اذا ارادوا الامان والاستسلام (٦٠) . كما ورفعت (المحمرة) (٦١) وهي فرقة خرمية ايرانية الشعار الاحمر في تحديها للمسودة العباسيين وتظلمها من سياستهم .

وعلى هذا فاننا نلاحظ بان الشعار الاحمر رفعته جماعات مختلفة اموية وخارجية وايرانية للتعبير عن معارضتها للعباسيين . اما مغزى هذا اللون ودلالاته المعنوية فان المصادر المتيسرة بين ايدينا لا تعطينا اية فكرة عن ذلك .

اللون الاصفر :

لم يكن هذا اللون شائعا وبالتالي لم تكن له دلالات معنوية . وقد نسب بعضهم الى الرسول (ص) اتخاذه راية صفراء (٦٢) . كما ويذكر الطبري بان محمدا ذا النفس الزكية حين ثار سنة ١٤٥ وكان يلبس جبة صفراء وقلنسوة . وكان مع الافطس حسن بن علي بن حسين « علم اصفر فيه صورة حية » (٦٣) . والمعروف عن الافطس انه كان مع محمد النفس الزكية في ثورته ضد العباسيين في الحجاز .

كما وتذكر كتب الملاحم السورية بان السفياني المنتظر سيأتي من الاندلس ومعه الرايات الصفر التي ستخلص الشام من العباسيين وتنشر العدل وتقضي على الجور .

---

(٦٠) الجومرد ، يزيد بن مزيد الشيباني ، بيروت ١٩٦١ .

(٦١) البغدادي الفرق بين الفرق ، ص ٢٥١ . السمعاني ، الأنساب ، ص ٥١٢ ب . انظر كذلك المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ١١٠ . — يشير رستم بان الثوب الاحمر ثوب المتظلمين .. انظر ابو جعفر المنصور ص ١٣٠ .

(٦٢) Hamaker, op. cit. pp. 8-9.

(٦٣) الطبري ، المصدر السابق ، القسم الثالث ، طبعة ليدن ، ص ٢٣٧ .

الخاتمـــة :

ولعلنا نستطيع ان نستنتج بان اللون الابيض كان الشعار الشائع لحركات المعارضة ضد الدولة العباسية اما ما عدا ذلك من الالوان الاخرى فقد استعملت كشعارات على نطاق اضيق ومن قبل فرق قليلة . (فالمبيضة) هم اعداء العباسيين أيا كان اتجاههم اما (المسودة) فهم اشياع العباسيين وانصار دولتهم .

عبدالله بن المقفع في تخليط المؤرخين

المعروف لدى مؤرخي الادب العربي (١) ان ابن المقفع لمع نجمه في اوائل القرن الثالث الهجري / الثامن الميلادي حين ظهر على يديه ما يسمى « النثر الادبي او الفني » . الا ان هذه المقالة لا تعنى ببراعة ابن المقفع الادبية قدر اهتمامها بسيرته وافكاره الدينية – السياسة التي تعكس صورة واضحة لاحداث ذلك العصر واتجاهاته الفكرية .

وقد اختلف المؤرخون الرواد فيما عرضوه عن سيرة ابن المقفع وآرائه وجاءوا بروايات يناقض بعضها بعضا ، فمنهم من شكك في عقيدته وسيرته ومنهم من دافع عنه مشيدا ببراعته الادبية وكفاءته الادارية . وكان من الطبيعي ان يختلف الباحثون المحدثون حول ابن المقفع فقد ظهرت عدة بحوث عرضت على بساط المناقشة مسألة آراء ابن المقفع ومواقفه . ان

---

(١) محمد كرد علي ، امراء البيان ، الطبعة الاولى الجزء الاول ص ١٠٣ – . شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي جـ ٣ ص ٥٠٧ فما بعد . طبعة القاهرة . – طه حسين ، حديث الشعر والنثر ، دارالمعارف ، ص ٤٦ .

اختلاف الباحثين في الرأي (٢) حول هذا الموضوع يدعو الى التساؤل ، بل ان عدة افكار تتزاحم لتبحث لها عن جواب . وقد حاولنا في هذه الدراسة ان نمحص الروايات وندقق الاخبار بقدر ما تسمح به الدراسة الموضوعية الخالية من التحيز علنا نميط اللثام ونكشف النقاب عن جانب من الحقيقة في سيرة هذا الرجل الذي جمع بين الادب والسياسة في آن واحد .

تراث الماضي :

روزبة بن داذويه او عبد الله بن المقفع فارسي في اصله وثقافته الاولى، قضى اغلب سني حياته الاولى مجوسيا على ديانة آبائه . ولد في اقليم فارس بمدينة جور وهي مدينة جميلة عليلة الهواء . ويشير البلاذري (٣) الى هذه الفترة من حياة ابن المقفع فيقول :

« ان اباه من اشراف فارس .. وكان دخل في عمل للحجاج فخرج عليه مال فعذب به حتى تقفعت يده فغلب اسمه (المقفع) واحتال حتى اقترض من صاحب العذاب مالا فكان يسعى عليه من القتل » .

ان هذه الحيلة البارعة التي يشير اليها البلاذري تدل على ذكاء داذويه (المقفع) الذي اورثه ، دون شك ، لابنه روزبة (عبد الله) كما سنرى فيما بعد . والواقع ان المقفع لم يكن ذكيا فقط بل كان بعيد النظر كذلك وتظهر هذه الصفة في حسن تربيته لابنه وتثقيفه له تثقيفا جيدا في البصرة موطن الثقافة والادب العربي . يقول البلاذري :

« وكان منزله البصرة وكان حريصا على تهذيب عبد الله ابنه يجمع اليه الادباء ويأخذه بمشاهدة مجالسهم وألزمه ابا الغول الاعرابي وابا الجاموس

---

(٢) عن البحوث التي عالجت سيرة ابن المقفع : انظر خلدون الوهابي ، مراجع تراجم الادباء العرب ، مطبعة المعارف ١٩٦٢ بغداد جـ ٤ . ص ١٧ . — عمر فروخ ، ابن المقفع ، بيروت ، ١٩٤١ .

(٣) البلاذري ، مخطوطة انساب الاشراف ، استانبول ، ورقة ٥٣٢ .

وكانا فصيحين » (٤) .

لقد كان من أهم مستلزمات الكاتب في الديوان أن يتقن العربيةوعلومها خاصة بعد عملية التعريب الكبرى التي قامت بها الدولة الاموية . وقد استطاع عبد الله بن المقفع ان يدخل في الادارة الاموية بجدارة واصبح كاتبا لوالي نيسابور المسيح بن الحواري الذي عينه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على نيسابور سنة ١٢٦ هـ/٧٤٣ م . الا ان عبد الله بن المقفع لم يكن مجرد كاتب للوالي بل لعب دورا سياسيا بارزا كذلك فقد حدث ان عزل المسيح عن منصبه وحل محله سفيان بن معاوية المهلبي ولكن ابن المقفع حاول بدهاء ان يثبت المسيح في مركزه حيث يشير الجهشياري :

« ان ابن المقفع احتال على سفيان وعلله حتى استعد المسيح وكاتب الاكراد وجمع اطرافه وقوي امره فلما استظهر امتنع على سفيان » (٥) .

ولكن الامر لم يدم طويلا فقد استطاع الوالي الجديد الذي تدعمه السلطة من الاستيلاء على الاقليم وطرد المسيح بن الحواري سنة ١٢٩ هـ ٧٤٦ م والسيطرة على الامور ، وبقي سفيان المهلبي يحقد بشدة على ابن المقفع وكان لذلك آثاره السيئة على العلاقة بينهما في المستقبل .

انتقل عبد الله بن المقفع من نيسابور الى كرمان واصبح كاتبا لداود ابن يزيد بن هبيرة سنة ١٣٠ ــ ١٣١ هـ/٧٤٨ م كما يشير الى ذلك الجهشياري ، اما البلاذري فيقول بان ابن المقفع عمل كاتبا لعامر بن ضبارة في كرمان (٦) . وكان ابن ضبارة هذا قائدا للجيش الذي ارسله يزيد بن عمر بن هبيرة ضد الثوار الخوارج وضد عبد الله بن معاوية الطالبي . ولعل ابن المقفع عمل في معية الرجلين داود بن يزيد وعامر بن ضبارة في فترات متقاربة ، على ان المهم ما يشير اليه البلاذري من انه انتفع من عمله فيقول:

« كانت لعبد الله بن المقفع حال جميلة وغلة تأتيه من فارس كافية وكانت له مروج تقاد اليه منها البراذين والبغال فيهديها ويحمل عليها » .

---

(٤) البلاذري ، مخطوطة انساب الاشراف ، ورقة ٥٣٢ ــ ٥٢٣ . ــ كان المقفع مولى لبني الاهتم بالبصرة وقد عرفوا بفصاحة اللسان .

(٥) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، القاهرة ١٩٢٨ ، ص ٧٢ .

(٦) قارن بين الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٧٥ . والبلاذري ، المصدر السابق ، ورقة ٥٣٣ .

ويؤكد هذا القول الجهشياري حين يقول بان ابن المقفع « افـاد معه مالا » اي انتفع من عمله في كرمان . لم يتبع عبد الله بن المقفع القوادالامويين المنهزمين امام الجيوش العباسية بل انسحب منهم ببراعة ووجد له مكانا في البصرة في معية العباسيين حيث نشاهده فجأة مع أولاد علي بن عبداللهبن العباس اعمام الخلفاء العباسيين ابي العباس والمنصور . وكان ابو العباس قد عين احد اعمامه سليمان بن علي (٧) واليا على البصرة .

ابن المقفع والدولة العباسية الجديدة :

يعتبر ابن المقفع من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية فقد شهـد انتقال السلطة من الامويين الى العباسيين وبسبب تواجده في فارس وعمله في دواوين الدولة الاموية ومع ولاتها فقد تحسس عن قرب بالاحـداث الجسيمة التي وقعت في الطرف الشرقي من الدولة والتي ادت الى سقوط الامويين . ولعل ابن المقفع قد ادرك بثاقب بصيرته ورهافة احساسه وبعد نظره السياسي ان لا فائدة ترتجى من الالتزام بالولاء للامويين ومكث في البصرة يراقب الاحداث عن كثب ثم قرر الارتباط باولاد علي بن عبد الله العباسي واصبح كاتبا (٨) لعيسى بن علي العباسي عم الخليفة ابي العباس.
والمعروف عن البصرة في تلك الفترة انها عثمانية لا تدين بالولاء لفريق من الفرقاء المتنازعين وربما امكننا تسميتها بالمحايدة (٩) . ولعل هذه الصفة صفة الحياد جذبت اليها عددا كبيرا من الشخصيات الاموية او المعروفـة بولائها للامويين هذا اضافة الى ان سياسة الوالي العباسي سليمان بن علي المرنة المتسامحة جعلت من البصرة ملجأ امينا للعنـاصر المناوئة للدولـة

---

(٧) البلاذري ، مخطوطة انساب الاشراف ، ورقة ٧٥٢ ب ـ ٧٥٧ أ .

(٨) الجهشياري . الوزراء والكتاب ، ص ٧٠ .

(٩) عن هذا الموضوع راجع ، فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، بيروت ١٩٧٠ ، الجزءالاول ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ . ـ
F. Omar, The Abbasid Caliphate, Baghdad, 1969. pp. 245-246.

الجديدة .

وفي البصرة استطاع عبد الله بن المقفع ان يعقد صداقات وطيدة مع شخصيات أموية بارزة مثل سلم بن قتيبة الباهلي والي الامويين السابق على البصرة ومعن بن زائدة الشيباني القائد الاموي الشهير ، كما تقرب الى عمارة بن حمزة مولى الخليفة العباسي ابي العباس والقاضي ابن ابي ليلى والقاضي ابن شبرمة (١٠) . هذا عدا ما ذكرناه عن صلته القريبة باعمام الخليفة اولاد علي العباسي وخاصة عيسى وسليمان . ان هذه الارتباطات والصداقات مع شخصيات من العهد القديم وشخصيات اخرى من الدولة الجديدة تعطي اكثر من دليل على براعة ابن المقفع وقوة شخصيته ودماثة خلقه .

وفي هذه المرحلة من حياته اعتنق ابن المقفع الاسلام حيث تشير رواية البلاذري انه حين قرر الدخول في الاسلام فاتح عيسى بن علي قائلا :

« اني اريد الاسلام فقد خامر قلبي حبه وكرهت المجوسية فقال له اذا اصبحنا جمعت اخوتي ووجوها من وجوه الناس فشهدوا اسلامك وحضر عشاء عيسى فدعاه ليأكل فامتنع وعزم عليه وكان نظيفا حسن المؤاكلة فلم يدن من الطعام الا على زمزمة فقيل لا تزمزم وانت على الاسلام غدا فقال اني اكره ان ابيت على غير دين فلما اصبح اسلم » (١١) .

مقتل ابن المقفع ـ لماذا ؟

بقي عبد الله بن المقفع كاتبا لعيسى بن علي ومتمتعا بصلة سليمان بن

---

(١٠) عن هذه الصداقات انظر : الجهشياري ، ص ٧٥ فما بعد . ـ البلاذري ، المصدر السابق ورقة ٣٠٦ أ ـ ٣٠٨ أ استانبول ورقة ٥٣٣ ـ . ياقوت ، ارشاد .. ج ٦ ص ٦ فما بعد . ـ اما عن علاقة عبد الله بن المقفع بعبد الحميد الكاتب فقد دخلت فيها مبالغات كثيرة (انظر ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، طبعة القاهرة ١٩٤٨ ، ج ٢ ص ٣٩٦ فما بعد .

(١١) البلاذري ، مخطوطة انساب الاشراف ، استانبول ، ورقة ٥٣٣ .

علي والي البصرة حتى عزل هذا الاخير عن الولاية وعين الخليفة المنصور بدله سفيان بن معاوية المهلبي واليا على البصرة الذي ، كما تؤكد رواياتنا التاريخية ، قتل ابن المقفع قتلة شنيعة سنة ١٤٢ هـ/٧٦٠ م (١٢) .

واذا كان رواتنا يتفقون في تشخيص القاتل فانهم يختلفون في سبب القتل والباعث له والمحرض عليه . فالبلاذري يقول بان المنصور (١٣٦ هـ ـ ١٥٨ هـ) عين سفيان بن معاوية المهلبي واليا على البصرة وكان بنو علي العباسي اعمام الخليفة قد طلبوا من ابن المقفع ان يكتب لهم نص الامان الذي سيمنحه الخليفة لعمه الثائر عبد الله بن علي وقد وضع ابن المقفع في الامان الشرط الشديد التالي :

« فان لم يف امير المؤمنين عما جعل له فهو بريء من الله ورسوله والامة في حل وسعة من خلعه » . ويمضي البلاذري فيقول بان ابن المقفع هذا كان يستهزيء من الوالي سفيان المهلبي ويتسقط عيوبه اللغوية ومثالبه الشخصية وينعته بنعوت تهكمية مما جعل المهلبي يكرهه كرها شديدا . وقد اعطته هذه الحادثة فرصة ثمينة لقتله حين دعا المنصور الى التخلص من عبد الله بن المقفع . وقد ربط ابن المقفع ربطا محكما ثم القي في تنور حار فاحترق وهو يصرخ « يا اعوان الظلمة ... » (١٣) .

ويشير الجهشياري (١٤) ان المنصور عين سفيان المهلبي واليا على البصرة وامره بالضغط على اعمامه العباسيين بضرورة تسليم عبد الله بن علي الثائر الهارب الى البصرة وعندئذ طلب عيسى بن علي من ابن المقفع ان:

« يعمل نسخة الامان فعملها ووكدها واحترس من كل تأويل يجوز ان يقع عليه فيها ترددت بين ابي جعفر [المنصور] وبينهم في النسخة كتب الى أن استقرت على ما ارادوا من الاحتياط ولم يتهيأ لابي جعفر اتباع حيلته فيها لفرط احتياط ابن المقفع وكان الذي شق عليه ابي جعفر ان قال في النسخة يوقع بخطه في أسفل الامان ... وكتبت بخطي ولا نية لي سواه ولا يقبل الله مني الا اياه والوفاء به » .

ويقول اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) عن الامان (١٥) :

---

(١٢) تختلف الروايات في سنة اغتيال ابن المقفع بين ١٤٢ هـ و ١٤٣ هـ والاولى اصح .

(١٣) البلاذري ، المصدر السابق ، ٣١٩ أ ـ ٣١٩ ب .

(١٤) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٧١ .

(١٥) اليعقوبي ، التاريخ ، النجف ١٩٦٤ ج ٣ ص ١٠٨ .

« ثم طلب [عبد الله بن علي] الامان فكتب له ابو جعفر على نسخة وضعها ابن المقفع باغلظ العهود والمواثيق لا يناله بمكروه وان لا يحتال عليه في ذلك بحيلة . وكان في الامان (فاذا انا فعلت او دسست فالمسلمون براء من بيعتي وفي حل من الايمان والعهود التي اخذتها عليهم) فلما وقف ابو جعفر على هذا قال من كتبه ؟ قيل ابن المقفع فكان ذلك سببا لميتة ابن المقفع » .

ويشير ابن اعثم الكوفي الى سببين في مقتل ابن المقفع الامان والعداوة الشخصية بينه وبين سفيان المهلبي فيقول :

« وكتب سليمان [بن علي] الى المنصور يسأله ان يعطي عبدالله الامان فأجابه الى ذلك فقال عيسى بن علي لكاتبه عبد الله بن المقفع احب ان تكتب له امانا مؤكدا فكتب كتابا لا يكون لاحد مثله واستقصى فيه غاية الاستقصاء . فلما ورد الكتاب بالامان على امير المؤمنين نظر فيه فشق ذلك عليه لانه كان مغتاظا على عبد الله بن علي واراد قتله . فقال من كتب هذا ؟ ثم قال : اما لنا من يكفينا ابن المقفع ويريحنا منه ؟ وبلغت هذه الكلمة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وهو بالبصرة من قبل المنصور فعزم على قتل ابن المقفع » (١٦) .

وتحت عنوان ذكر مقتل ابن المقفع يقول ابن اعثم مرة اخرى :

« قال المدايني كان السبب في مقتله ان سفيان المهلبي ربما حضر الى الديوان بالبصرة فتقع المسألة بعد المسألة فيلقيها ابن المقفع على سفيان بن معاوية فاذا لم يفهمها يقول له ابن المقفع وقعت والله يا مهلبي . قال فغضب المهلبي ذات يوم فشتم ابن المقفع ... فقال له ابن المقفع (والله ما رضيت امك برجال العراق حتى تزوجت برجال اهل الشام) وحقد عليه سفيان . ثم ذات يوم ارسله عيسى [بن علي] الى سفيان في حاجة فقال ابن المقفع اخاف على نفسي فقال له : تخاف على نفسك وانا حي فأخذه سفيان وقطع يده ورجله ورماه بالتنور ولم يكن هناك بينة عليهم » (١٧) .

اما الازدي (ت ٣٣٤ هـ) في تاريخ الموصل فلا يشير الى ان كاتب الامان هو ابن المقفع بل يقول :

« في سنة ١٢٨ هـ قدم سليمان بن علي من البصرة على ابي جعفر واخذ

---

(١٦) ابن اعثم الكوفي ، مخطوطة الفتوح ، استانبول ، ورقة ٢٣٨ ب .

(١٧) المصدر السابق ص ٢٣٨ ب ـ ٢٣٩ ب .

عليه لاخيه عبد الله بن علي الامان فاعطاه ابو جعفر كل ما التمس من ذلك وكتب له كتابا اشهد فيه على نفسه وحلف بما تضمنه » .

وبعد ان يسرد نص الامان بالتفصيل يقول :

« فقدم عبد الله بن علي على ابي جعفر بهذا الامان بعد ان حلف بـه واشهد به على نفسه فلما دخل اليه حبسه » (١٨) .

ويقول المقريزي عن ابن المقفع انه كتب امانا « تعـدى فيه ما يكتبه الخلفاء من الامانات » ويعتمد في بقية النص على البلاذري . وشأن ابـن خلكان (ت ٦٨١ هـ) كشأن المقريزي حيث يعتمد فيما يخص بحثنـا على روايات من سبقه من المؤرخين ويدمج بينها محاولا أن يعطي صورة متكاملة بطريقة مختصرة وليس فيما اورده عن ابن المقفع شيء جديد عما ورد في البلاذري والجهشياري (١٩) .

ان معظم الروايات التاريخية التي اشرنا اليها تتفق ، رغم اختـلاف اسلوبها او طريقة عرضها وتصويرها للاحداث ، على الطريقة التي انتهـت بها حياة ابن المقفع . ويظهر منها ان ابن المقفع لم يكن له علاقة طيبة بسفيان المهلبي والي البصرة الذي خلف سليمان بن علي . وان العداوة بين سفيان وابن المقفع قديمة تعود الى اواخر العهد الاموي حين كان سفيان المهلبي واليا على نيسابور ، وكان عبد الله بن المقفع ينتهز الفرصة تلو الاخرى ويهزأ بلغة الوالي ويستفزه بتعليقاته على سلوكه وتصرفاته ولم يتورع بنعته « يا ابن المغتلمة والله ما اكتفت امك برجال اهل العراق حتى تعدتهم الى اهل الشام » (٢٠) . وقد انتهز سفيان المهلبي غضب المنصور وقتل ابـن المقفع بعد ان عذبه اشنع قتلة .

ولكن هل يكفي ذلك دليلا قاطعا يبرر قتل عبد الله بن المقفع ؟ وهنـا

---

(١٨) ابو زكريا الازدي ، تاريخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧ . ص ١٦٧ ــ ١٦٨ عن احمد بـن الحارث الخزاز ، ص ١٧٠ .

(١٩) المقريزي ، مخطوطة المقفى الكبير ، المكتبة الوطنية بباريس ، ورقة ٢٤٣ ب . ــ ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، طبعة القاهرة ، ١٩٤٨ جـ ٢ ص ٣٩٦ فما بعد .

(٢٠) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ٧١ ــ ٧٢ . ــ ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ورقة ٢٣٨ أ .

تعترضنا المسألة التي اثارها مؤرخون متأخرون وناقشها مؤرخون محدثون الا وهي زندقة ابن المقفع .

هل كان ابن المقفع زنديقا ؟

في رواية للجهشياري (٢١) أن سفيان المهلبي حين قطع ابن المقفع اربا اربا واحرقه كان يقول « يا ابن الزنديقة لاحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة » وفي رواية لابن خلكان ان سفيان المهلبي قال بعد ان مثل واحرق ابن المقفع « ليس في المثلة بك حرج لانك زنديق قد افسدت الناس » (٢٢). وحين يتكلم ابن خلكان عن الخليفة المهدي الذي اشتهر بتعقبه للزنادقة ينقل عنه انه قال ان كل كتاب زندقة يعود في اصله الى ابن المقفع (٢٣) . ويقول البيروني عن (باب برزوية) من كتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه ابن المقفع الى العربية ، بان هذا الاخير كتبه واضافه من عنده « قاصدا تشكيك ضعيفي العقائد في الدين وكسرهم في الدعوة الى مذهب المنانية» (٢٤).

واذا صحت الرواية (٢٥) التي تشير بان ابن المقفع احرق ببئر نورة فان هذا التقليد كان متبعا في العهد الساساني لحرق المنشقين والمنحرفين عن الديانة الرسمية وان احراق ابن المقفع بهذه الطريقة كان عملية مقصودة الغرض منها التشهير بزندقته (٢٦) .

وتشير رواية أخرى (٢٧) ان عبد الله بن المقفع حين مر ببيت من بيوت النار انشد بيت الاحوص مبديا حنينه الى ديانته القديمة :

---

(٢١) الجهشياري ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٢٢) ابن خلكان ، المصدر السابق ، طبعة وتسنفلد ، جـ ٢ ص ١٢٦ .

(٢٣) المصدر السابق ، جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٢٤) البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة ، ليبزك ، ص ٧٦ .

(٢٥) البلاذري ، مخطوطة انساب الاشراف ، ورقة ٥٣٥ .

(٢٦) راجع : D. Sourdel, La Bibliographie d'Ibn al - Muqaffa,

(٢٧) امالي المرتضى ، جـ ١ ص ١٣٥ . ـ البغدادي ، خزانة الادب ، جـ ٣ ص ٤٥٩ .

يا بيـــت عاتكـة الذي اتعـــزل	حذر العدى وبـه الفؤاد مـوكل
اني لامنحـــك الصـــدود وانني	قسمـا اليـك مع الصدود لاميل

وتظهر رواية اخرى معارضته للقرآن وقلة احترامه له وتستند على ما كتبه لقاسم بن ابراهيم في كتابه الموسوم (الرد على الزنديـــق اللعـين ابن المقفع) وكأنه يرد فيه على رسالة كتبها ابن المقفع او نسبت اليه حيث ينقل فقرات وجملا من آراء ابن المقفع في هذه الرسالة (٢٨) .

ويرى المسعودي (٢٩) بان ابن المقفع وآخرين من الملاحدة ترجمـوا مؤلفات ماني وابن ديصان ومرقيون . كما وان ابن المقفـــع ترجم كتاب مزدك . ويعلق الصفدي (٣٠) « بان كتب الزنادقة الممنوعة تحوي الكثير من آراء ابن المقفع » . وبعد ذلك كله تظهر روايات عديدة اتصال ابن المقفـع بحلقة الشعوبيين والمجان المتهمين بالزندقة ومنهم البقلي الذي قتـل بأمر المنصور لانكاره البعث والقيامة ، وعمارة بن حمزة الذي « اتكر عليه ابـو جعفر المنصور في وقت من الاوقات شيئا ونقله الى الكوفة » (٣١) . وابان اللاحقي وسهل بن هارون وحماد عجرد وغيرهم ممن كانـــوا يتواجدون بالبصرة (٣٢) .

وامام هذه الروايات اختلف المؤرخون المحدثون في مواقفهم من زندقة ابن المقفع . واول ما يبدو لنا بان اسم ابن المقفع كان قد ارتبط بتهمـــة الزندقة عند المسعودي وابن خلكان والبيروني والصفدي فلم يكونوا بحاجة الى اعادة البحث والتحري عن الحقيقة المسلم بها في نظرهم . وقد انقسم المؤرخون على انفسهم فيما يخص زندقة ابن المقفع فقد نفى محمد كرد علي وخليل مردم هذه التهمة عن ابن المقفع (٣٣) ، اما الدكتور البصير فيقول

---

(٢٨) القاسم بن ابراهيم بن طباطبا ، الرد ... ، نشر جويدي سنة ١٩٢٧ ، ص ٨

(٢٩) المسعودي ، مروج الذهب جـ ٤ ص ٢٤٢ .

(٣٠) F. Gabrieli, Le opera d'Ibn al-Mugaffa, R. S. O. XIII,

راجع ترجمتها العربية في عبد الرحمن بدوي ، ص ٤٣ .

(٣١) الجهشياري ، ص ٧٥ .

(٣٢) عن هذه الشخصيات راجع الاصفهاني ، الاغاني (الفهرست) .

(٣٣) محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، ص ٨ . ـ خليل مردم ، ابن المقفع دمشق ١٩٣٠ ص ٥٢ فما بعد .

ان الزندقة تهمة لفقتها السلطة العباسية على ابن المقفع ويرى في الزندقة « ذلك الستار البراق الذي يسدله ولاة الامور في صدر الدولة العباسية على كل جريمة يحلو لهم اقترافها » (٣٤) . ويشك عباس اقبال في صحة نسبة الكتاب الذي رد عليه القاسم بن ابراهيم لابن المقفع لانه لا يتفق مع الآراء المدونة في باب برزوية التي دونها ابن المقفع ذاته (٣٥) . بينما اكد شوقي ضيف زندقة ابن المقفع (٣٦) .

وبين المستشرقين عزا هيوارت مقتل ابن المقفع الى عامل الانتقام من قبل سفيان المهلبي اضافة الى ما كان يدين به من آراء (٣٧) . اما نيبرك فيرى ان اتهام ابن المقفع بالزندقة كانت الباعث الحقيقي لقتله (٣٨) . ويشير جويدي الى انه « كان قليل الاحترام للقرآن الذي حاول ان يعارضه »(٣٩).

اما جبريللي وهو افضل من توسع بعمق حول كتابات ابن المقفع وآرائه فقد اشار الى ان الفقرات التي تنتقد الدين في (باب برزوية) هي من وضع ابن المقفع الذي حشرها دون ان يسفر بوضوح عن عقيدته الالحادية . يقول جبريللي (٤٠) :

« ان القطعة كلها بما فيها من جراة في التفكير ومغزى تهكمي لاذع لا يمكن ان تكون قد كتبت وانتشرت باسم مؤلفها في دوائر بلاط فارس الساسانية ودينها الرسمي هو المزدكية او في المجتمع الاسلامي في القرن الثامن الميلادي . ولكن من المحتمل جدا ان عقلا يسوده الشك والتفكير كما كان عقل ابن المقفع قد اظهر في هذه القطعة آراء ناسبا اياها الى شخص اجنبي ووسط بعيد غريب » .

ويضيف جبريللي (٤١) :

---

(٣٤) البصير ، في الادب العباسي ، بغداد ١٩٥٥ ص ١٠ .

(٣٥) عباس اقبال ، شرح حال عبد الله بن المقفع (بالفارسية) ص ١٩ فما بعد .

(٣٦) شوقي ضيف . تاريخ الادب العربي ج ٣ ص ٥٠٩ .

(٣٧،٣٨) Nyberg, Der Kampf zwischen Islam,., olz, 1929 p. 432.

(٣٩) انظر مقدمة جويدي في Guidi, La letta tra l'Islam eil Manicheism.

(٤٠) جبريللي ، المصدر السابق ، (الترجمة العربية) ص ٤٥ .

(٤١) المصدر السابق ص ٤٢ .

«ان علينا ان نرفض ان يكون ابن المقفع وهو في سن الرجولة [والنضج] قد تعلق بالمجوسية وآمن بها ايمانا عقليا ولو انه من الممكن ان يكون ابن المقفع مع ذلك يميل الى دين الفرس القديم من ناحيتي العاطفة والحضارة ».

ان جبريللي يؤكد عقيدة ابن المقفع المانوية ، وصحة نسبة (باب برزوية) في كليلة ودمنة اليه وكذلك الكتاب الذي رد عليه القاسم بن ابراهيم . ويقول بان ابن المقفع رد على مادة القرآن بطريقة فلسفية جدلية وبراهين عقلية اثارت الامام القاسم ايما اثارة فحملته على الرد بنفس الاسلحة التي صنعتها المعتزلة في تلك الفترة (٤٢) . على ان جبريللي يرى ان مقتل ابن المقفع لم يكن بسبب زندقته بل انه كان عملا انتقاميا بحتا(٤٣) .

ويستغرب المستشرق كويتين من جراة ابن المقفع الذي دفعته لكتابة (رسالة في الصحابة) التي تمثل انتقادا للاوضاع السائدة في البلاط والادارة العباسيين واعطاء برنامج سياسي بديل لما يجب ان يكون عليه الوضع السياسي والاداري . ويرى كويتين في (الرسالة) سببا لقتل ابن المقفع حيث يقول :

« اننا لا نكون بعيدين جدا عن الحقيقة اذا افترضنا بان الرسالة مع انها تدل على اهتمام جدي بترسيخ الخلافة [اصلاحها] فانها اثارت شكوك المنصور وادت الى مقتل ابن المقفع » (٤٤) .

ولم يكن سفيان المهلبي ، في اعتقاد كويتين نفسه ، ليقوم بقتل ابن المقفع الا بمعرفة الخليفة المنصور نفسه واقراره بذلك .

---

(٤٢) المصدر السابق ص ٤٦ ـ ٤٨ . ـ تجنب جبريللي في عناء تحديد الاضافات التي اضافها ابن المقفع الى باب برزويه رغم قوله بان ابن المقفع هو الذي كتب الجزء الخاص بخلو معارفنا الدينية من التعيين وتناقض الاديان فيما بين بعضها البعض . وقد رد عليه كروس فرأى بانه من المحتمل ان يكون ابن المقفع قد ادخل نصوصا جديدة من عنده في باب برزويه الا انه يعتقد بان النسخة الاصلية الفهلوية لنفس النص تتضمن اقوالا شكوكية عن الاديان جعلها ابن المقفع اساسا لما دونه من اضافات
P. Kraus, zu Ibn al-Mugaffa, R.S.O. Vol. 14, 1933.

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٤٤) Gaiteim, A Tturning point in the history.. I. C. 1949, p. 122

ويؤكد البروفسور سورديل (٤٥) في احدث مقالة له عن ابن المقفع على ما اشار اليه البروفسور كويتين من انه لايمكن اعتبار الزندقة ولاالعلاقة الشخصية العدائية بين ابن المقفع وسفيان المهلبي سببا لمقتل الاول ، بل ان سفيان المهلبي لم يكن سوى وسيلة بيد الخليفة المنصور الذي كان له الدور الرئيسي في هذه المسرحية . الا ان سورديل يختلف عن كويتين حين يربط الاغتيال بصورة غير مباشرة (بالامان) الذي كتبه ابن المقفع لعبد الله ابن علي عم الخليفة ، وكأن ابن المقفع بكتابته للامان قد وقف الى جانب العناصر المعادية للخلافة . ويحاول البروفسور سورديل ان يربط بين (الامان) ورسالة في الصحابة اذ ان كليهما فيما تضمناه من آراء وانتقادات يسيران في نفس الاتجاه المعادي ، من وجهة نظر الخليفة للدولة ، ولذلك استقر رأي المنصور على التخلص من ابن المقفع بأية وسيلة .

نظرة نقدية للمصادر :

ان قلة النصوص التاريخية الواضحة حول آراء ابن المقفع واسباب مقتله ربما تضطرنا احيانا الى التشبث بالنص وتحميله اكثر من طاقته لنتوصل الى نتائج تاريخية حول الموضوع . ولكن هذه النتائج لم يكن بامكاننا التوصل اليها دون تمحيص وتدقيق وقراءة هادئة لما بين السطور .

أ ـ النقد الخارجي : ليس بالامكان ، كما فعل جبريللي ، الاعتماد كليا على مصادر متأخرة جدا بالنسبة لتاريخ ابن المقفع حيث استقى معلوماته من ابن خلكان وابن الجوزي والصفدي . وقد لاحظ البروفسور سورديل ذلك واستغل البلاذري والجهشياري المصدرين الرئيسيين اللذين لم يتيسر الجبريللي الاعتماد عليهما . على اننا اضفنا مصادر اخرى ذات قيمة تاريخية لم تكن متيسرة لدى البروفسور سورديل وهي (مخطوطة الفتوح) لابن اعثم الكوفي (ومخطوطة تاريخ الموصل) لابن زكريا الازدي (ومخطوطة المقفى الكبير) للمقريزي .

---

(٤٥) D. Sourdel, La Biographie d'Ibn al-Mugaffa., pp. 317-18

واذا كانت روايات البلاذري فيما يخص موضوع البحث الذي بين ايدينا تقتصر على الحقائق الجافة ينقلها البلاذري من رواتها بطريقة مبسطة، فان الجهشياري ، وهو مؤرخ بارع وكاتب في الديوان متمكن يتحلى بمزايا ادبية جيدة يزودنا بروايات دسمة وواضحة . اما مخطوطة ابن اعثم الكوفي فقد لا تختلف في جوهرها عما ورد في البلاذري الا ان هناك اختلافات في صيغ العبارات والجمل وفي نص فقرات من كتاب الامان . ورغم كون الازدي يكتب في تاريخ الموصل المحلي الا انه يضيف معلومات لاحداث هامة وقعت في انحاء مختلفة من الخلافة وهو ينقل نص الامان بكامله . وقد استغل ابن خلكان البلاذري والجهشياري بحيث دمج واختصر ما عندهما عن ابن المقفع حسب ما رآه مناسبا ، على ان هذا الدمج شوّه احيانا ما فيهما من اخبار او معلومات عن قصد او دون قصد . ورغم كون المقريزي مؤرخا متأخرا كذلك الا انه مؤرخ واع وبارع وهو يعتمد فيما يخص هذه الاحداث على البلاذري وينقل عنه روايات كاملة بصورة حرفية .

ب ــ النقد الداخلي : لا بد من التنويه الى ان الروايات التي تشير الى زندقة ابن المقفع تأتي غالبا من مصادر متأخرة او انها روايات ضعيفة لا سند لها . ومع ذلك فهي لا تتفق على ان زندقة ابن المقفع كانت سببا في قتله .

وقبل مناقشة هذه الروايات والتثبت من صحتها نقول بان اصطلاح « الزندقة » اصطلاح غامض ومرن وقد اوضح المستشرق ماسنيون (٤٦) مدى شمولية هذا الاصطلاح وتوسع دلالاتها لدى الرواة والاخباريين المسلمين الى درجة يصعب معها اعطاء تعريف دقيق ومحدد له .

وقد لاحظ المستشرق ڤيدا (٤٧) كذلك ان لاصطلاح الزندقة معاني عدة في تلك الفترة حيث كان يطلق على من يؤمن بالمانوية ثم شمل كل ملحد او مشكك بالعقيدة الاسلامية وكل من يخالف مذهب الدولة العباسية الرسمي كما اطلق على المجان والخلعاء والمستهترين من شعراء او كتاب تلك الفترة . ورغم أن الزنادقة الذين طاردتهم السلطة العباسية كانوا مانوية

---

(٤٦) انظر E. I. (1) (zindiq) - Idem, La passion dàl Hallag, pp. 186-188.

(٤٧) G. Vajda, Les zindiqs en pays d'Islam ,,, R.S.O. XVI, 1937 pp. 173-229.

بالدرجة الاولى (٤٨) الا ان الامر لم يقف عند هذا الحد فقد اتهم البعض بالزندقة لاسباب سياسية او شخصية واصبحت الزندقة تهمة تتخذ وسيلة للقضاء على الخصوم السياسيين وسبيلا للتخلص من المنافسين على المناصب . واذا كان الامر كذلك فمن الصعب الجزم بزندقة ابن المقفع .

اما النعوت التي خاطب بها سفيان المهلبي ابن المقفع مثل « يا ابن الزنديقة » وغيرها مما ذكرناه آنفا فهو تعبير كلامي ليس الا واستهزاء بابن المقفع على نفس الطريقة التي كان ابن المقفع يستهزىء بسفيان المهلبي . او انه ، كما يشير سورديل ، تعبير اثارته الطريقة التي عذب بها ابن المقفع قبل موته حيث وضع في حفرة من النورة الحارةوهي عين الطريقة التي كان يعذب بها الزنادقة المنشقون في العهد الساساني . واكثر من هذا فلعلنا نستطيع القول بان سفيان اتهم ابن المقفع بهذه التهمة مبررا قتله وهي اسلوب غير جديد على الوالي او ممثل السلطة العباسية حيث استعملت الزندقة وسيلة لقتل المعارضين .

اما ما ذكره الخليفة المهدي حين قال : « ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع » فلم يكن هذا التصريح من خليفة حكم بعد حوالي ست عشرة سنة من مقتل ابن المقفع اكثر من انطباع خامر الخليفة في حينه وليس له من التاريخية قيمة حقيقية ولا يقاس بمستوى الحكم القاطع . الا ان صدور مثل هذا القول من خليفة عرف في التاريخ بمطاردته للزنادقة (المانوية) وتشديده عليهم اعطى الانطباع صورة الحقيقة والتعيين وقبلت من قبل المؤرخين المتأخرين كحقيقة تاريخية مسلّم بها فوصفوا ابن المقفع بالزندقة والمانوية .

اما الروايات التي تشير الى ان زندقة ابن المقفع تعني الزرادشتية(٤٩) فليس لها اساس من الصحة ذلك لان الزندقة في العصر العباسي لم تشمل الزرادشتية بل على العكس فان رجال الدين الزرادشت تعاونوا مع السلطة العباسية في القضاء على المتمردين والمنشقين الفرس امثال بها فريد واستاذ سيس والمقنع الخراساني وغيرهم .

وفيما يخص علاقة ابن المقفع ببعض الشعراء والكتاب المجان والشكاك

---

(٤٨) فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، دمشق ، ١٩٧٣ جـ ٢ ص ١٢٣ فما بعد ،

(٤٩) Chrirtensen, L'Iran ,,, 1936 p. 54.

والشعوبيين في البصرة فان الدراسات المستفيضة للعديد منهم لم تثبت زندقتهم بل اكدت براءتهم من الزندقة (بمعنى المانوية) وربما كان لبعضهم شك فكري ليس الا (٥٠) .

ثم ان اغلب ما جاءنا عن من يسمون « بالزنادقة » كان في مصادر معادية لهم بصورة سافرة ولذلك لا يمكن الجزم بصحة الاخبار التي ذكرت عنهم وليس بالمستبعد ان آراءهم بدلت وحرفت أو بولغ فيها واظهروا بمظهر يسهل التجريح به والهجوم عليه .

وفيما يتعلق بمؤلفات ابن المقفع وما نسب اليه من قبل القاسم بن ابراهيم المعتزلي فالرأي مختلف حول صحة نسبة الكتاب الذي رد عليه القاسم بن ابراهيم الى عبد الله بن المقفع . فالمعروف عن ابن المقفع انه اديب يمتاز باسلوب رفيع وقد الف وترجم العديد من الكتب والرسائل . الا ان ذلك العصر ابتلي بتقليد سيىء وهو ان ينسب الكاتب كتابه او رسالته الى غيره ليروجها بين الناس او مخافة التشهير او السلطة او الى غير ذلك من الاسباب . يقول الجاحظ في هذا الباب :

« وربما الف الكتاب الذي هو دونه في معانيه والفاظه فيترجمه باسم غيره ويحيله على من تقدمه في عصره مثل ابن المقفع والخليل » (٥١) .

والى ذلك يشير المسعودي فيقول (٥٢) :

« .. على ان من شيم كثير من الناس الاطراء للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين ومدح الماضي وذم الباقي وان كان في كتب المحدثين ما هو اعظم فائدة واكثر عائدة وقد ذكر ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ انه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم فينسبه الى نفسه فلا يرى الاسماع تصغي اليه ولا الارادات تيمم نحوه ثم يؤلف ما هو انقص منه مرتبة واقل فائدة ثم ينحله الى عبد الله بن المقفع او سهل بن هارون او غيرهما من

---

(٥٠) راجع : G. Vajda, op. cit. pp. 173 ff :
J. Goldziher, Salih b. Abd al-Kaddus. I. C. O. 1893, pp. 104 ff

(٥١) الجاحظ ، رسالة في العداوة والحسد ، ص ١٠٨ .

(٥٢) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ١٩٣٨ ، ص ٦٦ — ٦٧ . لقد وقع ذلك للكثير من العلماء والادباء المشهورين مثل حنين بن اسحق العبادي (راجع ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء ، بيروت ١٩٦٥) .

المتقدمين ومن قد طارت اسماؤهم في المصنفين فيقبلون على كتبها ويسارعون الى نسخها لا لشيء الا لنسبتها الى المتقدمين ولما يدخل اهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم ومنافسته على المناقب التي يخص بها » .

من ذلك نستنتج ان الجاحظ وغيره كانوا يفخرون بنسبة بعض مؤلفاتهم الى عبد الله بن المقفع ويتساءل البروفسور جبريللي (٥٣) بحق عن مدى صحة آثار ابن المقفع اليه ، ويعتقد بان الادب الكبير ورسالة في الصحابة فقط يمكن التأكد بأنهما له . اما من حيث الكتب المترجمة فمن المؤكد ان ابن المقفع ترجم كليلة ودمنة وخداينامة وكتاب التاج وآيين نامه وكتاب مزدك الى العربية . ويدعو المستشرق شارل بلات (٥٤) الى الحذر ويقول « ان هذا التزييف وهذين الوضع والافتعال يسوغ التحفظ » . والواقع فان المؤرخين المحدثين يختلفون في نسبة الكتاب او الرسالة التي زعم القاسم بن ابراهيم انها لابن المقفع ، ففي الوقت الذي يقبلها جويدي وجبريللي (٥٥) ، كما اوردنا ذلك سابقا ، يرفضها او يشك في صحة نسبتها كل من احمد امين ورشتر وعباس اقبال وداود (٥٦) . يرى هذا الاخير بان هذه المقالة لا يمكن ان تنسب الى ابن المقفع لا من حيث اسلوبها الذي لا يشابه اسلوب ابن المقفع ولا من حيث تحليلها الذي لا يصل الى مستوى منطق ابن المقفع . ثم انه من غير المعقول ان نتصور رجلا مدركا مثل ابن المقفع يقحم نفسه في هجوم علني شديد على الاسلام وهو يعيش في مجتمع

---

(٥٣) جبريللي ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٥٤) شارل بلات ، الجاحظ ، دمشق ، ١٩٦١ ، (الترجمة العربية) ص ١٩٥ .

(٥٥) هذا رغم ان المستشرقين يختلفان في طبيعة هذا الكتاب واغراضه وهل انه يعارض القرآن من حيث الاسلوب والصورة ام من حيث المادة والفكر . راجع :
Gabrieli, Le Opera .., pp. 45-46. (الترجمة العربية) .

(٥٦) احمد امين ، ضحى الاسلام جـ ١ ص ١٩٥ . — و
Richter, Studien zur Geschicte .., 1923, pp. 4 ff.

عباس اقبال ، المصدر السابق ، ص ٢٠ فما بعد .
A. H. Dawood, A Comparative Study of Arabic and Persian Mirrors for Princes. P H.D. Thesis, London University 1965.

اسلامي . كما وان اسلوب الكتاب الذي نسب الى القاسم بن ابراهيم هو من نوع النثر ذي اسلوب خاص مسجوع لم يتطور الا بعد فترة طويلة من الفترة التي عاش فيها القاسم بن ابراهيم . وبعد هذا كله لا بد لي ان اذكر ان ابن النديم لم يذكر هذا الكتاب ضمن الكتب المؤلفة من قبل القاسم بن ابراهيم (٥٧) .

اما الفقرات الواردة في (باب برزوية) من الكتاب المترجم كليلة ودمنة، فمن الواضح انها تعود الى فترة ما قبل اسلامه وليس لها علاقة بالفترة الاسلامية . وسواء كانت هذه الفقرات من اصل الكتاب ام من بنات افكار ابن المقفع فانها ليست هجوما على الاسلام وانما تشكيك بالمعتقدات الدينية عامة وليست لها صفة مانوية واضحة . وفي ذلك يقول ابو بكر الباقلاني الاشعري (ت سنة ٤٠٣ هـ) في كتاب اعجاز القرآن (٥٨) :

« وقد ادعى قوم ان ابن المقفع عارض القرآن وانما فزعوا الى الدرة اليتيمة وهما كتابان احدهما يتضمن حكما منقولة توجد عند حكماء كل امة مذكورة بالفضل فليس فيها شيء بديع من لفظ ولا معنى . وكتابه الذي بيناه في الحكم منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة فأي صنع له في ذلك وأي فضيلة حازها فيما جاء به ؟ وبعد فليس يوجد له كتاب يدعي مدع انه عارض فيه القرآن » .

اما شعر الاحوص الذي تذكر بعض الروايات ان ابن المقفع ردده متغزلا ببيت النار فالمؤرخون الاوائل يختلفون حول المناسبة التي ردد فيها ابن المقفع هذا البيت (٥٩) .

وعلى هذا فاننا نرى بانه من الصعب التدليل على مانوية ابن المقفع او زندقته ، فقد دخل الاسلام في اوائل العصر العباسي وبعد اسلامه استبدل كنيته وسمى ابنه محمدا . وقد ناقش الكثير من المسائل الاسلامية فيما

---

(٥٧) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة ليبزك ، ص ١٩٣ .

(٥٨) الباقلاني ، اعجاز القرآن القاهرة ١٣١٥ ص ١٨ .

(٥٩) اذا كان ابن قتيبة (عيون الاخبار ، ص ٧١ الطبعة الاوروبية) والمرتضى في أماليه (جـ ١ ص ١٣٥) يذكران انه قالها حين مر ببيت من بيوت النار فان الاصفهاني (الاغاني ، جـ ١٨ ص ٢٠٠) يشير الى انه قالها معاتبا اصدقاءه الذين قبضت عليهم السلطة بتهمة الزندقة والتشكيك بالدين .

كتبه وخاصة في (رسالته في الصحابة) . ولعله يمكننا القول بان ابن المقفع كان متشككا فـي الدين بصورة عامة رغم اعتقاده بضرورته الاجتماعية .
يقول ابن المقفع :

« ولعمري ان لقولهم ليس الدين خصومة اصلا يثبته . وصدقوا ما الدين بخصومة ولو كان خصومة لكان موكولا الى الناس يثبتونـه بآرائهم وظنهم . وكل موكول الى الناس رهينة ضياع . وما ينقم اهل البدع الا انهم اتخذوا الدين رأيا وليس الرأي ثقة ولا حتما ولم يجاوز الرأي منزلة الشك والظن الا قريبا ولم يبلغ ان يكون تعيينا ولا ثبتا ... فلا اجد احدا اشـد استخفافا بدينه ممن اتخذ رأيه ورأي الرجال دينا مفروضا » (٦٠) .

وحين يتكلم ابن المقفع عن اقسام الملك يقول انها ثلاثة اولها ملـك الدين ويعرف هذا النوع من الحكم قائلا :

« فأما ملك الدين فانه اذا اقيم لاهله دينـهم وكان دينهم هو الذي يعطيهم ما لهم ويلحق بهم الذي عليهم ارضاهم ذلك ونزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم ... » (٦١) .

هذه الاقوال وغيرها لابن المقفع تدل على ادراكه لاهمية الدين وكونه ضابطا مهما من ضوابط المجتمع الذي كان يعيش فيه بل انـه ضرورة اجتماعية في مجتمعات العصور الوسطى وبخاصة في مجتمع الخلافـة الاسلامية حيث يمتزج الدين بالسياسة والمجتمع امتزاجا وثيقا . هذا بغض النظر عن كون ابن المقفع نفسه يؤمن بالدين او لا يؤمن به .

اعادة التقييم :

ان المتمعن في ظروف الخلافة العباسية على عهد المنصور لا بد ان يلاحظ المرحلة السياسية الدقيقة والحرجة التي كانت تمر بها . فقـد اعتورت الخلافة عدة اخطار من مختلف الجهات حيث ثار عبد الله بن علي

---

(٦٠) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله القاهرة ١٣٤٦ جـ ٢ ص ٣٣ .

(٦١) ابن المقفع ، الادب الكبير ، بيروت ١٩٦٠ ص ١١١ . ـ انظر كذلك الادب الصغير، ص٦٠

العباسي بالشام ثم لم يلبث ان حدث الشقاق بين ابي مسلم الخراساني والخليفة وتمردت الراوندية في هاشمية الكوفة وهدد العلويون بالثورة في الحجاز ولم تكن خراسان مستقرة بل هزتها عدة اضطرابات محلية منها تمرد سنباذ واستاذ سيز وغيرهما .

ولم يكن البيت العباسي نفسه متماسكا فالفرع الحاكم ويتكون من اولاد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان حذرا من بني علي بن عبد الله العباسي وهم اعمامهم . وكان هؤلاء الاعمام (بنو علي العباسي) حذرين لم ينسوا بعد كيف نقض ابو العباس وابو جعفر سلسلة من الامانات اعطيت لشخصيات سياسية كبيرة مثل يزيد بن عمر بن هبيرة آخر والي للامويين على العراق وأبي مسلم الخراساني وأبي سلمة الخلال وغيرهم من رجالات الدعوة العباسية (٦٢) .

وحين ثار عبدالله بن علي العباسي على الخليفة المنصور مطالبا بالخلافة ارسل اليه الخليفة ابا مسلم الخراساني الذي تمكن من دحره الا انه لم يأسره بل مكنه من الهرب الى البصرة حيث اخوه سليمان بن علي واليا عليها منذ سنة ١٣٣ هـ/٧٥١ م. ولم يطالب به المنصور بصورة جدية الا بعد ان تخلص من الاخطار الآنية المحيطة به مثل خطر ابي مسلم الخراساني وخطر العلويين ، ولكن سليمان بن علي ماطل في تسليمه وطالب بالامان لاخيه عبد الله فما كان من المنصور الا ان يعزل سليمان عن البصرة ويعين بدله سفيان بن معاوية المهلبي في رمضان سنة ١٣٩ هـ/ شباط ٧٥٧ م . اما ابن المقفع فكان في صحبة عيسى بن علي العباسي الذي عاد لتوه من الجهاد ضد البيزنطيين في تلك السنة (٦٣) .

والظاهر ان سفيان المهلبي ، رغم الضغوط التي استعملها ، لم يستطع اخراج عبد الله بن علي من مأمنه مما اضطر الخليفة الى الموافقة على فكرة اعطاء امان لعبد الله الثائر . ولكن المنصور كان يريد من الامان ان يكون وسيلة لايقاع عبد الله في الفخ وقد خطط لاعطاء امان ضعيف يمكن نقضه

---

(٦٢) عن هذه الاحداث راجع : فاروق عمر : العباسيون الاوائل ، جـ ١ بيروت ١٩٧٠ ، جـ ٢ دمشق ١٩٧٣ .

(٦٣) الطبري ، تاريخ ... طبعة القاهرة جـ ٩ ص ١٧٠ فما بعد . ـ البلاذري ، انساب .. ورقة ٧٦٧ أ .

عند الضرورة ولم يكن في نيته اعطاء امان محكم ومتقن وغير مشروط .

وهنا يأتي دور ابن المقفع ... ذلك ان مخاوف سليمان وعيسى على اخيهم عبد الله دفعتهم الى اختيار ابن المقفع كاتب عيسى بن علي لكتابة الامان واحكامه احكاما دقيقا لا فجوة فيه ومما زاد في الامر ما جاء في رواية الجهشياري آنفة الذكر من اشتراط كتابة الخليفة المنصور لنص الامان بيده . وقد وضع ابن المقفع في الامان شروطا تجعل من عبد الله بن علي شخصا خارج سلطة الخليفة الذي يتعهد بالا يطبق عليه اي عقوبة او اجراء اصولي متبع . ولكن الخليفة اشترط حين رأى (الامان) قائلا : « اذا وقعت عيني عليه » كما يقول الجهشياري او « نافذ ان رايت عبد الله » كما يقول البلاذري (٦٤) . اي ان المنصور لا يعطي امانا لعبد الله بن علي الا اذا قابله وبغير هذه الحالة يعتبر الامان غير نافذ . ولا يذكر الطبري واليعقوبي (٦٥) هذا الشرط بل انهما يؤكدان بان عبد الله حين وصل الى البلاط كان قد حصل على الامان . وهذا غير معقول لانه لو حصل عبد الله على الامان لم يكن هناك موجبا له للذهاب الى البلاط ومقابلة المنصور . هذا من جهة ومن جهة ثانية فليس من المعقول ان يعطي الخليفة امانا غير مشروط لان معنى ذلك اعطاء عبد الله حرية العمل دون قيد او شرط .

ان ما حدث هو ان عبدالله الذي كان قد وقع تحت تأثير اجراءات المنصور والحاحه وتدابير الوالي الجديد لم يجد امامه سوى التوجه الى الخليفة للحصول على الامان الذي وعد به اذا ما قابل الخليفة خاصة وانه كان مطمئنا من احكام شروط الامان بصورة لا تسمح بالنقض . ولكن عبد الله اقتيد الى السجن حال وصوله البلاط ولم يسمح له بمقابلة المنصور وكان ذلك سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٧ م . وقد لقي اتباعه ومواليه نفس المصير ونفي بعضهم الى خراسان (٦٦) وفي سنة ١٤٦ هـ / ٧٦٤ م

---

(٦٤) الجهشياري ، الوزراء ، ص ٧١ . ـ البلاذري انساب .. ، ورقة ٧٦٧ أ .

(٦٥) يعتقد هيوارت مستندا على غموض الطبري واليعقوبي ان شروط الامان املاها الخليفة وقدمها لعبد الله بن علي . والواقع فان الطرف الثاني الطالب للامان هو الذي يضع شروطه التي يريدها .
انظر (E. I.) (1).

(٦٦) الطبري ، تاريخ ، طبعة القاهرة جـ ٩ ص ١٧٢ .

دبر المنصور أمر اغتيال عبدالله بن علي في ظروف غامضة .

من الواضح ان ابن المقفع استطاع بأحكامه لشروط الامان ان يعرقل محاولة الخليفة أعطاء الامان متهافتا يمكن نقضه في المستقبل القريب مما اضطر الخليفة ان يستعمل وسائل اخرى اكثر فاعلية وعنفا للتخلص من عبدالله بن علي .. الا اننا نتساءل هل يمكن ان يكون الامان السبب الوحيد لقتل ابن المقفع ؟؟ في اعتقادنا لا بد أن يكون هناك أسباب أخرى أكثر اهمية وهذا ما يؤيده البروفسور سورديل ولكنه يقول : « ومهما يكن من امر فستبقى حقيقة كره المنصور لابن المقفع مجال حدس وخيال بسبب عدم توضيح المؤرخين الاوائل لها » (٦٧) .

وهنا تبرز لنا رسالة ابن المقفع الموسومة (رسالة في الصحابة) التي تعالج موضوعا حساسا هو اخلاقية الحكام وأصول السياسة والتدبير . وهذه الرسالة تختلف جذريا عما كتبه او ترجمه ابن المقفع وقد جاء الكاتب فيها بأمثلة عملية عن المشاكل الرئيسية التي كانت تواجه الخلافة العباسية . وقد أكد البروفسور كويتين ، كما أشرنا الى ذلك سابقا ، اهميتها التاريخية والسياسية خاصة وان ابن المقفع كتبها باسمه وعنونها الى الخليفة الامر الذي أثار حفيظة المنصور وشكوكه .

ويعترف البرفسور سورديل (٦٨) بأهمية (الرسالة) ولكنه يربطها كذلك بموقف ابن المقفع السياسي وولائه لاولاد علي بن عبد الله العباسي (أعمام الخليفة المنصور) . ذلك ان من أهم النقاط التي تثيرها الرسالة هي الدفاع عن الارستقراطية العربية ووجوب وضعهم في مركز القيادة في أجهزة الدولة . وسواء كان هذا المبدأ من بنات أفكار ابن المقفع أم أن أعمام المنصور قد اشاروا به عليه (٦٩) ، وهو الارجح ، فان هذا الاتفاق بين ارتباطه الوثيق بينهم وبين دعوته لاسهام الاشراف العرب بصورة أوسع في ادارة الدولة والاعتماد عليهم لا يمكن ان يكون عفويا خاصة وان أعمام

---

(٦٧) Sourdel, op. cit. p. 322.

(٦٨) Ibid

(٦٩) يعتقد جبريللي ان رسالة في الصحابة وثيقة كتبها ابن المقفع بطلب من اعمام الخليفة اولاد علي العباسي ، المصدر السابق ، pp. 231-35

المنصور من بني هاشم كانوا على راس قائمة الاشراف العرب .

ولعلنا نشير هنا بأن الدولة العباسية في عصرها الاول لم تحرم العرب من السلطة والنفوذ بل على العكس فقد كان العصر العباسي الاول عصر النفوذ العربي وأن الخلفاء العباسيين الاوائل شجعوا كل ما هو عربي في الجيش والادارة والثقافة الا ان ما كان يقصده ابن المقفع هم مجموعة من العرب يعتبرون منافسين للمنصور على الخلافة وهم أعمامه وآخرون معادون للدولة . ولعل خطورة عبدالله بن علي بالنسبة للمنصور تظهر من قول الاخير لاعمامه الذين طلبوا منه الوفاء بعهده :

« لا تكلموني فيه فانه أراد ان يفسد علينا وعليكم أمرنا » (٧٠) .

بينما يدافع ابن المقفع عن أعمام الخليفة بجرأة وصراحة حيث يذكرهم بالاسم فيقول :

« ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر فتيان اهل بيته وبني أبيه وبني علي وبني العباس فان فيهم رجالا لو متعوا بجسام الامور والاعمال سدوا وجوها وكانوا عدة لاخرى » (٧١) .

ويدافع ابن المقفع عن أهل الشام (٧٢) اعداء العباسيين ويحذر المنصور منهم قائلا « فانهم أشد الناس مؤونة وأخوفهم عداوة وبائقة » ، ويحاول ان يبرر موقفهم المعادي للدولة العباسية فيشير بصراحة الى انهم ظلموا ولم يؤخذوا بالحق : « فلعمري لئن أخذوا بالحق ولم يؤخذوا به انهم لخلقاء الا تكون لهم نزوات ونزقات » .

ويهاجم ابن المقفع صحابة الخليفة ويعريهم ويصفهم بالفساد وضعف الراي فيقول :

« ما رأينا أعجوبة قط أعجب من هذه الصحابة ممن لا ينتهي الى أدب ذي نباهة ولا حسب معروف ثم هو مسخوط الرأي مشهور بالفجور في أهل مصره قد غبر عامة دهره صانعا يعمل بيده ولا يعتد مع ذلك ببلاء ولا غناء الا انه مكنه من الامر صاغ فانتهى الى حيث أحب فصار يؤذن

---

(٧٠) البلاذري ، مخطوطة انساب الاشراف ، ورقة ٧٦٧ أ . بل ان المنصور يعتبر عبد الله اكثر خطورة من محمد النفس الزكية الثائر العلوي .

(٧١) رسالة في الصحابة ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٢١٨ .

(٧٢) المصدر السابق ، ص ٢١٠ ــ ٢١٢ .

له على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والانصار وقبل قرابة أمير المؤمنين وأهل بيوتات العرب ويجري عليه من الرزق الضعف مما يجري على كثير من بني هاشم وغيرهم من سروات قريش ... » (٧٣) .

هذا قليل من كثير أشار اليه ابن المقفع في (رسالته في الصحابة) ورغم أهمية ما ذكر ورغم انه بدأ رسالته بالاعتذار للمنصور عما سيقوله وانه انما أراد النصح والاصلاح حيث يقول : « وفي الذي عرفنا من طريقة امير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على مبادرته بالخبر فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره وبالتذكير بما قد انتهى اليه ... » (٧٤) الا ان ذلك كله لم يشفع له بل أثار حفيظة الخليفة مثلما أثارها حين كتب الامان لعبدالله بن علي الثائر على الخلافة العباسية .

ولكن هل ان ما دونه ابن المقفع من شروط محكمة في (الامان) ، وما عبر عنه من آراء في (رسالة في الصحابة) كان كافيا لتبرير قتله ؟ ولا بد هنا ان نشير الى ان من مظاهر هذه الفترة التي عاش فيها ابن المقفع ظهور جماعات او حلقات من الكتاب والشعراء والمفكرين المعجبين بالحضارة الفارسية وقيمها ، الداعين الى اتخاذها مثلا يحتذى به في المجتمع العباسي . وبقدر ما يتعلق الامر بابن المقفع فان أغلب كتاباته تظهر لنا صورة شخص معجب بالحضارة الفارسية حيث جعل من نفسه واعظا يبشر بقيمها ويعرف بأصولها للمعاصرين له ويدعو الدولة لتقبلها . ولعل الكثير ممن كانوا أصدقاء لابن المقفع ممن ذكرناهم سابقًا من الموالي الفرس يحملون نفس النظرة او تطرفوا اكثر منه . ان ظاهرة انتعاش الروح الفارسية والتبشير بقيمها الحضارية وأصولها لدى ابن المقفع وحلقته هي التي حملت الناس على الشك في عقيدتهم الدينية واتهامهم بالزندقة حيث يقول الجاحظ : « وكلهم متهم في دينه » (٧٥) .

لقد ادرك الخلفاء العباسيون الاوائل خطورة هذه الدعوة الى امتثال النمط الفارسي في المجتمع والادارة وحاولوا تقييدها وضبطها بحيث لا تؤثر على طابع الدولة العربي وقيمها الاسلامية . ولم يكن دور ابن المقفع

---

(٧٣) المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٧٤) المصدر السابق ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

(٧٥) انظر : Daud, op. cit. pp. 35 ff

المعادي لسياسة الدولة العباسية في هذا المجال بأقل من أدواره السابقة بل ان خطره هنا أكثر نظرا لبلاغة أسلوبه وقوة تأثيره .

لقد كان مقتل ابن المقفع نتيجة سياسة مقصودة اتبعها المنصور لحماية الخلافة العباسية ولم يكن سفيان المهلبي الا واسطة في هذه العملية رغم انه كان متحمسا لتنفيذها بسبب العداوة الشخصية والحقد اللذين يحملهما لابن المقفع . ومما يدلل على اقرار المنصور للعملية تهديده غير المباشر لشهود الاثبات الذين جلبهم اعمام الخليفة ليدينوا سفيان المهلبي . يقول البلاذري (٧٦) :

« قالوا وشكا بنو علي بن عبدالله ما صنع سفيان بابن المقفع الى المنصور فأمر بحمل سفيان اليه فحمل وشخص معه أهل بيته وجاء عيسى ابن علي بقوم يشهدون ان ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه ، وبآخرين يثبتون الشهادة انه قتله . فقال المنصور : ارايتكم ان أخرجت ابن المقفع اليكم ماذا تقولون ؟ فانكسروا عن الشهادة وكف عيسى عن الطلب بدمه » .

وعلى ذلك فان فرضية زندقة ابن المقفع فرضية بعيدة الاحتمال حيث لم يكن المنصور ليهتم بآراء ابن المقفع الدينية ولا بارتباطه بالمانوية قدر اهتمامه باخلاص ابن المقفع للخلافة العباسية نفسها . ولعل موقف المنصور من الراوندية يؤكد ما ذهبنا اليه . فحين اشير عليه ان يحد من فعالية هذه الفرقة المتطرفة في آرائها قال « دعهم يدخلوا النار في طاعتنا على ان يدخلوا الجنة في معصيتنا » (٧٧) .

لقد اغتيل ابن المقفع اغتيالا سياسيا حين عزم المنصور على التخلص منه لاسباب ثلاثة :

أولها : ارتباطه بأعمام الخليفة المنافسين له وذلك بكتابته الامان للثائر عبدالله بن علي .

ثانيها : دفاعه عن أعداء الدولة وانتقاده لسياسة الخلافة بصراحة تظهرها رسالته في الصحابة .

ثالثها : دعوته لتقليد واقتباس النمط الفارسي الحضاري وهي دعوة لم تكن تتفق مع سياسة المنصور .

---

(٧٦) البلاذري ، مخطوطة انساب الاشراف ، ورقة ٥٣٥ .

(٧٧) الطبري ، تاريخ ، ليدن ، القسم الثالث ص ١٣٢ .

والجاحظ في هذا الشأن ملاحظة ذكية وبليغة يعلق فيها على مصير ابن المقفع ولكنها مختصرة جدا لا نستطيع ان نحملها اكثر من طاقتها بل نوردها حيث يقول في (ذم أخلاق الكتاب) :

« ثم كتب لبني العباس عبدالله بن المقفع فأغرى بهم عبدالله بن علي ففطن له وقتل وهدم البيت على صاحبه » (٧٨) .

لقد حذر ابن المقفع من التقرب الى السلطان في عدة مناسبات في كتبه وتراجمه ورأى في هذه الصحبة مسؤولية كبيرة حيث نراه يقول في نصيحة له :

« ان ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعيته فاعلم انك قد خيرت بين خلتين ليس منهما خيار : اما ميلك مع الوالي على الرعية وهذا هلاك الدين واما الميل مع الرعية على الوالي وهذا هلاك الدنيا ولا حيلة لك الا الموت او الهرب » (٧٩) .

ولعل الكثيرين استفادوا من نصائح ابن المقفع وحكمته الا هو فلم يستفد منها حيث أدخل نفسه مدخلا صعبا مع الخليفة المنصور وواليه على البصرة سفيان المهلبي لم يستطع الخروج منه فكان مصيره الموت بتدبير من الخليفة الذي كان يقول « ان الملوك لا تحتمل القدح في الملك » (٨٠) مما يدل على شدته تجاه الاشخاص الذين يعتبرهم أعداء سياسيين للخلافة .

---

(٧٨) الجاحظ ، رسائل ، قاهرة ١٩٦٤ جـ ٢ ص ٢٠٢ . — تحاول بعض الروايات ان تزج اسم الوزير ابي ايوب المورياني في عملية الاغتيال وطمس الحقائق حولها فتظهر ابن المقفع وكأنه ينافس المورياني على منصب الوزارة وان المنصور هدد الموريساني بان يستبدله بابن المقفع ولذلك فان المورياني لعب دورا في مقتل ابن المقفع وانقاذ سفيان المهلبي من العقاب (راجع مخطوطة انساب الاشراف ورقة ٥٢٤ فما بعد) الا ان هذه الروايات ضعيفة ونصيبها من الصحة ضئيل .

(٧٩) ابن المقفع ، الادب الكبير ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ١٢٢ .

(٨٠) الطبري ، تاريخ ، جـ ٣ ص ٥٣٨ (الطبعة الاوروبية) .

حول زندقة بشار بن برد

معنى الزندقة :

تختلف مصادرنا التاريخية في تعريف اصطلاح الزندقة ، فالجاحظ يرى بان « عامة من ارتاب بالاسلام انما جاءه عن طريق الشعوبية فاذا ابغض شيئا ابغض اهله » وهو بهذا يربط العداء للاسلام بالعداء للعرب ويستنتج بأن هذا العداء يؤدي الى الانحراف عن الدين والطعن فيه حين يقول :
«ثم انك لم تر قوما أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا اعدى على دينه» (١).
ويتفق الصولي والثعالبي بان الزنديق لم يكن اكثر من ماجن ظريف ، بينما يقرر ابن النديم بان الزنادقة هم اصحاب ماني اي انهم من الثنوية .
اما الشريف المرتضى (٢) وياقوت الحموي فيتفقان على اعتبار الزنادقة ممن يبطنون الكفر عامة ولكنهم يتظاهرون بالاسلام (٣) .

---

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٤ ، ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) راجع ، الامالي للشريف المرتضى نقلا عن الصولي ج ١ ص ١٤٢ . الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص ١٢١ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٣٨ .

(٣) الامالي ، ج ١ ص ١٢٧ . — ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ص ٨٤٠ .

لقد انعكس التضارب في آراء هؤلاء الرواد وغيرهم على آراء المؤرخين المحدثين ، فقد تبنى الدكتور طه حسين والدكتور الدوري رأي الجاحظ فأشار الاول بان الزندقة « ضرب من السخط على العرب وعاداتهم واخلاقهم ودينهم » ويضيف بانها « ضرب من الكلف بحياة الفرس وعاداتهم وحضارتهم وما ذاع فيها من عقيدة دينية» (٤). ويقول الثاني «ان الشعوبية كانت من الدوافع الاساسية للزندقة ... ومن الواضح ان الشعوبية والزندقة تستمدان الوحي من نطاق حضاري خارج نطاق العروبة والاسلام وان آراءها آراءوافدة ترى اصولها وولاءها خارجالمجتمع العربيالاسلامي»(٥).

اما المستشرقون من أمثال براون (٦) وماسينون (٧) وفيدا فقد اخذوا برأي ابن النديم مؤكدين بان الزندقة في الاسلام كانت تعني المانوية ليس الا . يقول فيدا (٨) :

« ان الزندقة التي حاربها الخليفة المهدي والخليفة الهادي هي المانوية » . على ان الجميع متفقون بان الاصلاح لم يكن محدودا بل مرنا اتسع لكافة التفسيرات والتخريجات الدينية السياسية . وقد أعطانا الاستاذ بدوي خلاصة آرائهم حين قال ان الاصلاح زنديق :

« كان يطلق على من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم هما النور والظلمة ثم اتسع المعنى من بعد اتساعا كبيرا حتى أطلق على صاحب كل بدعة وكل ملحد بل انتهى به الامر اخيرا الى ان يطلق على من يكون مذهبه مخالفا لمذهب اهل السنة او حتى من كان يحيا حياة المجوس من الشعراء والكتاب ومن اليهم » (٩) .

من ذلك كله يمكننا القول بأن اصطلاح الزندقة في المجتمع العباسي كان اصطلاحا غامضا فيه الكثير من المرونة التي اتسعت لكل الميول الدينية

---

(٤) طه حسين ، حديث الاربعاء ، ج ٢ ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .

(٥) الدوري ، الجذور التاريخية الشعوبية ، ص ١٢١ .

(٦) راجع : Browne, Library history of Persia, Vol. 1, p. 51.

(٧) L. Massignon, la Passion d'al-Hallag pp. 186 ff.

(٨) G. Vajda, les zindiqs en pays d'Islam, pp. 173 ff.

G. Vajda, Ip. cit. p. 182 ff.

(٩) عبد الرحمن بدوي ، الالحاد في الاسلام ، ص ٢٦ فما بعد .

السياسية المعارضة للسلطة العباسية كما شمل المتشككين والدهريين والمانديين والمجان والخلعاء اضافة الى أعداء الدولة السياسيين سواء الذين ينتمون الى فرق معارضة او الذين ينادون بأمر يعتبر انتشاره خطرا على الدولة او بتهديد امنها واهدافها (١٠) ولعل غموض هذا الاصطلاح واتخاذه سلاحا سياسيا بيد الدولة هو الذي أدى الى اختلاف حكم الفقهاء في الزنديق اذا ارتد عن الزندقة فتساهل بعضهم معه وقبلوا توبته . وكان الخليفة المهدي يقبلَ في الغالب توبة الزنديق رغم انه لم يقبل توبة صالح ابن عبد القدوس وقتله في الزندقة .

وفي العصر العباسي أكد الخلفاء الصيغة الدينية للخلافة وشددوا على « أهل البدع » وقد شعرت الدولة بخطر أصحاب العقائد المعارضة ومنها المانوية ذلك لان هذه الاخيرة لا تهدد الاسلام فحسب، بل انها تعارض نهج الدولة وصيغتها فقد آثر خلفاء العصر العباسي الاول التمسك بمظاهر العروبة سياسيا وحضاريا ورأوا في مظاهر الثقافة الفارغة وعقائدها تهديدا للمجتمع والسلطة .

ان أمن الدولة وسلامة الدين لم يكونا السببين الوحيدين لتتبع من اتهموا بالزندقة فالامر اعقد من ذلك وقد لعبت عوامل عديدة دورا واضحا كما سنرى حين دراسة زندقة بشار ... ويكفي هنا ان نقول اذا كانت الزندقة التي حاربتها السلطة العباسية على الصعيد الرسمي هي (مذهب المانوية) فاننا في الواقع لا نستطيع ان نثبت الصبغة على العديد ممن وصفوا بالزندقة .

لقد ذكرت مصادرنا القديمة العديد من هؤلاء خلال العصر العباسي الاول ولا سيما في عصري المهدي والرشيد حيث شهد المجتمع أكبر عمليات المطاردة والتعقيب للزندقة واليك أشهر هذه الاسماء (راجع الفهرست لابن النديم والاغاني للاصفهاني وكتب الرجال) .

أبو علي سعيد ــ حماد عجرد ــ أبو نواس ــ برداتجنت ــ حماد الزبرقان ــ أبو العتاهية ــ محمد بن النجم ــ بشار بن برد ــ ودة الشروي ــ ابن طالوت ــ والبة بن اياس ــ يعقوب بن الفضل الهاشمي ــ الحريزي

---

(١٠) حتى ان القدرية وصموا بالزندقة قبل عهد المأمون لقولهم بخلق القرآن (الطبري جـ٦، ص ٣٩٩ ، ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٣٥٦) .

ـ ابراهيم بن‌سيابة ـ زوجة يعقوب وابنته ـ النعمان ـ علي بن الخليل ـ ابن داود بن علي العباسي ـ أبو شاكر ـ ابان بن عبد الحميد اللاحقي ـ محمد بن ابي عبيد الله ـ داود بن روح بن حاتم المهلبي ـ ابو عيسى الوراق ـ مطيع بن اياس ـ اسماعيل بن سليمان ـ عبد الكريم بن ابي العوجاء ـ ابنة مطيع بن اياس ـ محمد بن ابي ايوب المكي ـ صالح بن عبد القدوس ـ اسحق بن خلف ـ محمد بن طيفور ـ يونس بن ابي فروة ـ علي بن ثابت ـ علي بن يقطين ـ يحيى بن زياد الحارثي ـ محمد بن زياد ـ يزدان بن بادان ـ يزيد بن الفيض ـ ابو العباس الناشىء ـ حماد الراوية ـ الجيهاني ـ منقذ بن زياد الهلالي ـ حفص بن أبي ودة ـ قاسم بن زنقطة ـ جميل بن محفوض ـ عبادة ـ عمارة بن حربية (١٠) .

على ان الذي يهمنا في هذا المقام من كل هذه الاسماء هو بشار بن برد الـذي يعتبر من أدبـاء القرن الثـاني الهجري / الثامن الميلادي المخضرمين والذي يأتي بعد الاديب اللامع ابن المقفع في شعر اتهامه‌بالزندقة.

في عصر بشار واتجاهاته السياسية :

عاش بشار بن برد فترة سياسية من أدق فترات التاريخ الاسلامي وأكثرها حساسية فترة تبرز فيها الاصالة وتتضح فيها الانتهازية وتختلط المثل وتتعارض المبادىء . فقد شهد هذا الشاعر المنعطف الحـاد الذي نقل الخلافة من الامويين الى العباسيين فكان مـن مخضرمي الدولتين العربيتين (١١) .

ولا تهمنا في هذا المجال تفاصيل حياته ونسبه وشعره عـلى أننـا تقول ان‌بشـارا لم‌يكن عربيا بل‌كان فارسيا انتسب الى‌بني عقيل بالولاء(١٢). وكان من ضعفاء الموالي حيث ولد في أسرة فقيرة تكدح من أجـل لقمـة

---

(١٠) راجع الدكتور فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

(١١) فيدا ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ ـ ٢٢٢ .

(١٢) الاصفهاني ، الاغاني ، جـ ٣ ص ١٧٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

العيش(١٣). ولكنه كان ذكيا مرهف الحس يتمتع بمواهب عديدة، نشأ على فصاحة اللسان عن طريق مخالطته لبني عقيل وأعراب البادية ودأب على مجالسة الرواة والادباء والمتكلمين في حلقات المساجد في البصرة . وكانت صلته قوية بأصحاب الكلام البصريين واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حتى عدته احدى الروايات واحدا منهم : « كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبي العوجا ورجل من الازد » (١٤) .

ولم تكن البصرة معروفة بميول سياسية واضحة ولذلك وصفت بأنها عثمانية وهذا المصطلح يعني سياسيا الوقوف على الحياد في المعترك السياسي الحاد الذي كان دائرا بين الفئات المختلفة . فالبصرة لم تكن أموية في ولائها السياسي ومع ذلك فهي لم تستبشر بمجيء العباسيين للسلطة بل على العكس فان واليها الاموي استطاع أن يصمد في وجه العباسيين مدة من الزمن قبل ان يسلم المدينة للقائد العباسي الذي وكل بمهمة اخضاع البصرة(١٥) . ولعل هذه البيئة البصرية المحايدة سياسيا النشطة ادبيا وفكريا أثرت على ميول بشار واتجاهاته . فلا نعرف عن بشار انه اهتم بالسياسة كثيرا ولا نعرف ان له شعرا يعبر عن سياسة معينة واضحة . كما لم يكن بشار شاعر بلاط ولم ينظم الشعر مدافعا عن حق الامويين او العباسيين او معارضيهم في الخلافة رغم انه تطرق الى مسائل سياسية حساسة في قصيدة له في عهد المهدي تكسبا ، كما سنرى فيما بعد .

وفي هذا الصدد لا نستطيع ان نقارنه بشعراء السياسة أمثال دعبل الخزاعي والسيد الحميري وديك الجن في ولائهم السياسي للعلويين ولا بمروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر في ولائهم للعباسيين. وربما كان بشار ابن برد أقرب الى عبدالله بن المقفع في موقفه السياسي مع الفارق في ان الاول كان شاعرا يخاطب العاطفة والحس بينما كان الثاني كاتبا يخاطب

---

(١٣) المصدر السابق ، ٣٥ ، ١٢٧ .

(١٤) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ١٤٦ .

(١٥) راجع الدكتور فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ٢١٩ ـ ٢٢٠ . كذلك العباسيون الاوائل جـ ١ ص ٢٠٥ فما بعد .

العقل والمنطق .

وقد نسب بشار الى فرقة من فرق الشيعة الغلاة وهي الكاملية(١٦) وكانت هذه الفرقة تذهب الى تكفير الصحابة لتركهم بيعة علي ثم تكفر على قتالهم بل ذهبت هذه الفرقة أبعد من ذلك فكفرت جميع الامة وكذلك اعتقدت باراء أخرى مثل الرجعة والتناسخ ولكن نظرة فاحصة الى شعر بشار لا تتفق مع ما ذهبت اليه هذه الروايات الموضوعة ولهذا فنحن لا نوافق المستشرق فيدا في هذا الصدد م (١٧) .

واذا لم يكن بشار من الشيعة المتطرفين فهل كان مواليا للشيعة المعتدلين كما ذهب الى ذلك طه حسين والحاجري وعاشور (١٨) . والواقع فان التشيع للعلويين نسب اليه بسبب قصيدته المشهورة التي مدح فيها ابراهيم بن عبدالله الحسني وهجا فيها المنصور حيث يقول :

ابا جعفر ما طول عيش بـدائم	ولا سـالم عما قليل يسـالم
على الملك الجبـار يقتحم الردى	ويصرعـه في المـأزق المتـلاحم

وفيها يقول :

ومروان قد دارت على راسه الرحى	وكان لما أجرمت نزر الجرائـم
فأصبحت تجري سادرا في طريقهم	ولا تتقـي اشبـاه تلك النقـائم
تجـردت للاسـلام تعفـو سبيله	وتعري مطـاه لليـوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين اهله	عليـك فعاذوا بالسيوف الصوارم
فرم وزرا ينجيك يا ابن سلامـة	فلست بنـاج من مضيم وضائم
اقـول لبسـام عليـه جـلالة	غـدا اريحيـا عاشـقا للمكارم
من الفاطميين الدعاة الى الهـدى	جهارا ومن يهديك مثل ابن فاطم(١٩)

---

(١٦) الاغاني ، جـ ٣ ، ص ٧٢ . ـ الجاحظ ، البيان والتبيين ، حـ ١ ص ٢٠ . البغدادي، الفرق ص ٣٩.

(١٧) فيدا ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(١٨) طه حسين ، حديث الاربعاء حـ ٢ ص ٢٠٩ . ـ الحاجري ، بشار بن برد ص ٢٤ . ـ عاشور ، ديوان بشار ، حـ ١ ص ٢٠ .

(١٩) الاغاني حـ ٣ ص ١٥٦ ، ٢١٣ . ـ ابن قتيبة ، عيون الاخبار حـ ١ ص ٢٢ .

وهذه القصيدة في رأينا لا تدل على ميول بشار السياسية بقدر ما تعكس طبيعته المطبوعة على الهجاء بحيث يغامر في ذلك الى أبعد حدود المغامرة . ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يتورط فيها بشار فقد تورط قبلها وبعدها وزل لسانه عدة مرات ومع شخصيات ذات نفوذ وتأثير . لقد كان هذا التخبط أحد الاسباب التي وضعت نهاية لحياته كما سنرى فيما بعد . اما علاقته بالمنصور فيبدو أنها كانت جيدة في البداية ، وربما رائعة في احدى سفراته للحج الى مكة . ولكن المنصور كان رجل عمل وسياسة فلم يحفل بالشعر والشعراء . وربما استغل بعضهم أحيانا لاسباب سياسية او للدعاية لامر ما . ولا شك فان المنصور يعلم عن بشار افتخاره بالقيسية ونصرته لهم وكانت سياسة الدولة العباسية تقوم بالدرجة الاولى على تقريب اليمانية واسناد المناصب الرئيسية لهم لان سلطان العباسيين انما قام على أكتاف القبائل اليمانية في خراسان والعراق . ولم يكن باستطاعة بشار الذي كان مقربا لابن هبيرة والي الامويين على العراق ومواليا للقيسية مادحا لهم ان يتقرب للمنصور بعد قتله لابن هبيرة وتنكيله بمن معه من القيسية .

كل هذه الامور أبعدت بشار بن برد عن البلاط العباسي ، وحين قامت حركة ابراهيم الحسيني في البصرة ظن بشار كما ظن غيره كثيرون ان الحركة ستنجح لامحالة وستقضي الشيعة العلوية على دولة العباسيين في مهدها . والواقع ان الحركة كانت خطيرة وان المنصور بذل جهودا كبيرة للقضاء عليها يعاونه في ذلك ولي عهده عيسى بن موسى . ولكن فشل حركة ابراهيم اظهر انتهازية بشار حيث أسرع في تبديل اسم ابي جعفر باسم أبي مسلم وام المنصور باسم أم ابي مسلم ، كما استمر محاولا الاتصال بالخليفة المهدي ومدحه . وعلى ذلك فالقصيدة لا تظهر عقيدة الشيعة العلوية في بشار بل تظهر انتهازية وتذبذبا ومرونة سياسية فذة . ثم ان موقفه المتخبط تجاه شعراء الشيعة في البصرة مثل الكميت والسيد الحميري دليل اخر على عدم ولائه للعلويين وعقيدتهم .

كان بشار بن برد يأمل الحظوة عند الخليفة الجديد محمد المهدي فأسرف في مدحه ومدح العديد من رجال دولته ، وتدل أشعاره في المهدي على حس مرهف وادراك ذكي لما يريده الخليفة . فالمعروف ان الخليفة العباسي الثالث حاول ان يثبت لرعيته انه جدير بلقب « المهدي » الذي لقبه به أبوه ، بل انه المهدي الذي سيملأها عدلا بعد أن ملئت جورا » فألغى

اجراءات المنصور المتشددة واخرج من في السجون واجزل من العطاء وتتبع اهل البدع والزندقة وفي ذلك يقول بشار (٢٠) :

فرج عني المهـدي من كرب الضيـ ق خناقـا قاسيتـه حقبـا

ويقـول :

سمي مـن قامت الصلاة بـه لم يـأت بخلا ولم يقـل كذبـا
سيبـت بأخلاقـه خلائقـه وحـاز مـيراثه اذا انتسبـا

ويقـول :

ان ابن سـاقي الحجيج يكفيك مـا حـل متيمـا رايـة ركبـا
مهـدي ان الصـلاة يقرز والـ قس كتابـا دثـرا جلاريبـا

ويقول (٢١) :

اذا اتيـت المهـدي تسألـه لاقيـت جـورا بـه ومحتسبـا
ترى عليـه سيمـا النبـي وان حـارب قومـا اذكى لهم لهبـا
قـد سطـع الامـن في ولايتـه وقـال فيـه مـن يقرأ الكتبـا
محمـد مـورث خلافتـه موسى وهـارون يتبعـان أبـا

وفي هذه القصيدة نلاحظ ان بشار بن برد يعالج اكثر من قضية ، وكل هذه القضايا كانت تهم الخليفة المهـدي . فبشار يؤكد على « مهدوية » الخليفة التي من دلالاتها الجود والكرم وانتشار العدالة والامن بين الناس. وان هذه المهدوية قد بانت في اشارات الكتب القديمة اليها « كتابا وثرا جلاريبا » ، « وقال فيه من يقرأ الكتبا » .

أما النقطة الثانية التي أثارها بشار فهي « حق القرابة » أي قرابة

---

(٢٠) الاغاني حـ ٣ ص ٢٣٥ وكذلك ص ٢٢٧ . ـ دائرة المعارف الاسلامية مادة (بشاربنبرد).

(٢١) راجع : ديوان بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، القاهرة ، ١٩٥٠ حـ ١ ص ٣٢٦ فما بعد كذلك ص ٣٧٩ يؤكد ان ابن عباس « اول قريش بالنبي » .

المهدي من الرسول (ص) عن طريق « ساقي الحجيج » وهو العباس بن عبد المطلب عم الرسول (ص) وهذا ما سمي « حق الحرمة » والواقع ان بشار بن برد لم يؤكد على هذه الفكرة اعتباطا او مصادفة ... بل هي لاهميتها في المشادة بين العلويين والعباسيين . وتشير رواياتنا التاريخية الى ان المهدي كان اول من اعلن رسميا في منشور وزعه على الاقاليم بأن حق العباسيين بالخلافة انما يأتي عن طريق العباس عم الرسول (ص) ووصيه . فقد ادعى العباسيون ان العم اولى من غيره بالميراث بل ان الرسول (ص) أوصى لعمه بالخلافة من بعده . هذا اضافة الى ابرازهم دور العباس في سقاية الحجاج في الحرم المكي وابقاء الرسول (ص) لهذا الامتياز بعد العباس وهكذا نلاحظ بان بشار كان يهدف الى ارضاء المهدي وبالتالي كسب هداياه بتطرقه الى هذه الفكرة الحساسة عند العباسيين ولعل ذلك يفند مرة أخرى الرأي القائل بتشيع بشار للعلويين ويبرز عدم التزامه .

اما النقطة الثالثة والاخيرة التي أشار اليها بشار في قصيدته هذه فهي التي تتعلق بمشكلة ولاية العهد فقد اراد المهدي ان يعزل عيسى بن موسى عن ولاية العهد ويعين ولديه موسى وهارون وهنا ضرب بشار مرة أخرى على وتر حساس حاثا الخليفة على اعلان البيعة لولديه مؤيدا الفكرة بل ربما كان الا وهي من ذلك كله ان بشارا أيد اجراءات الخليفة تجاه الزنادقة كما سنلاحظ فيما بعد . على ان كل ذلك لم يغنه شيئا فلم يحظ بما كان يطمح به لدى الخليفة من مركز وعطاء ؛ وعاد أدراجه الى مدينة البصرة وقتل في عهد المهدي ومن قبل السلطة العباسية ..

هل كان بشار زنديقا ؟

قبل الخوض في غمار هذا الموضوع لا بد لنا ان نعيد الى الاذهان ما قررناه من غموض معنى الزندقة في الفكر الاسلامي رغم انها على الصعيد الرسمي كانت تعني في الغالب المانوية . هذا من جهة ومن جهة ثانية لا بد من الاشارة الى ان الروايات المتعلقة بأخبار بشار وعقيدته سواء في كتاب الاغاني او في غيره من الكتب لا تخلو من التناقض الذي يدل على الاختلاق

والتزييف والعبث فيما يتعلق بسيرة هذا الشاعر . ولعل لاعدائه الكثيرين وعلى راسهم المعتزلة يد في ذلك حيث يشير الدكتور علي الزبيدي (٢٢) الى ان غالبية اخبار بشار جاءتنا عن طريق رواة من المعتزلة .

ولذلك فنحن هنا امام روايات متناقضة متضاربة ، منها مـا يؤكد انحرافه عن الدين واعتقاده باراء بعيدة عنه :

فالرواية الاولى (٢٣) ترى انه خفيف الدين لا يصلي ، على ان هـذه الرواية تتكرر حين الكلام عن حماد والرواية الثانية (٢٤) تتهمه بالتظاهر بالذهاب الى الحج وهي ايضا ضعيفة وغير مقبولة لانها تتكرر في اكثر من واحد ممن اتهموا بالزندقة مثل مطيع بن اياس ويحيى بن زياد ، وتتناقض مع رواية تشير الى ذهابه للحج مع المنصور . والرواية الثالثة (٢٥) تقول ان بشارا سمع غناء بيت من شعره فقال « هذا والله احسـن مـن سورة الحشر » وهذه الرواية يضعفها كونها مكررة عند الكلام عـن زندقة حماد عجرد .

اما الرواية الرابعة التي ترى ان بشارا من غلاة الشيعة الذين يدينون باراء بعيدة عن الاسلام فانها تنفي عنه تهمة (الزندقة) بالمعنى الاصطلاحي للكلمة ، والا لاصبحت كل الفرق المتطرفة ضمن اطار الزندقة . هـذا اذا افترضنا ان بشارا كان من الكاملية وهو افتراض ضعيف كما اشرنا الى ذلك سابقا .

والرواية الخامسة (٢٦) ترى ان بشارا كان لا يؤمن الا بما تراه عيناه وتحس به حواسه وهذه من صفات الزنادقة . ولكن مرة اخرى تتكرر الرواية مع حماد عجرد .

---

(٢٢) الزبيدي ، مصادر اخبار بشار ، مجلة كلية الاداب ، ١٩٦٤ ـ نفس المؤلف ، اضواء على سيرة بشار القسم الاول ، مجلة الكتاب ، جـ ٤ ، ص ٥ ـ ٢٢ ، (سنـة ١٩٧٥ نيسان) .

(٢٣) اغاني ، جـ ٣ ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢٤) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٤٢ .

(٢٥) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٥٥ .

(٢٦) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٦٢ .

وروایة سادسة (٢٧) يشار اليها عادة حين الكلام عن زندقة بشار وهي أبيات من الشعر يقول فيها :

النار مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

وهذه الابيات ان صحت نسبتها اليه لا تدل على المانوية بل تدل على الزرادشتية التي كان لمعتنقيها معابد للنار (٢٨) او المزدكية التي غلبت النور على الظلمة . وربما كان اوضح اتهام لبشار بالزندقة جاء في رواية سابقة (٢٩) عن طريق حماد عجرد وهو من أعداء بشار ومن المعروفين بالمجون والتهتك . ومن الاشعار المتبادلة بينهما قول بشار بن برد :

يا ابن نهيا راس علي ثقيل واحتمال الراسين خطب جليل
فادع غيري الى عبادة الاثنين فاني بواحد مشغول

فغيرها حماد عجرد او غيره بقوله « فاني عن واحد مشغول » وقد تبادل الاثنان الاتهام بالزندقة . ولا يمكن ان نعتبر هذا الاتهام المتبادل حجة على احدهما .

وفي رواية ثامنة عن الشريف المرتضى عن الجاحظ يقول :

« كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد الحارثي وحفص بن ابي ودة وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة وحماد عجرد وعلي بن الخليل الشاعر وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان ووالبة بن الحباب وعمارة بن حمزة بن ميمون الهاشمي يزيد

---

(٢٧) المصدر السابق ، جـ ٣ ص ٢٤ .

(٢٨) كما وان الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور ينفي ما جاء في (رسالة الغفران) البيتين اللذين نسبا الى بشار في تفضيل النار :

ابليس أفضل من ابيكم آدم فتنبهوا يا معشر الفجار
النار عنصره وآدم طينه والطين لا يسمو سمو النار

راجع مقدمة (ديوان بشار) الجزء الاول ، ص ٢٤ .

(٢٩) اغاني ، جـ ١٣ ص ٧٤ ، ص ٧٦ .

ابن الفيض وجميل بن محفوظ وبشار بن برد وابان بن عبد الحميد اللاحقي يجتمعون على الشراب وقول الشعر وهجو بعضهم بعضا وكل منهم متهم في دينه » (٣٠) .

وهذا النص لا يشير الى مانويتهم ، كما وان البروفسور فيدا قد بحث في زندقة هؤلاء ولم يستطع بما تيسر له من مصادر ان يثبت هذه التهمة على أحد منهم هذا ولعل الاهم من ذلك كله ان السند الرئيسي لهذه الرواية هو الجاحظ المعتزلي ، والمعتزلة معروفون بمواقفهم العدائية من بشار ومن على شاكلته .

واذا كانت هذه الروايات الثماني التي اوردناها تتهمه بالمروق والخروج عن الاسلام فان هناك روايات تؤكد اعتقاده بالاسلام .

اولها رواية ابن قتيبة التي تظهر بشارا مسلما يعتقد بالبعث والحساب حيث يقول (٣١) :

ان في البعث والحساب لشغلا   عن وقوف برسم دار محيل

وثانيها ان بشارا امتدح اجراءات الخليفة المهدي ضد اهل البدع والزندقة حين قال :

يصب دماء الراغبين عن الهدى   كما صب ماء الظبية المترجرج

وثالثها انه هجا عبد الكريم بن أبي العوجاء بعد ان صلب على الزندقة حيث قال :

قل لعبد الكريم يا ابن ابي العو   جاء بعث الاسلام بالكفر موقنا

ورابعها ان قصيدته في هجاء المنصور ومدح ابراهيم

---

(٣٠) المصدر السابق ، ج ١٨ ص ١٩٦ .

(٣١) ابن قتيبة ، كتاب الشعر والشعراء ، ص ٤٧٦ ـ كذلك ديوان بشار ج ٢ ص ٨٨ .

(٣٢) ديوان بشار ج ٢ ص ٨٦ .

(٣٣) الاغاني ، ج ٣ ص ١٤٧ ـ ديوان بشار ج ١ ص ٨٦ .

الحسني السالفة الذكر فيها الكثير من المعاني الدينية والدعوة للثورة انتصارا للاسلام واهله حيث يقول :

تجردت للاسلام تعفو سبيله ... وتعري مطاه لليوث الضراغم
فما زلت حتى استنصر الدين اهله ... عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم

وخامسها (٣٤) ان ابياتا عديدة من شعره تذكر اسم الله والتوبة اليه والايمان باليوم الاخر :

وما خاب بين الله والناس عامل ... له في التقى او في المحامد سوق

واذا حاولنا موازنة هذه الروايات المتعارضة نلاحظ دون شك اثر الوضع والاختلاق في المجموعتين ، والمجموعة الاولى التي تمثل اعداء بشار والمجموعة الثانية التي تمثل أنصاره على ان ايا من الروايات التي ذكرناها لا تؤكد زندقته بمعنى اعتناقه لمذهب المانوية . فبشار لم يكن زنديقا ضمن هذا الاطار وربما كانت آراؤه تدل على فكر شكاك وعلى حيرة نفسية عميقة وتذبذب واضح في الرأي . وقد يكون بشار خفيف الدين ولكنه لم يكن ملحدا ومثلما كان غير مندفع في ولائه السياسي لم يكن مندفعا في معتقده الديني ، ولعل أصدق وصف له ما رواه الاصفهاني بأنه كان « متحيرا مخلطا » (٣٥) اذن فما هي الاسباب الحقيقية وراء اتهامه بالزندقة ؟

اننا نعتقد بان الاسباب الحقيقية وراء هذه التهمة تعود الى دوافع شخصية وفكرية وسياسية فأما الدوافع الشخصية فترجع الى كثرة اعداء بشار بن برد بسبب هجائه اللاذع وتشبيبه الذي يصل الى حد الخلاعة والمجون . وكان من بين أعدائه العديد من الفقهاء والاتقياء ورجال

---

(٣٤) المصدر السابق ، ج ٣ ص ٢٤٠ ـ وهناك روايات ربما بالغت في اظهار تقاه وتحرجه ولكنها في الغالب موضوعة من قبل اصدقائه ومحبيه وكتاب الاغاني حافل بها مثل ندم المهدي على قتله وتحرجه في هجاء آل سليمان العباسي وغيرها .

(٣٥) اغاني ، ج ١٩ ، ص ٢٤٢ .

(٣٥أ) الاغاني ج ٣ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

الدين ولا شك فان شكواهم كانت تصل الى أذن المهدي وتلقى صدى عنده حتى منعه من التشبيب ومنع عنه الهدايا والعطاء . وهنا لم يتورع بشار عن هجاء الوزير يعقوب بن داود وتحريض الخليفة عليه حين قال (٣٦) :

بني امية هبوا طال نومكم ... ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الزق والعود

ثم تورط فهجا الخليفة حين قال :

خليفة يزني بعماته ... يلعب بالدبوق والصولجان
ابدلنا الله به غيره ... ودمى موسى في حر الخيزران (٣٧)

وقد استطاع يعقوب بن داود ان يوغر صدر المهدي عليه وربما اختلق يعقوب بن داود الابيات الاخيرة ونسبها الى بشار بن برد ، وهكذا تغدى يعقوب ببشار قبل ان يتعشى الاخير بيعقوب ولا شك ان العديد من رجال الدين واشراف البصرة ممن كان يهابه (يقصد بشار) ويخاف معرة لسانه ، تنفسوا الصعداء بعد مقتله . أما الدوافع الفكرية فنقصد بها خلافه مع المعتزلة فقد كان بشار من متكلمي البصرة ، كما أسلفنا وكان من المقربين لواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد الا انه اختلف معهم حول تكفير الخوارج . وهجا واصل بن عطاء الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في البصرة حيث استطاع ان يطرد بشارا منها بعد ان دعا الى قتله (٣٨) ثم عاد بشار الى البصرة بعد وفاة واصل ، ولكنه طرد منها ثانية بتأثير عمرو بن عبيد . من ذلك نلاحظ ان خلافاته مع المعتزلة كانت حادة والراجح انهم لعبوا دورا مهما في تشويه سمعته واتهامه بالزندقة وقد ساعد على ذلك طبيعة شعره ومجونه . ولعل الاهم من هذا وذاك الدوافع السياسية وراء اغتياله فعلى الرغم من منحه للخليفة المهدي وتأكيده على بعض وجهات النظر السياسية التي كانت تهم الخليفة المهدي فانه لم يكن

---

(٣٦) الاغاني جـ ص٢٤٥ ، كذلك٢٤٤ في ذم صالح بن داود اخي يعقوب وكان واليا على البصرة .
(٣٧) المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٤٣ .
(٣٨) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٥ .

شاعرا عباسي الميول بل انه لم يدافع عن وجهة النظر العباسية تجاه اعدائهم ومعارضيهم ولم يكتف بشار بهذا بل هجا الخليفة المنصور والخليفة المهدي ووزيره يعقوب بن داود .

هذا من جهة ومن جهة ثانية أظهر بشار بن برد ميولا شعوبية في هجائه للعرب واستهزائه بالاعراب في العديد من ابيات شعره وتبجح بأصله الفارسي ودعا الموالي الى فصم رابطة الولاء حيث قال :

اصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك اكرم من تميم كلها اهل الفعال ومن قريش المشعر(٣٩)

وما من شك فان دعوة بشار هذه كانت خطرا على النظام الاجتماعي والسياسي في المجتمع العباسي وفي رواية تاريخية ان احد الاشراف العرب ندد ببشار لانه أثار الموالي على أسيادهم العرب . والمعروف ان الموالي في عهد المهدي كانوا يشكلون كتلة سياسية مهمة في بلاط المهدي وكانوا يرتبطون برابطة الولاء للخليفة نفسه والاخلاص للدولة العباسية . من هنا نلاحظ مدى الخطر وعمق الاثار السلبية التي يمكن ان تتركها دعوة بشار هذه . ومن هنا جاءت ملاحظة ابن القارح حين قال « وانما نسبوا بشارا الى دين المانوية لانه في الاصل فارسي يتعصب للفرس واحوالهم » (٤٠) هذه الدوافع مجتمعة هي في اعتقادنا ، كانت وراء اتهام بشار بالزندقة وبالتالي أودت بحياته .

نهاية بشار

تختلف الروايات وتتناقض حول نهاية بشار بن برد ولعلنا نستطيع ان نميز نوعين من الروايات رغم ادراكنا لتداخل وتشابه بعضها في

---

(٣٩) الاغاني جـ ٣ ص ١٣٩ ـ « كان يفسد موالي العرب عليهم ويدعوهم الى الانتفاء منهم ويرغبهم في الرجوع الى اصولهم وترك الولاء » .

(٤٠) راجع مقدمة ديوان بشار ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

الجزئيات من الاحداث . المجموعة الاولى (٤١) :

ترى ان بشارا وقع ضحية لانتقام الوزير يعقوب بن داود وزير المهدي . وفي ذلك تتفق روايات في الطبري والجهشياري والاصفهاني ان الوزير قرر قتل بشار بسرعة وقبل ان ينتظر موافقة الخليفة الرسمية على ذلك ولم يسمح لبشار بمقابلة الخليفة لئلا يؤثر عليه فيلين قلبه فأمر رجاله بقتله ورميه في البطيحة او في الطريق سنة ١٦٨ هـ . ويظهر من هذه الروايات ان دور الخليفة كان ثانويا .

اما المجموعة الثانية (٤٢) : فترى بأن تصرفات بشار اغضبت الخليفة المهدي الذي استثارته ابيات بشار في هجائه المقذع له واظهاره بمظهر الضعيف الذي لا سلطة له والمغرق في الملاهي والملاذ تاركا أمور الدولة بيد الوزير . ولم يكتف بشار بذلك بل استصرخ الامويين بان يهبوا ليعيدوا سلطانهم كل ذلك دعا المهدي الى تسليمه لصاحب الزنادقة وقتله .

ان تفحص هاتين المجموعتين من الروايات يظهر شكوكا قوية فيما يتعلق بروايات المجموعة الثانية ، ذلك ان صاحب الزنادقة في هذه الفترة لم يكن عبد الجبار بل كان حمدويه ثم ان الاجراءات التي تتبعها السلطة العباسية عادة مع الزنادقة لم تتبع مع بشار فالمفروض ان يطلب صاحب الزنادقة او الخليفة من بشار ان يرجع عن عقيدته او (الاستتابة) فاذا رفض اعدم واذا قبل عفي عنه (٤٣) . كما ا ندفن بشار في قبر حماد عجرد رواية خيالية محبوكة الغرض منها اثبات الزندقة على بشار على اعتبار ان حماد كان متهما بها ايضا . اما الرواية التي تفترض ان الخليفة التقى ببشار صدفة فوجده ثملا يؤذن في غير وقت الصلاة فلا يمكن تصديقها (٤٤) . ولذلك فان هذه المجموعة من الروايات تفترض افتراضات غير صحيحة لم ينتبه اليها واضعوها والنقد الداخلي لمتونها يجعلنا نسقطها

---

(٤١) الاغاني ، جـ ٣ ص ٦٠ ، ٧٠ . ــ الطبري ، ص ٥٣٨ ــ الجهشياري ، الوزراءوالكتاب ص ١١٧ ــ ١١٨ .

(٤٢) الاغاني ، جـ ٢ ص ٧٠ فما بعد .

(٤٣) فيدا ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(٤٤) الاغاني ، جـ ٣ ص ٢٤٤ .

من الحساب ، ونسقط معها تهمة الزندقة عن بشار ؛ فنحن لا نستطيع ان نرى في بشار اكثر من شاعر متحرر شكاك ، وان حياته الماجنة غير الملتزمة الانتهازية لا يمكن ان تسمح له بان يكون مرتبطا بمذهب صوفي ملتزم مثل المانوية . اما ابياته حول النار وعن ابليس وغيرهما فهي تعبير قبل كل شيء عن طبيعة بشار المعقدة ، ولم تكن اكثر من فورة من فوراته الشعرية ومثال على براعته في استغلال موهبته الشعرية في جذب سامعيه والتأثير على من حوله (٤٥) . وهي بذلك ابيات قيلت من اجل الاثارة والمزاح لا من أجل العقيدة والجد التي لم يحفل بهما بشار . واذا كنا نرجح روايات المجموعة الاولى فاننا نرى اصابع الاتهام تشير الى الوزير يعقوب بن داود الذي كان ذا تأثير قوي على المهدي . فقد قربه المهدي لاسباب سياسية (٤٦) وبدأ يلعب دورا رئيسيا في البلاط ودبر يساعده في ذلك الربيع بن يونس العديد من المؤامرات ضد منافسيه لعل واحدة منها تخصنا في هذا المجال . فقد اراد يعقوب ان يتخلص من احد منافسيه في البلاط وهو الوزير ابي عبيد الله بن معاوية(٤٧) فاتهم ابنه بالزندقةوحدث الخليفة عن قتله فقتله وعزل اباه عن الوزارة. فاذا كان يعقوب وراء مؤامرةمن هذا النوع والمستوى مع وزير سابق فليس من الصعب عليه ان يدبر مؤامرة مشابهة ضد بشار خاصة بعد ان حرض هذا الاخير الخليفة ضد يعقوب ، ولعل بشارا كان يدرك المؤامرات التي تحاك ضده في البلاط فقد خاطب المهدي قائلا :

اخاف انقطاع الدر بعد ابتزازه وتبليغ من يسدي الحديث وينسج(٤٨)

وهكذا دفعت العداوة الشخصية الوزير لتدبير قتل بشار بن برد

---

(٤٥) راجع : محسن غياض ، صورة بشار فى الاغاني ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ٢٠ ، ١٩٧٠ . ــ قارن عاشور ، ديوان بشار ، ص ٢٤ حيث يعتقد ان هذه الاشعار موضوعة ومنسوبة الى بشار .

(٤٦) راجع فاروق عمر ، يعقوب بن داود وزير المهدي ، مجلة كلية الاداب ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٢ فما بعد .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٣٢١ .

(٤٨) ديوان بشار ، ج ١ ، ص ٨٨ .

الذي رشحته عوامل اخرى تتعلق بطبيعته وخلقه وجرأته في التعبير عن افكاره للوصول الى هذه النهاية المحتومة .

قتل بشار بن برد لا بسبب زندقته حيث لم يثبت بما اوردناه من روايات ، انه مانوي العقيدة او انه مرتبط بصورة جدية وملتزم بأي عقيدة معارضة لعقيدة الدولة دينيا او سياسيا ، بل بسبب هجائه المقذع ، الذي كان الناس يهابونه ، الى شخص الخليفة وكبار رجال دولته واستغاث ببني أمية ليعودوا الى سلطتهم « فقد ضاعت الخلافة » . واذا كانت الدعوة لتقليد واقتباس النمط الحضاري الفارسي احد الاسباب التي أدت الى اغتيال عبدالله بن المقفع ، فان شعوبية بشار واستهزائه ببعض تقاليد العرب ومظاهر عيشهم كانت اوضح ومما زاد في تأثيرها انها كانت شعرا يخاطب العاطفة ويثير النفس . ولعل الاهم من ذلك مهاجمة بشار لرابطة الولاء ودعوته الموالي لفصم عرى الولاء للقبائل العربية فقد كانت خطرا جسيما يهدد النظام الاجتماعي الذي يقوم عليه المجتمع الاسلامي انذاك خاصة اذا ادركنا اهمية كتلة الموالي في بلاط المهدي (٤٩).

ولعله من الصدف الغريبة ان يحذر الرجلان ابن المقفع وبشار بن برد الناس من التقرب للسلطان حيث أنذر الاول نتيجة ذلك هلاك الدين ، وعبر الثاني عن نفس المعنى شعرا فقال :

ومـلوك ان تعرضت لهـم   عرضوا ديني وشيكا للعطب (٥٠)

ورغم ذلك فقد وقع بشار بن برد ، كما وقع ابن المقفع قبله ، في شباك السلطة العباسية التي لم ترق لها نفسيته الحائرة المشككة وطبعه المشاكس وافكاره المتمردة وكل هذه الصفات كانت معارضة لنهج الخليفة المهدي وسياسته وللطابع الذي كان يود هذا الخليفة ان يظهر به عهده . ولم يكن يعقوب بن داود ، مثلما كان سفيان المهلبي والي البصرة في حادثة اغتيال ابن المقفع ، مجرد واسطة بيد الخليفة بل كان هذا الوزير المدبر والمنفذ لقتله بسبب عداوته الشخصية له كما يكشفها ديوان بشار نفسه .

---

(٤٩) عن اهمية هذه الكتلة راجع العباسيون الاوائل جـ ٢ ص ٥٢ فما بعد .

(٥٠) ديوان بشار جـ ١ ص ٣٠٤ .

على اننا لا نبرىء الخليفة من المشاركة فقد كان المهدي على علم بما ريز لبشار واقر ذلك .

وبعد فان اهمية بشار في الحياة الفكرية في عصره تبقى كبيرة جدا . ولقد كان هذا الشاعر المتطلع ذا شخصية فذة تدل عليها تلك الضجة التي اثارها محبوه او اعداؤه . وبشار بن برد من هذه الناحية يشابه ابن المقفع كما يشابهه في النهاية التي انتهت به حياته الحافلة .

منتخبات من « المصادر الاصلية »

ابن الابار ٦٥٨ هـ **اعتاب الكتاب** (مخطوطة ، المتحف البريطاني لندن او طبعة باريس ١٩٥٤ .
ابن الاثير ٦٣٠ هـ **الكامل في التاريخ** ليدن ١٨٥١ – ١٨٦٧ .
اللباب في معرفة الانساب القاهرة ١٣٥٧ – ١٣٦٩
الازرقي ٢٠٤ هـ **اخبار مكة** ليبزك ١٨٥٨ .
اخبار العباس وولده لمؤلف مجهول (مخطوطة في مكتبة الاوقاف ، بغداد ، العراق) .
اخبار مجموعة حـ ١ مدريد ١٨٦٧ .
ابن اصفنديار ق ٧ هـ **تاريخي طبرستان** ، طوران ، ١٩٤٢ . مترجم للانكليزية لندن ١٩٠٥ .
ابن ابي اصيبعة ٦٦٨ هـ **عيون الانباء في طبقات الاطباء** كونسبرك ١٨٧٤ .
ابن اعثم الكوفي ٣١٤ هـ **الفتوح** (مخطوطة ، مكتبة السلطان احمد الثالث، 2956 استانبول نسخة باللغة الفارسية ترجمها من العربية المستوفي ١٣٠٠ هـ بومبي.
الباقلاني ٤٠٣ هـ **التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة** القاهرة ١٩٤٧ .
البرزنجي ٩٩٥ هـ **النواقض للروافض والنواقض** (مخطوطة المكتبة

الوطنية باريس ١٤٥٩) .

بشار بن برد ١٦٨ هـ **ديوان بشار** القاهرة ١٩٥٤ .

البغدادي ٤٢٩ هـ **كتاب الفرق بين الفرق** القاهرة ١٣٢٨/١٩١٠ .

البلاذري ٢٧٩ هـ **انساب الاشراف** طبعة ١٨٨٣ والقدس ١٩٣٨ .

انساب الاشراف مخطوطة المكتبة الوطنية باريس ٦٠٦٨ . ـ ومخطوطة استانبول .

فتوح البلدان ليدن ١٨٦٦ . طبعة القاهرة ١٩٥٦ .

البلعمي ٣٦٢ هـ **ترجماي تاريخي طبري** طبعة ١٩٠٦/١٣٢٤ . والترجمة الفرنسية باريس ١٨٦٧ ـ ١٨٧٤ .

البياسي ٦٥٤ هـ **العرب في الحروب في صدر الاسلام** (مخطوطة معهد المخطوطات العربية تاريخ٣٩٩) القاهرة .

البيهقي ق ٤ هـ **المحاسن والمساوىء** ليبزك ١٩٠٠ ـ ١٩٠٢ . القاهرة ١٩٠٦ .

تاريخي دولة عباسية . (مخطوطة كتبت في نهاية القرن السادس الهجري مكتبة السلطان بايزيد ٢٣٦٠) استانبول .

تاريخي سيستان لمؤلف مجهول طهران ١٣١٤ .

ابن تغري بردى ٨٧٤هـ **النجوم الزاهرة** ليدن ١٨٥١ . ـ القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩ .

التنوخي ٣٨٤ هـ **الفرج بعد الشدة** القاهرة ١٩٣٨ . ـ **المستجاد** دمشق ١٩٤٦ . ـ **نشوار المحاضرة** لندن ١٩٢١ . ـ دمشق ١٩٣٠ .

الثعالبي ٤٢٩ هـ **لطائف المعارف** القاهرة ١٩٦٠ .

الجاحظ ٢٥٥ هـ **البيان والتبيين** القاهرة ١٩٤٨ .

الحيوان القاهرة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ .

البخلاء القاهرة ١٩٥٨ .

العثمانية القاهرة ١٩٥٥ .

ثلاثة رسائل ليدن ١٩٠٣ .

رسائل تحقيق السندوبي القاهرة ١٩٣٣ .

مجموعة رسائل القاهرة ١٩٠٦ .

كتاب التبصر بالتجارة القاهرة ١٩٣٣ .

التاج (منسوب اليه) القاهرة ١٩١٤ .
نفي التشبيه **مجلة المشرق** ١٩٥٣ .
من كلام الجاحظ **لغة العرب** حـ ٢ .
رسالة في اثبات امامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب **لغة العرب** حـ ٧ .
رسالة الى أبي عبد الله **لغة العرب** حـ ٩
رسالة في انابته X. 1, 1, o.c ، باريس ١٨٩٧ .
رسالة في الحكمين **المشرق** ١٩٠٨ .
كتاب مختارات من فصول الجاحظ (مخطوطة المتحف البريطاني or. 3138 لندن .
رسالة لم تنشر للجاحظ **المشرق** ١٩٥٣ .

الجهشياري ٢٤٧ هـ **الوزراء والكتاب** القاهرة ١٩٣٨ .

ابن حبيب ٢٤٥ هـ **كتاب المجد** حيدر اباد ١٩٤٢ .
أسماء المغتالين من الاشراف القاهرة ١٩٥٤ (سلسلة نوادر المخطوطات)

ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ **تهذيب التهذيب** حيدر اباد ١٣٢٥ ـ ١٣٢٧ .
لسان الميزان حيدر اباد ١٣٢٩ .

ابن ابي الحديد ٦٥٥ هـ **شرح نهج البلاغة** القاهرة ١٣٢٩ .

ابن حزم ٤٥٦ هـ **كتاب الفصل في الملل والنحل** القاهرة ١٣١٧ ـ ١٣٢٠ .

حمزة الاصفهاني ٣٦٠ هـ **تواريخ سني ملوك الارض والانبياء** ليبزك ١٨٤٤ .
كتاب تاريخ اليمن لندن ١٣٠٩/١٨٩٢ .

الحكمي ابن حمدون ٥٦٢ هـ **تذكرة** (مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس او مكتبة المتحف البريطاني) ، القاهرة ١٩٢٧ .

الحنفي النهرواني ٩٩٠هـ **الاعلام ـ اعلام بيت الله الحرام** ليبزك ١٨٦١ .

ابن خرداذبة ٣٠٠ هـ **كتاب المسالك والممالك** ليدن ١٨٨٩ .

الخزاعي ٢٢٨ هـ **كتاب الفتن** (مخطوطة المتحف البريطاني O.r. ٩٤٤٩) .

الخزرجي ٨١٢ هـ **الكفاية والاعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من الاعلام** (المتحف البريطاني والمكتبة الوطنية بباريس) .

الخطيب البغدادي٤٦٣هـ **تاريخ بغداد** القاهرة ١٩٣١/١٣٤٩ .
ابن خلدون ٨٠٤ هـ **كتاب العبر** القاهرة ١٩٦٧/١٣٨٤ . ـ **المقدمة** بيروت ١٩٥٧ .
ابن خلكان ٦٨١ هـ **وفيات الاعيان** القاهرة ١٢٩٩ .
الخياط المقزلي ٣٠٠ هـ **كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد** مع مقدمة للمستشرق نيبرك بيروت ١٩٥٧ .
ابن الداية ٩٤٥ هـ **المكافآت** القاهرة ١٩٤١ .
دعبل الخزاعي ٢٤٦ هـ **ديوان** النجف ١٩٦٢ .
ابن الديبع ٩٤٤ هـ **قرة العيون في اخبار اليمن الميمون** (مخطوطة في المكتبة الوطنية والمتحف البريطاني) .
دينس التلمحري ق ٢هـ **تاريخ** ترجم الى الفرنسية باريس ١٨٩٥ .
الدينوري ٢٨٢ هـ **الاخبار الطوال** ليدن ١٨٨٨ .
الذهبي ٧٤٨ هـ **تاريخ الاسلام الكبير** (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس) .
رسالة في التقنية لمؤلف مجهول في (I.C.L. دلهي 5540) مخطوطة . لندن .
الزبيدي ٢٣٦ هـ **نسب قريش** القاهرة ١٩٥٣ .
الزبيد بن بكار ٢٥٦ هـ **جمهرة نسب قريش** القاهرة ١٩٦١ .
وله مخطوطة ((**الموفقيات**)) مخطوطة نسخة منها في البصرة .
الزجاجي ٣٣٧ هـ **الامالي** القاهرة ١٣٢٤ .
ابو زكريا الازدي ١٨٢هـ **تاريخ الموصل** القاهرة ١٩٦٧ . مخطوطة شستر بيتني ، دبلن ، ٣٠٣٠ . في مكتبة S. O. A. S رقم S. G. VII, 163
ابو زكريا يحيى ٣٣٤ هـ **السير واخبار الائمة** ترجمة انكليزية . الجزائر ١٨٧٨ .
السالمي ١٩١٣ م **تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان** القاهرة ١٩٦١ .
ساويرس ابن المقفع٤هـ **تاريخ البطارقة المصرية** القاهرة ١٩٤٣ .
سرحان بن سعيد الشنح **كشف الغمة الجامع لاخبار الامة** ، ١٩٣٣ ، J. B. A. S ١٨٧٤ . (مخطوطة المتحف البريطاني or. 6568)

ابن سعد ٢٣٠ هـ	**كتاب الطبقات** ليدن ١٩٠٥ . or. 8076
سعيد بن بطريق ق ٤ هـ	**التاريخ المجموع على التحقيق** بيروت ١٩٠٥ .
الاسفرايني ٤٧١ هـ	**التبصير بالدين** القاهرة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ .
ابن سلام ٢٢٣ هـ	**كتاب الاموال** القاهرة ١٩٣٥/١٣٥٣ .
السمهوري ٩١١ هـ	**خلاصة وفاء الوفا في اخبار دار المصطفى** بولاق ١٢٨٥ .
السيوطي ٩١١ هـ	**اخبار الخلفاء** القاهرة ١٨٨٧ .
الاشعري ٣٢٤ هـ	**مقالات الاسلاميين** استانبول ١٩٢٩ .
الشهرستاني ٥٤٨ هـ	**كتاب الملل والنحل** ليبزك ١٩٢٣ .
الشيرازي ٤٧٦ هـ	**طبقات الفقهاء** بغداد ١٣٥٦ .
الصابىء ٤٤٨ هـ	**رسوم دار الخلافة** بغداد ١٩٦٤ .
ابو صالح الارمني ق٦هـ	**الكنائس والاديرة** اكسفورد ١٨٩٥ .
صالح بن رزيق ق ١٩ م	**تاريخ الائمة والسادة في عمان** ترجمة انكليزية
ابن الصباغ	**كتاب الفصول المهمة في معرفة الائمة** (مخطوطة المكتبة الوطنية باريس ٥٨٣٢) نجف ١٣٤٨ .
الصفري ٧٦٤ هـ	**الوافي بالوفيات** استانبول ١٩٣١ ـ ١٩٥٩ .
الصولي ٣٣٥ هـ	**ادب الكتاب** القاهرة ١٣٤١ . ـ **اخبار الشعراء المحدثين** لندن ١٩٣٤ .
ابن طاووس ق ٧ هـ	**كتاب التعريف في مذاهب الطوائف** (مخطوطة المتحف البريطاني or 3574) لندن .
الطبري ٣١٠ هـ	**تاريخ الرسل والملوك** ليدن ١٨٨١ .
ابن الطقطقي ٧٠٩ هـ	**الفخري** باريس ١٨٩٥ .
الطوسي ٥٤٨ هـ	**فهرست كتب الشيعة** كلكتا ١٨٥٣ ـ ١٨٥٥ .
ابن طيفور ٢٨٠ هـ	**كتاب بغداد** ليبزك ١٩٠٤ .
ابن عبد الحكم ٢٤٢	**فتوح مصر** الجزائر ١٩٤٧ .
ابن عبد ربه ٣٢٨ هـ	**العقد الفريد** القاهرة ١٩٤٠ .
ابن العبري ٦٨١ هـ	**مختصر تاريخ الدول** بيروت ١٨٩٠ . النسخة الانكليزية لندن ١٩٣٢ .
ابن العديم ٦٦٠ هـ	**بغية الطلب** (مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ١٢٣٨) .
ابن عذارى ق ٧ هـ	**البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب** ليدن

١٩٤٨ ــ ١٩٥١ .
ابن عساكر ٥٧١ هـ **تاريخ دمشق** ١٣٣٣ . ــ مخطوطة في المكتبة الوطنية بباريس جزء واحد فقط .
علي بن زبـــان الطبري ق ٣ هـ **كتاب الدين والدولة** مانجستر ١٩٢٢ .

بعض الكتب العربية الحديثة :

احمد امين ضحى الاسلام حـ ٣ القاهرة ١٩٣٦ . القاهرة ١٩٥٣ **المهدي والمهدوية** .
الدكتور محمد حلمي الخلافة والدولة في العصر العباسي القاهرة ١٩٥٩
الباشا ، حسن الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق القاهرة ١٩٥٧ .
بدير متولي حميد **من ادب الحركات الفكرية** القاهرة دار المعرفة .
ثابت نعمان الجندية في الدولة العباسية بغداد ١٩٥٦ .
الجواري ، الدكتور عبد الستار الشعر في بغداد ، بغداد ١٩٥٦ .
جوزي بندلي من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، بيروت.
الجومرد ، الدكتور عبد الجبـار (١) ابو جعفر المنصور ، بيروت ١٩٦٣ .
(٢) يزيد بن مزيد الشيباني ، بيروت .
(٣) هارون الرشيد .
حاطوم ، نور الدين المدخل الى التاريخ ، دمشق ١٩٦٤ .
حجاب محمد نبيه مظاهر الشعوبية في الادب العربي القاهرة ١٩٦١
حسن سعد محمد المهدية في الاسلام القاهرة ١٩٥٣ .
حسن ، محمد ابو مسلم الخراساني « مشاهير العرب » ٨ ، القاهرة ١٩٥٨ .
حسين ، طه حديث الاربعاء ، القاهرة ١٩٢٥ .
الدوري ، عبد الحسيب طه ادب الشيعة بغداد ١٩٦٨ .
الدوري ، الدكتور عبد العزيز ١ ــ العصر العباسي الاول بغداد ١٩٤٥ .
٢ ــ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام بغداد١٩٤٩.

٣ ــ النظم الاسلام بغداد ١٩٥٠ .
٤ ــ الجذور التاريخية للشعوبية بيروت ١٩٦٠ .
٥ ــ مقدمة في تاريخ العرب الاقتصادي بيروت .

رفاعي احمد فريد — عصر المأمون ، القاهرة ١٩٢٨ .

رستم عبد السلام — ابو جعفر المنصور ، القاهرة ١٩٦٥ .

الريس محمد ضياءالدين — الخراج في الدولة الاسلامية القاهرة ١٩٥٧ .

ابو زهرة محمد — المذاهب الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٠ .

زكي ، احمد — الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دمشق ١٩٦١ .

زيدان ، جرجي — (١) العباسة اخت الرشيد القاهرة ١٩٣٣ .
(٢) ابو مسلم الخراساني القاهرة ١٩٣٣ .

الشيال ، جمال الدين — تاريخ مصر الاسلامية ، الاسكندرية ١٩٥٧ .

الشبيكي كامل مصطفى — الصلة بين التصوف والتشيع ، بغداد ١٩٦٣ .

العاملي ، محمد امين — اعيان الشيعة دمشق ١٩٣٦ .

العزاوي ، عباس — عشائر العراق بغداد ، ١٩٣٧ .

العلي ، الدكتور صالح احمد — التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري بغداد ١٩٥٣ .

علي ، محمد كرد — (١) خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ .
(٢) امراء البيان القاهرة ١٩٣٧ .
(٣) رسائل البلغاء القاهرة ١٩٥٧ .

عنان ، محمد عبد الله — تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة القاهرة ١٩٢٦ .

فروخ ، عمر — عبد الله بن المقفع ، بيروت ١٩٤١ .
بشار بن برد بيروت ١٩٤٦ .

القزويني حفر الدين — انساب القبائل العراقية ، النجف ١٩١٨ .

القمي — سفينة البحار النجف ١٣٥٥ .

آل كاشف الغطاء — اصل الشيعة واصولها بيروت ١٩٣١ .

كاشف، سيد، اسماعيل — مصر في فجر الاسلام القاهرة ١٩٤٧ .

كحالة ، عمر رضا — معجم قبائل العرب دمشق ١٩٤٩ .

ما ساهم به المؤرخون العرب — الجامعة الاميركية بيروت ١٩٥٩ .

مصطفى، الدكتور شاكر في التاريخ العباسي دمشق ١٩٥٧ .
معروف ، ناجي عروبة المدن الاسلامية بغداد ١٩٦٤ .
المقدسي امراء الشعر العربي في العصر العباسي ١٩٦١ .
موسى محمد يوسف تاريخ الفقه الاسلامي ١٩٦٤ .
النص ، احسان الخطابة السياسية في عصر بني امية ، دمشق ١٩٦٥ .

بعض المقالات والبحوث العربية الحديثة :

الدوري ، عبد العزيز ضوء جديد على الدعوة العباسية ، مجلة كلية الاداب ٩٦١ .
الديوجي ، سعيد خطط الموصل ، سومر ، ٧ ، ١٩٥١ .
الزيات ، حسن (١) التشيع لمعاوية في العصر العباسي ، المشرق ١٩٢٨ .
(٢) مزاعم المؤرخين العباسيين في وصف شرط الامويين المشرق ١٩٤٨ .
شعيرة عبد الهادي المرابطون فيالثغور البرية العربية الروميةالذكرى الفضية لطه حسين القاهرة ١٩٦٣ .
الشبيبي ، كامل مصطفى التقية مجلة جامعة الاسكندرية حـ ١٦ ص ١٩٦٢ – ١٩٦٣ .
شيخو المحاورة الدينية التي جرتبينالمهدي وطيماثوس، المشرق ١٩٢٣ . انظر كذلك M. W. ١٩٣١ .
العلي صالح احمد (١) خطط البصرة سومر ١٩٥٢ .
(٢) منطقة الحيرة مجلة كلية الاداب ١٩٦٢ .
(٣) استيطان العرب في خراسان مجلة كلية الاداب ١٩٥٩ .
(٤) بغداد في عهد المنصور مؤتمر المدن الاسلامية اكسفورد انكلترا ١٩٦٥ .
علي ، محمد كرد مميات ابن امية مجلة المجمع العلمي العربي حـ ١٥ ، حـ ١٦ ١٩٣٧ – ٤١ .

آثار المؤلف المطبوعة

اولا : الكتب

(١) The Abbasid Caliphate, Baghdad, 1969

(٢) **طبيعة الدعوة العباسية**

بيروت ١٩٧٠

(٣) **العباسيون الاوائل ــ الجزء الاول ــ**

بيروت ١٩٧٠

(٤) **العباسيون الاوائل ــ الجزء الثاني ــ**

دمشق ١٩٧٣

(٥) **الخلافة العباسية في مصر ــ الفوضى العسكرية**

بغداد ١٩٧٤

(٦) Abbasiyat ... Baghdad, 1976

(٧) **التاريخ العربي الاسلامي للدراسة المتوسطة**
الصف الثاني ــ مع اخرين

بغداد (وزارة التربية) ١٩٧٥

(٨) **العلاقات العربية ــ الامريكية في الخليج العربي ــ ترجمة المؤلف**

مركز دراسات الخليج العربي ١٩٧٧
(٩) **تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ـ مقدمة واشراف المؤلف**
مركز الدراسات الفلسطينية بغداد ١٩٧٣
(١٠) **ابحاث في التاريخ العباسي (وهو هذا الكتاب)**

ثانيـا : مقالات في التاريخ العباسي

(١) Harun al-Rashid, Encyclopeadia of Islam 2nd ed.
(٢) Ibn al-Nattah, Encyclopeadia of Islam 2nd.
(٣) Ibrahim al-Imam, Encyclopeadia of Islam 2nd ed.
(٤) The Barmacides, Encyclopeadia Britanica, 2nd ed.
(٥) **الجذور التاريخية لادعاء العباسيين بالخلافة**
مجلة كلية الدراسات الاسلامية بغداد ١٩٦٧/٦٨
(٦) **وزراء عباسيون : يعقوب بن داود**
مجلة كلية الاداب بغداد ١٩٦٨
(٧) **موقف المعتزلة السياسي من العباسيين الاوائل**
مجلة الاقـلام بغداد ١٩٦٨
(٨) **عبد الجبار الازدي صاحب شرطة المنصور**
مجلة الشرطـة بغداد ١٩٦٨
(٩) **خصائص حكم المنصور كما تعكسه وصيته السياسية للمهدي**
مجلة الرسالة الاسلامية ٦،٧،٨ بغداد
ومجلة الجدول العدد الاول
(١٠) **نصوص تاريخية ساعد اكتشافها على اعادة تقويم الدعوة العباسية**
مجلة كلية الاداب الرياض ١٩٦٩
(١١) **تقويم جديد للثورة العباسية**
مجلة جمعية التاريخ والاثار ١٩٦٩
(١٢) **نظرة جديدة الى علاقة الترك بالخلافة العباسية**
مجلة المكتبـة ١٩٦٨

(١٣) **الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية**
مجلة العرب ـ مجلد ٥ ١٩٦٩

(١٤) **نظرات في سياسة الخليفة المتوكل**
مجلة الجمعية التاريخية العراقية
عدد (٢) ١٩٧٢

(١٥) **حركة المقنع الخراساني**
مجلة الجمعية التاريخية ـ العدد ٢ ١٩٧٠

(١٦) **من القاب الخلفاء العباسيين**
مجلة الجامعة المستنصرية ـ عدد ٢ ١٩٧١

(١٧) **القاب الخلفاء العباسيين الاوائل ودلالاتها الدينية السياسية**
مجلة كلية الاداب ـ عدد ١٣ ١٩٧٠

(١٨) **سياسة المأمون تجاه العلويين ـ القسم الاول**
مجلة الجامعة المستنصرية ـ عدد ٣ ١٩٧٢

(١٩) **سياسة المامون تجاه العلويين**
مجلة كلية الاداب ١٩٧٣

(٢٠) **الثورة العباسية ثورة عربية**
مجلة الشرطة عدد ٢٠/١٩ ١٩٧١

(٢١) **الجيش العباسي**
مجلة الشرطة ـ عدد ١٣ ١٩٦٩

(٢٢) **الالوان ودلالتها السياسية في العصر العباسي الاول**
مجلة كلية الاداب ـ العدد ١٤ ١٩٧١

(٢٣) **منعطفات مهمة في التاريخ العباسي**
الرسالة الاسلامية عدد ٤٠/٣٩ ١٩٧١

(٢٤) **من مظاهر النظام القضائي في العصر العباسي**
مجلة الشرطة عدد ١٨/١٧ ١٩٧٠

(٢٥) **ملامح من تاريخ العراق في العصر العباسي الاول**
مجلة بين النهرين ١٩٧٤

(٢٦) **عبدالله بن المقفع في تخليط المؤرخين**
مجلة المـورد ١٩٧٤

(٢٧) **الرسائل المتبادلة بين الرشيد وحمزة الخارجي**
الجمعية التاريخية العراقية ١٩٧٤

(٢٨) **وزراء عباسيون ــ الفضل بن الربيع**
مجلة كلية الاداب ١٩٧٦
(٢٩) **مصادر دراسة التاريخ المحلي لعمان**
المؤتمر العالمي لمصادر تاريخ
الجزيرة العربية ١٩٧٧
(٣٠) **عوامل انهيار الامامة الاباضية في عمان**
مجلة كلية الاداب ١٩٧٧
(٣١) **حركة الخوارج الاباضية كما تكشفها مخطوطة الازكوي**
مجلة المؤرخ العربي ١٩٧٥
(٣٢) **آل المهلب بن ابي صفرة (نقد وتقريظ)**
مجلة كلية الاداب ١٩٧٧
(٣٣) **الخرمية بين الدوغمائية والموضوعية**
آفاق عربيـــة ١٩٧٧
(٣٤) **آراء خاطئة في تفسير التاريخ العربي**
جريدة الثورة (مسلسل) ١٩٧٧

الفهرست

اثار المؤلف المطبوعة

اولا الكتب :

- طبيعة الدعوة العباسية .
- العباسيون الاوائل - الجزء الاول -
- العباسيون الاوائل الجزء الثاني .
- الخلافة العباسية في مصر - الفوضى العسكرية
- التاريخ العربي الاسلامي للدراسة المتوسطة الصف الثاني — مع اخرين
- العلاقات العربية - الاميريكية في الخليج العربي - ترجمة المؤلف
- تاريخ فلسطين في العصور الوسطى - مقدمة واشراف المؤلف
- ابحاث في التاريخ العباسي (وهو هذا الكتاب)